



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

الكفاءة الوظيفية للارتباطات الإسنادية في السور المدنية من القرآن الكريم

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي

تخصص: نحو وظيفي

إشراف الأستاذ الدكتور:

العزوزي حرزولي

إعداد الطالب:

عبد المالك العايب

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
لزهر كرشو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيساً
العزوزي حرزولي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفاً ومقرراً
محمد الشايب عرباوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشاً
عبد المجيد عيساني	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مناقشاً
بوبكر حسيني	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مناقشاً
رشيد بديدة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الوادي	مناقشاً

السنة الجامعية

1442-1443 هـ / 2021-2022 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ^ص وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ^ق

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

سورة فصلت، الآية 46.

الاهداء

أهدي هذا البحث إلى فلذة كبدي أبنائي الأعزاء:

عبد الرحمان

وجميلة

واحسان

وريتال

والعيد

شكر وعرفان

أحمد الله تعالى، وأشكر له فضله ونعماءه وتوفيقه إِيَّاي
في إعداد هذا البحث،

ثم الشكر موصول للأستاذ المشرف: الدكتور حرزولي الغزوي
على ما خصني به من متابعة خاصة وما أولاه من الجهد والعطاء
في الإشراف على هذا البحث. أتمنى له دوام الصحة والعافية
كما أشكر للأستاذ الدكتور: لزهـر كـرشـو على اقتراحه فكرة هذا البحث
ثم تنويره بملاحظاته القيمة، وكل من الأساتذة: الدكتور محمد الشايب
عرباوي والدكتور عبد المجيد عيساني والدكتور بوبكر حسيني
والدكتور رشيد بديدة

على قبولهم مناقشة هذا البحث وتقديمهم التوجيهات السديدة في تقويمه.

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ الْقُرْآنَ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ شَيْئاً وَلَا نَظِيراً،
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الشَّرَفَاءِ وَسَلَّم تَسْلِيماً كَثِيراً...
أَمَّا بَعْدُ:

يُعْتَبَرُ كَثِيرٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ فِي الْحَقْلِ اللَّسَانِيِّ أَنَّ نُحَاةَ الْعَرَبِيَّةِ الْأَوَّلِ انْتَهَجُوا الْمَنْهَجَ الْوَصْفِيَّ فِي
دِرَاسَتِهِمْ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، كَمَا ابْتَدَعُوا لِأَنْفُسِهِمْ مُمَاحِظَاتٍ ذَاتِيَّةً تَقِفُ عَلَى حَدِّ الْاسْتِمَاعِ وَالتَّتَبُّعِ
وَالِاسْتِقْرَاءِ، وَذَلِكَ لِلْحِفَاطِ عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ، وَالِابْتِعَادِ بِهِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْخَطِ وَاللَّحْنِ،
وَالْحَدِّ مِنْ انْتِشَارِ الْفَسَادِ اللَّغَوِيِّ خَاصَّةً حِينَمَا تَعْلَقُ الْأُمُورُ بِفَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَفْهِيمِهِ،
فَانصَبَّتْ مُمَاحِظَاتُهُمْ عَلَى اسْتِنْبَاطِ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ وَتَجْمِيعِهَا وَتَرْتِيبِهَا بِمَا يُوَافِقُ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ صَوْتاً
وَتَرْكِيباً وَدَلَالَةً، وَالطَّبَقَةُ الْأُولَى مِنَ التَّحْوِيلِ كَانَتْ تَلْجَأُ فِي اسْتِنْبَاطِ الْقَوَاعِدِ إِلَى الْمُمَاحِظَةِ الذَّاتِيَّةِ؛
لَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ثِقَةٍ مِنْ غُرُوبِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَكَانَ حَرِيّاً بِهَذِهِ الْمُمَاحِظَةِ أَنْ يَأْتِيَ عَنْهَا نَحْوٌ مِثَالِي فِي دِقَّتِهِ
وَسَلَامَةِ مَنَهِجِهِ؛ لِأَنَّ لِلُّغَةَ كُلَّ امْرِئٍ نَحْوًا يَنْسَجِمُ أَوَّلُهُ مَعَ آخِرِهِ، وَتَطَرُّدُ قَوَاعِدِهِ أَكْبَرَ أَطْرَادٍ مُمَكِّن.

وَلَقَدْ اتَّصَفَ عَمَلُ نُحَاةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْعِلْمِيَّةِ وَالْجَدِيدَةِ فِي وَصْفِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، دُونَ مُرَاعَاةِ الْاِخْتِلَافِ
بَيْنَ لَهْجَاتِهَا، وَرِبْطِهَا بِجَهَابِذِ اللُّغَةِ بِالْمَرَحَلَةِ الزَّمْنِيَّةِ الَّتِي عَاشَوْهَا مَعَ فُصَحَاءِ الْعَرَبِيَّةِ وَبُلْغَائِهَا، فَكَانَ
بِذَلِكَ مَجَالُ الْبَحْثِ عِنْدَهُمْ هُوَ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْفُصْحَى بِأَنْظِمَتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْمَوْضُوعُ الْأَخْصُ هُنَا
الْقَائِمُ الْبَحْثُ عَلَيْهِ صِلَةُ الْمَبْنَى بِالْمَعْنَى، أَوْ تَشَكُّلُ الْمَعْنَى بَيْنَ الْبِنْيَةِ وَالْوُضُوفَةِ؛ إِذْ الْاِرْتِبَاطُ الْقَائِمُ بَيْنَ
الشَّكْلِ وَالْوُضُوفَةِ هُوَ مَا تَعَارَفَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ، وَلَاحِظَةُ النُّحَاةِ مِنْ مَوَاقِفِ عَرَبِ الْبَادِيَةِ، وَمَا قَصَّهُ
الْأَعْرَابِيُّ الَّذِي رَدَّ خَطأً "الْأَصْمَعِي" فِي الْآيَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ: يَا أَصْمَعِي، عَزَّ فَحَكَمَ فَقَطَعَ،
وَلَوْ غَفَرَ وَرَحِمَ مَا قَطَعَ. لَحَيْثُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ النَّحْوَ يُعْتَبَرُ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ بِنْيَةً وَوُضُوفَةً¹.

¹ ينظر: محمد علي الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، مؤسسة مناهل العرفان، ط 3 1400هـ/1980م، ج 1، ص 545.

ومن هذا الأساس تنطلق مدرسة "أبي علي الفارسي"¹ (ت 377هـ) اللغوية، التي وضع فيها هذا العالم الجليل قواعد لمنهج جديد في علوم العربية، حيث يقوم على الموضوعية في دراسة كل مسألة لغوية من مسائل الخلاف النحوي وإبداء الرأي فيها، لذا وسم بالمنهج العلمي.

ولقد تبني "أبو الفتح ابن جني" (ت 392هـ) منهج أستاذه وشيخه "أبي علي الفارسي"، في كتابه (الخصائص)؛ وبحث في القوانين الصوتية العامة للغة، ووازن بين لغة العرب ولغة العجم، كما بحث عن الأصول العامة للنحو، مُنطلقاً من وصف البنية اللغوية، وما تتألف به من أصوات، وما يقع بين تلك الأصوات من علاقات؛ فنجد أنه قد درس الاشتقاق وأنواعه ونظام التقليلات الممكنة للكلمة، والعامل المشترك بين التقليلات (المعنى)، وهو ما ندعوه بعلاقة الدال بالمدلول.

ثم عمق هذا المنهج "عبد القاهر الجرجاني" (ت 441هـ) مؤكداً على الوظيفة الإبداعية التي تؤديها اللغة، ودعا إلى عدم الفصل بين النحو والبلاغة، من خلال كتابه (دلائل الإعجاز)، حيث انطلق من وصف البنية اللغوية، وتبيين وظيفتها الإبداعية، مستفيداً من آراء من سبقه من علماء اللغة في المفهوم وتعميق النظر، ولأنه يبحث في نظم الكلم عمداً إلى تبين ارتباط خصائص بنية الكلمة المفردة بالوظيفة الإبداعية التي تؤديها في الكلام؛ إذ إن الوظيفة الأساسية للغة هي إقامة التواصل بين الناس.

وانصب اهتمام "الجرجاني" على اكتشاف القوانين العامة للنظام اللغوي، وأكد على أنه لا يمكن أن تكون الكلمة المفردة أدل على معناها الذي وضعت له من كلمة أخرى، ذلك أن ارتباطها بالسياق الإسنادي والمقام المقالي يمينحها المعنى الملائم لذلك والمقصود بالتأليف، واشتهرت نظريته بالنظم وتابعت السير وفق المنهج العلمي لمدرسة "أبي علي الفارسي" اللغوية في صيغته الجرجانية².

ثم واصل الإمام "السكاكي" (ت 626هـ) تبني المنهج العلمي لنفس المدرسة ضمن كتابه (مفتاح العلوم)، وطوره بكشف خصائص النظام اللغوي للعربية في مستوياته المتدرجة (الأصوات والكلمة

¹ اسمه: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، ولد سنة (288هـ\900م) بفسا في بلاد فارس، نحوي وعالم بالعربية عاش خلال العصر العباسي، توفي سنة (377هـ\987م) ببغداد في العراق.

² ينظر: عمار ساسي، المنهج الوصفي الوظيفي، مقال ضمن مجلة رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، جمادي الثانية 1430هـ\ جوان 2009م، العدد السادس، ص12.

المفردة والتراكيب) مِنْ حَيْثُ عَلاَقَاتُهَا النَّحْوِيَّةُ، كَذَا عَلاَقَاتُهَا السِّيَاقِيَّةُ وَالْمَقَامِيَّةُ، كَمَا أُدْخِلَ تَطْوِيرًا هَامًا جَعَلَ مِنْ خِلَالِهِ دِرَاسَةً عِلْمَ الصَّرْفِ سَابِقَةً لِعِلْمِ النَّحْوِ، لَكِنَّ شَرَّاحَ بِلَاغَةِ الْمِفْتَاحِ فَصَلُّوا الْبَدِيعَ عَنِ الْبَيَانِ، فَقَسَمُوا عِلْمَ الْبِلَاغَةِ إِلَى الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ، وَتَبَعُوا مَفْهُومَ عِلْمِ الْمَعَانِي الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ تَتَبُّعُ خَوَاصِّ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ فِي الْإِفَادَةِ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنَ الْإِسْتِحْسَانِ وَغَيْرِهِ، لِيُحْتَرَزَ بِالْوُقُوفِ عَلَيْهَا عَنِ الْخَطِئِ فِي تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مَا يَقْتَضِي الْحَالُ ذِكْرُهُ¹.

وَهُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ فِعْلِيَّةٌ تَتَحَلَّى فِي تَتَبُّعِ كَيْفِيَّةِ ارْتِبَاطِ الْإِسْنَادِ بِالْإِفَادَةِ عَنْ طَرِيقِ دِرَاسَةِ الْجُمْلَةِ فِي السِّيَاقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَمِنْ أَجْلِ فَهْمِ أَسْرَارِ اللَّغَةِ وَإِعْجَازِ نَظْمِهَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَوْكِيدِ الْوُضُفَةِ الْإِبْلَاقِيَّةِ لَهَا عَنْ طَرِيقِ رِبْطِ النَّحْوِ بِالْبِلَاغَةِ عَلَى غَرَارِ مَا فَعَلَهُ كِبَارُ عُلَمَاءِ اللَّغَةِ، أَمْثَالُ (الْجُرْجَانِيِّ وَالزَّخْمَشَرِيِّ وَالسَّكَاكِيِّ وَغَيْرِهِمْ)، كَمَا اشْتَغَلَ بِالْبَحْثِ فِيهِ نَفَرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْأُصُولِيِّينَ مِثْلَ "ابنِ رُشْدِ الْقُرْطُبِيِّ" (ت595هـ) وَ "فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيِّ" (ت606هـ) وَ "سَيْفُ الدِّينِ الْأَمْدِيِّ" (ت631هـ) وَغَيْرِهِمْ، وَانْتَهَجُوا بِهِ طَرَقًا فِي مَعْرِفَةِ أَسْرَارِ نَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ الْمَعَانِي الْوُضُفِيَّةِ الَّتِي تَتَّبَعُ اللَّفْظَ، وَتَتَغَيَّرُ مِنْ مَقَامٍ إِلَى آخَرٍ.

وَلَقَدْ تَجَاوَزَ الْبَحْثُ (قَدِيمًا) رِبْطَ النَّحْوِ بِالْبِلَاغَةِ الْوُضُفِيَّةِ نِطاقَ النَّحَاةِ وَالْبِلَاغِيِّينَ وَالْأُصُولِيِّينَ إِلَى الْفَلَسَفَةِ وَالْمَنَاطِقَةِ، الَّذِينَ بَحَثُوا فِي الْأَعْتِبَارَاتِ الْمُنْطَقِيَّةِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْمُرَكَّبَاتِ التَّامَةِ، وَتَمَيَّزَ الْخَبَرِيَّةُ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ الْخَبَرِيَّةِ، حَيْثُ نَجَدَ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ: "أَبِي نَصْرِ الْفَارَابِيِّ" (ت338هـ) وَ "نَجْمُ الدِّينِ الْقَزْوِينِي" (ت493هـ) وَ "قُطْبُ الدِّينِ الرَّازِيِّ" (ت766هـ) وَغَيْرِهِمْ.

وَعَلَيْهِ، فَإِنَّ مَسْأَلَةَ الْمُنْهَجِ الْوُضُفِيِّ فِي دِرَاسَةِ اللَّغَةِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ الْقُدَمَاءِ، تَظْهَرُ مِنْ خِلَالِ تَحْدِيدِ الْبَيِّنَةِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَدِرَاسَتِهَا لِذَاتِهَا وَمِنْ أَجْلِ ذَاتِهَا، ثُمَّ رَنْطُهَا بِالِاسْتِعْمَالِ وَالصَّبْغَةِ النَّظَامِيَّةِ لَهَا، وَتَتَبُّعِهَا لِعِنَاصِرِ الْإِفَادَةِ فِي السِّيَاقِ وَالْمَقَامِ لِنُتْمَحِ مِثْلَ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ الصَّبِغَةِ الْوُضُفِيَّةِ لِلنَّحْوِ الْعَرَبِيِّ، قَالَ الْبَاحِثُ اللَّسَانِي "أَحْمَدُ الْمُتَوَكَّلُ" فِي مُنْهَجِ الْقُدَمَاءِ: «إِنَّ نِقَاطَ الْإِلْتِقَاءِ بَيْنَ الْفِكْرِ اللَّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ وَالْفِكْرِ اللَّسَانِيِّ الْحَدِيثِ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْنِي إِمْكَانَ تَرْجُمَةِ التَّحْلِيلَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْفِكْرِ اللَّغَوِيِّ

¹ ينظر: خالد السويح، أسس الإخبار في الكلام (بحث في روافد إنتاج الفائدة)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1 1436 هـ\2015 م، ج1، ص21.

العربي القديم، والاستفادة منها في دراسة اللغات الطبيعية (بشكل عام) دراسةً وظيفية، فإنها تعني - على الأقل - أنّ هذا الفكر يُشكّل مرحلة من أهمّ مراحل تطوّر الدرس اللساني الوظيفي، وأنّه لا يُعقل أن يورّخ لهذا النمط من المقارنات اللسانية دون ذكرٍ لما وردَ في إنتاج اللغويين العرب القدماء»¹.

ولقد توجّه البحث اللغوي في الآونة الأخيرة إلى دراسة النصوص بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل، تتخطى بذلك حدود الجملة إلى النص، الذي أخذ يوماً بعد يومٍ يلفت انتباه الباحثين، بعد أن أثبتت الدراسات السابقة قُصور البحث عند حدود الجملة في الدراسات اللغوية؛ لأنّ البحث في الصلات القائمة بين النص في جانبيه اللفظي والمعنوي من أهمّ الجوانب التي يمكن تتبعها في ضوء المنهج الوظيفي.

ونعرّف في هذا البحث على تلك الوشائج القائمة بين نظام اللغة في تراكيبها، أو في دلالة مفرداتها مجتمعة، وبين ما تؤديه من معانٍ وأغراضٍ تتعلق بقصد المتكلم وفهم المتلقي، الذي يختلف في تلقّيه للنصوص تصديقاً أو تكذيباً، إنكاراً أو تردّداً، ممّا يستوجب من المتكلم صوغ كلامه وفق هذه الحالات العامة للتلقّي المثالي للنص، وهو ما يمكن تطبيقه على الارتباطات الإسنادية وحالات ورودها في القرآن الكريم في شقّه المدني، حيث يعدّ المثال الأعلى للاستدلال اللغوي، ثمّ اللسان الأسمى والأكثر تداولاً، لما فيه من ذكرٍ للحدود والفرائض والأحكام التي تُنظّم حياة الفرد والمجتمع، وذكّرٍ للمنافقين وبيان أحوالهم وكشف مؤامراتهم، والتفصيل في شؤون الحكم والشورى، والكلام عن أهل الكتاب وجداهم ودعوتهم ومعاملتهم، وغير ذلك من أشكال التواصل.

ولأنّ نجاح التواصل اللساني - بوصفه الوظيفة الرئيسية للغة - يتوقّف على نجاح النص في تعالق أجزائه وترابطها، وحسن توظيفه لطواهر الانسجام، فإنّه قد اخترت العنوان الآتي: الكفاءة الوظيفية للارتباطات الإسنادية في السور المدنية من القرآن الكريم، لأطرح من خلاله إشكال الارتباط الإسنادي ودوره في عملية التواصل في النص القرآني، مُعتمداً على المنهج الوصفي الوظيفي، حيث تطرّح هذه القضية تساؤلات عديدة في ذهن الباحث، ألخصّها في النقاط الآتية:

¹ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط 1 1987م، ص 47.

- كيف تمّ الإنتقال من محورّية الجملة في الدّراسات اللّغوية إلى النصّ مرّكز الاهتمام؟
- ما هي المسارات المنهجية التي مرّ بها النحو الوظيفي؟
- ما هي أبرز الجهود العربيّة والغربيّة التي أسهمت في مجال الدّراسات الوظيفيّة؟
- ما هو الدور الذي تُؤدّيه الارتباطات الإسناديّة لتحقيق الكفاءة الوظيفيّة في النصّ المدنيّ من القرآن الكريم؟

وفي ما يخصّ المدوّنة فقد اختار الباحث نماذج من السّور المدنيّة من القرآن الكريم. ويُقصدُ بها: ما نزل من القرآن الكريم بعد هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولو كان نزوله في غير المدينة المنوّرة (كما ذهب إلى ذلك كثير من المُفهماء)، وانطلاقاً من هذا المفهوم فإنّ كلّ سورة نزلت فاتحتها بعد الهجرة تُعتبر سورة مدنيّة، ويُستثنى من كلّ سورة منها ما بها من آياتٍ نزلت قبل الهجرة؛ فتعدّ مكّيّة، وهذا يعود إلى اجتماع المكيّ والمدنيّ في السورة الواحدة، كما أنّه يُوجد سورٌ أخرى كلّ آياتها مدنيّة، هذا الأمر أثار الخلاف حول بعض السور من حيث وصفها بأنّها مكّيّة أو مدنيّة إذا لم يرد فيها نصٌّ شرعي¹.

ولقد قمتُ بالتعليق على النّماذج المختارة من السورة المدنية المتّفق عليها والمختلف فيها*، وتبيين التّعلّقي الشّدِيد بين أجزاءها، وإظهار الكفاءة الوظيفيّة للعبارات، من خلال تتبّع حركة الإسنادات فيها، وذلك يعود إلى غنى النصّ القرآنيّ عامّةً والنصّ المدنيّ خاصّةً بظواهر الإسناد المختلفة، لما له من خصائص الحوار والوصف والحجاج والتفسير، وتمييز نوع المخاطبين عن بعض وما إلى ذلك من الأساليب التي سهّلت عمل الباحث، الذي يسعى فيه إلى التّعريف على البعد الوظيفيّ الدّلاليّ - التركيبيّ - التّداوليّ، من خلال التّحليل التّحويّ للتراكيب الإسناديّة، وما تتضمّنه

¹ ينظر: عادل محمد صالح، خصائص السور والآيات المدنية (ضوابطها ومقاصدها)، مؤسسة علوم القرآن، بيروت - لبنان، (د.ط) 1406هـ، ص52.

* السور المدنية: نقل أبو الحسن بن الحصار في كتابه (الناسخ والمنسوخ) أنّها بالاتفاق عشرون سورة، وهي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانفال والتوبة والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والجمعة والمنافقون والطلاق والتحريم والنصر. والمختلف فيها اثنتا عشرة سورة: الفاتحة والرعد والرحمان والصف والتغابن والمطففين والقدر والبيّنة والزلزلة والاحلاص والفلق والناس.

من قيم تخاطبية، وإبراز علاقة معاني الكلام بالإسناد، ثم اتخاذ المسند إليه والمسند معياراً للحكم على نوع الجملة ووظيفتها في الخطاب.

وأحسب أن تحليل النصوص أيًا كان نوعها لا يكون مجدياً ما لم يقف الوقفة العلمية المركزة على الجانب الإفرادي (المعجمي) فيه، حرصاً منه على تجلية موقع اللفظ في دلالة النص، وهو النواة المشكّلة للإسناد، إذ يُعدّ هذا الأخير من أهم الموضوعات التي أسهمت في تشكيل النظرية النحوية العربية، وله أثره في وضع القواعد النحوية، وقد رأى النحاة أن الجملة لا تكون تامة نحويًا إلا إذا توافر فيها طرفا الإسناد.

وإذا كان التحليل اللساني للنصوص يُعدّ من أهم القضايا اللسانية المهمة، والتي شددت انتباه واهتمام الباحثين في العلوم الإنسانية عامة والعلوم اللغوية والأدبية خاصة، فإنه تعيّن القول: أنه لا تحليل إلا بمنهج، لذا كان المنهج الوصفي الوظيفي المعتمد هو منهج التحليل النحوي للسور المدنية من القرآن الكريم في هذه الدراسة، وهو وصفي لأنه يصف البنية اللغوية للنصوص أولاً، وهو وظيفي لأنه يكشف عن التناغم بين البنية وظروف إنتاجها ودلالاتها.

وتنحصر دوافع اختيار هذا الموضوع في تقديم قراءة نصية تطبيقية وفق المنهج اللساني الحديث (الوظيفي)، وهي دراسة تهدف إلى الاقتراب أكثر من النظرية النحوية التي تُوطّر اللغة من منظور لساني معاصر، وإرساء نتائج لدراسات سابقة في هذا المجال، والتي أذكر منها:

- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية لمصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، الجيزة - مصر، ط 1 1997م.

- نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي ليحيى بعبطيش، أطروحة دكتوراه في اللسانيات الوظيفية الحديثة، إشراف: عبد الله بوخلخال، جامعة منتوري قسنطينة - الجزائر، 2006م.

- المنهج الوصفي الوظيفي، عمار ساسي، مقال ضمن مجلة رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، جمادي الثانية 1430هـ \ جوان 2009م، العدد السادس.

ومن أجل الوصول إلى دراسة مُنسجمة تجلّ من البحث مُنطلقاً لتحقيق الأهداف العلمية المُتَظَرّة، سطرُت الخطة الآتية مُعتمداً نظام الأبواب:

- الباب الأول: عنوانه ب: (النظرية الوظيفية في النحو العربي)، ويحتوي على مقدمة وفصلين:
- الفصل الأول: التوجه الوظيفي (المفهوم، والجذور، والمبادئ)، به تمهيد ثم جعلته ثلاثة مباحث: أولها: مفهوم الوظيفة والوظيفية، وثانيها: جذور الوظيفة عند الغرب والعرب، وثالثها: مبادئ النحو الوظيفي العربي، ثم ختمت الفصل بخلاصة أجملت فيها ما تقدم عرضه في الفصل.
- الفصل الثاني: علاقات الارتباط الوظيفي في تركيب الجملة العربية، به تمهيد ثم قسمته إلى ثلاثة مباحث أيضاً، أولها: مفهوم الجملة و أنواعها، وثانيها: مفهوم الارتباط وعلاقته، وثالثها: الإسناد وأهميته في بناء الكفاءة الوظيفية، ثم خلاصة أجملت فيها ما تم عرضه في هذا الفصل، ثم ختمت الباب الأول بمجموعة من النتائج المستخلصة من الأفكار التي طرحت خلال الباب.
- أما الباب الثاني الموسوم بـ (بناء الكفاءة الوظيفية في السور المدنية)، مكون من مقدمة وثلاثة فصول بحسب مستويات التحليل في النحو الوظيفي:
- الفصل الأول لوظائف الدلالية للارتباطات الإسنادية في السور المدنية، به تمهيد وثلاثة مباحث أولها: التعريف بالوظائف الدلالية وطبيعتها، وثانيها: بنية الوظائف الدلالية، وثالثها: الأدوار الدلالية للمكونات، ثم خلاصة الفصل.
- الفصل الثاني: الوظائف التركيبية للارتباطات الإسنادية في السور المدنية، به تمهيد وثلاثة مباحث، أولها: التعريف بالوظائف التركيبية، وثانيها: خصائص المكونات (الفاعل والمفعول) في السور المدنية، وثالثها: إسناد الوظائف (الفاعل والمفعول) في السور المدنية، ثم خلاصة الفصل.
- الفصل الثالث: الوظائف التداولية للارتباطات الإسنادية في السور المدنية، به تمهيد ومبحثان، أولهما: التمثيل للوظائف التداولية الداخلية في السور المدنية، ثانيهما: التمثيل للوظائف التداولية الخارجية في السور المدنية، ثم خلاصة الفصل،
- ثم ختمت بمجموعة من النتائج المتوصل إليها من مجموع الأفكار الواردة في الباب.

- ثم خاتمة البحث ضممتها مجمل النتائج المتوصل إليها، تُحيب في مجملها عن الإشكالات العام المطروح، وهو (كيفية تشكّل الكفاءة الوظيفية للارتباطات الاسنادية في السور المدتية؟).

وللإلمام بجوانب الموضوع والإجابة عن الإشكالات المطروحة فقد استعمل الباحث جملة من المصادر والمراجع، فكان المنهج منها والموضوعي، ومن أبرز المراجع التي أفادتني مؤلفات الباحث اللغوي "أحمد المتوكل" الذي اعتمدت على رؤيته الحديثة للنحو العربي واستفدت منها في تقسيم وترتيب فصول الأبواب، أذكر منها:

* أحمد المتوكل:

- اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري).
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتدادات).
- المنهج الوظيفي في البحث اللساني، دار الأمان.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية (المقاربة المعيار).
- الوظائف التداولية في اللغة العربية.
- الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية).
- ومنها مراجع أخرى استفدت منها موضوعياً في تفسير آيات القرآن الكريم، أذكر منها:
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور.
- تفسير القرآن العظيم، اسماعيل ابن كثير (الحافظ أبو الفداء).
- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام، المنان عبدالرحمان بن ناصر السعدي.

- الجامع لأحكام القرآن (والمبيّن لما تضمنه من السنة وآيّ الفرقان)، محمد بن أحمد القرطبي (أبو عبد الله).

- جامع البيان عن تأويل آيّ القرآن، محمد بن جرير الطبري (أبو جعفر).

- تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين.

وقد استعنتُ بِمِثْل هذه المراجع المهمة وأُخَرى لا تَقَل عَنْهَا أَهَمِّيَّة في مجالي التفسير واللغة، إلاّ إنّه واجه جُمْلَةً من الصّعوبات والعقبات تتلخّص في المشكلة التي تتعلّق بتعدّد المصطلحات للمُسمى الواحد (والتي تتعلّق بنحو النصّ أو النحو الوظيفي) وصُعوبة التّوفيق بينها، والاختلاف الحاصل بين علماء التفسير في تأويل بعض معاني القرآن الكريم، ولكن بفضل الله تعالى أولاً، ثم بفضل توجيهاات الأستاذ المشرف تمكّنت من التّوفيق بينها وتوجيهها بما يخدم الموضوع.

ولا يدّعي الباحث أنّه قام بدراسة كلّ ما يتعلّق بالإسناد في السّور المدنيّة من القرآن الكريم، ولكن هي بداية للوصول إلى دراساتٍ أكثر استنباط واستقراء للنصّ القرآني، واستدلال على اختوائه ما يُوافق الرّؤى الحديثة التي تخدم اللغة العربيّة وعُلموها.

وفي هذا السّياق يُحاولُ الباحثُ تمحيصَ نظريّة النحو الوظيفي؛ باتّخاذها إطاراً للدراسة وتمّيرها في محكّ الانطباقيّة على الخطّاب القرآني في مُختلف سُوره وسياقاته.

وتحت هذا الهدف العامّ تُندرج مجموعة من الأهداف الجزئية الآتية:

- التعريفُ بنظريّة النحو الوظيفي لدى الباحثين والطلبة.

- الكشفُ عن المحتوى التّنظيري لِنماذج النظرية وتطوّره مِنْ مَهْدِهِ في هولندا وصولاً إلى العالم العربي.

- محاولة ضبط المصطلح اللساني الوظيفي في النظرية، وتجاوز إشكالية التحكم فيه بسبب كثرته وتعدده ولعلة دلالاته وتغير مفاهيمه التي ما تفتأ يلحقها التعديل أو التوسع أو التضييق أو الإلغاء والاستبدال مع كل تنظير جديد.

- توجيه وتخفيف الباحث العربي إلى ميدان خصب، يتعلق بوضع الخطاب القرآني وباقي النصوص والممدونات العربية تحت مشرح نظرية النحو الوظيفي.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أحمد الله عز وجل في علاه وأشكره على منّه وفضله أن بلغني هذا اليوم الذي طالما انتظرته في مسيرتي العلمية، أتقدم بخالص الشكر والعرفان لكل من أسهم في إثراء هذا البحث من أساتذة وباحثين، وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور "حرزولي العزوزي" على توجيهه لي وصبره عليّ، والذي ما كنت أبرح النقاش معه إلا بمزيد من العلم والثبات، فقد كان نعم المشرف وخير مؤطر، أسأل الله تعالى أن يجعل منه ذخر خير لطالب العلم.

والله وحده الموفق لما يحبّه ويرضاه، أسأله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

الطالب: عبدالمالك العايب

يوم 2022/12/15م

بالوادي

الباب الأول

النظرية الوظيفية في النحو

مقدمة:

إنّ المهتمّ بالدراسات اللسانية التي تجعل من اللغة المستعملة مادة لها، ليلاحظ أنّها تنقسم إلى تيارين اثنين:

- الأول صوري: ينظر إلى اللغة على أنّها نسق مجرد من القواعد، يمكن وصف خصائصه من دون الحاجة إلى وظيفته التواصلية.

- والثاني وظيفي: ينظر إلى اللغة على أنّها نسق رمزي، يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها التواصل.

كما أنه يعي جيّداً أن اللغة أداة تبليغ واتصال بين أفراد المجتمعات، كلّ حسب تخصّصه ومستواه، تتأثر بالأوضاع المحيطة بها إيجاباً وسلباً، لذا يقع على عاتق الباحث اللغوي مسألة ترميم اللغة وإعادة هيكلة نظامها، وجعلها تواكب مجريات عصره بما يضمن كينونتها وبقائها حية بين اللغات الأخرى، فيجد نفسه ساعياً بين وصف نظام اللغة المستعمل أو الموجود والمتعارف عليه على مرّ السنين، أو ما هو مسطرّ في كتب من سبقه، وبين ما تسفره النظريات الحديثة من تحليلات ورؤى، تجعل من اللغة كائن حيّ بين مجموع الكائنات الحية المتواصلة، ويتخيّر أيّها أجدى نفعاً وأقواها تفجييراً لمكان المعاني.

ويبقى الباحث العربي متأرجحاً بين ما يعترضه من مناهج قديمة وحديثة، يتغنى أصحابها ومنظروها بكونها تتسم بالسعة والشمول والدقّة، ولا يجد في أحد منها ما يرفع الغبن عن لغته المقدّسة، التي لم تشهد تغييراً جوهرياً منذ قرون في هيكلها ولا في منظومتها المصطلحية، الأمر الذي يدعونا إلى طرح العديد من الإشكالات، يمكن تلخيصها في التساؤلات الآتية:

- 1- ما هي المشاريع النظرية الحديثة التي طرحت نفسها كبديل للنظرية القديمة؟
- 2- ما هي المناهج اللسانية الحديثة الملائمة للنظرية العربية والتي نروم التّوجه نحوها؟
- 3- ما هي الشروط والمواصفات العلمية التي يجب أن تتوفر في النظرية حتى تضطلع باللغة إلى المستقبل؟

4- هل يمكن الجمع بين الوصف العربي القديم للغة وما تقدّمه النظريات الحديثة من تحليلات

مختصرة لنظامها؟

هذه الأسئلة وغيرها هي أكثر ما يمكن أن ننظم به عملنا في هذا الباب، ونشتغل للإجابة

عليها، وفق منهجية علمية مرتبة على الشكل الآتي:

الفصل الأول: التّوجّه الوظيفيّ (المفهوم، والجذور، والمبادئ)

الفصل الثاني: علاقات الارتباط الوظيفي في تركيب الجملة العربية

الفصل الأول:

التّوجّه الوظيفيّ (المفهوم، والجذور، والمبادئ)

أولاً: مفهوم الوظيفة والوظيفية

ثانياً: جذور الوظيفية عند الغرب والعرب

ثالثاً: مبادئ النحو الوظيفي العربي

تمهيد:

يتفق جلّ الباحثين اللغويين العرب المحدثين على ضرورة تجديد النظرية النحوية القديمة، مع اختلاف مواقفهم حولها سلباً وإيجاباً، إلا أنه يمكننا أن نميّز بين مواقفهم المحددة أو على الأقل محاولاتهم تخلص النحو العربي من القيود التي لازمته لقرون، ونحصرها في اتجاهات ثلاث:

أ- الاتجاه البنيوي: الذي ينظر في التصميم الداخلي للأعمال الأدبية بما يشمله من عناصر رئيسة متّحدة، تحكمها علاقات تنظّم وضعها، وتتضمن الكثير من الرموز والدلالات، بحيث يتيح إدراكها وتحليلها اعتماداً على عمليتي: التقطيع والتصنيف، وبعيداً عن الاهتمام بالمتكلم وبدوره في إنتاج الكلام. ومن أبرز المهتمين بهذا المنهج في العالم العربي نذكر: أنيس فريجة وريمون طحّان، ومهدي المخزومي، وإبراهيم السمرائي وغيرهم.

وفي نفس هذا الاتجاه نجد منهم من ينتصر إلى النظرية العربية القديمة، ويدعو إلى الانطلاق منها وإعادة قراءتها باستلهاهم أعمال جهابذة اللغة الأوائل، ومن هؤلاء نذكر: عبده الراجحي، وعبد السلام المسدي، وعبد الرحمان الحاج صالح وغيرهم. إلا أن صدى أفكارهم لم يتوسّع إلى الحدّ المطلوب، لاتهمهم بالتقليد والتبعية وتعقيد النحو وعدم الوصول إلى مكان اللغة السامية التي تتعدى النظام إلى التواصل.

ب- الاتجاه التوليدي التحويلي: يعدّ ثورة على الاتجاه الأول، ينطلق في وصف اللغة ودراستها من الجانب العقلي، بوصفها ظاهرة عقلية، ويعني ذلك وصف المعرفة اللغوية، وليس فقط السلوك اللغوي، لذلك اهتمت في دراساتها بالمسائل المؤثرة في نظام اللغة، واكتساب اللغة وباقي مكونات المعرفة الانسانية التي تعتمد على العقل، بوصفه المنبع الأصل للقواعد اللغوية المتاحة للتواصل.

وقد كان زعيم هذا الاتجاه في العالم الغربي "نعوم تشومسكي" لدعوته إلى دراسة الانسانية من سبيل اللغات، وذلك من خلال مجموعة من الأفكار الداعية إلى الكفاءة اللغوية، وما يسمى بالإنجاز الفعلي، وافترض المتكلم السامع المثالي وما إلى ذلك من الأصول المنهجية التي لاقت

صدى واسعاً في العالم العربي، حيث تمثّلها عبد القادر الفاسي الفهري، ومازن الوعر، وميشال زكريا، وداود عبده وغيرهم. ورغم حداثة هذه النظرية إلا أنّها أوجدت لنفسها منتقدين، يسعون إلى غيرها، لاقتصار كفايتها الوصفية التفسيرية على الجملة، دون النص، ولعدم وجود قواعد تحويلية للغة؛ وذلك لأنّ هذه القواعد هي في أساسها فرضية قائمة على الحدس والتخمين البعيد عن العلمية.

ج- الاتجاه الوظيفي: وهو اتجاه حداثي يقف من التراث موقف المنصف، ويدعو إلى عصرنته وتحريره من القيود، وتوجيهه نحو تكوين "نحو كلي" يمثل للملكة اللسانية العامة، من خلال ربط مجموعة من النظريات القديمة كنظرية "ابن جني" ونظرية النظم لـ "عبد القاهر الجرجاني"، مع نظرية الوجهة الوظيفية لـ "ماتريوس" التشيكي، ومحاولة تقريب وجهات النظر بينها، وإيجاد مبادئ كلية تجمع بين مبادئها العامة، ولعلّ أفضل من نشط في هذا الاتجاه نجد "جعفر دك الباب" في دعوته إلى "نظرية بنيوية وظيفية"، إلا أنّها تبقى دون الكفاية النمطية التي تسعى النظرية الوظيفية للوصول إليها، كما أنّها لا تتعدى الجملة بالدراسة.

ويأتي الاتجاه الوظيفي الثاني مستفيداً مما أنتجه سابقوه من رؤى علمية، فتحت الباب واسعاً لتقديم نظرية متماسكة، تعنى باللغة وما يحيط بها أفراد أو جماعات وسياقات، وتقيم حواراً مفيداً مع التراث اللغوي، وتتابع عن كثب كل التطورات والمستجدات العلمية في شتى الاختصاصات والدراسات اللسانية، لتتسم بالديناميكية من أجل الكشف عن جهاز نحوي أو بنية نحوية عامة، تتوفر فيها شروط الجمع والكلية والشمول والاقتصاد، في القواعد والأصول والاوليات، للجمع بين اللغات المتباينة نمطياً، والتوحيد بين لسانيات الجملة ولسانيات الخطاب وبين الأنساق التبليغية اللغوية وغير اللغوية أيضاً.

ولقد تبنى "أحمد المتوكل" هذه النظرة العامة للغة، مستفيداً من أفكار "سيمون ديك"، التي اتخذها إطاراً نظرياً لأبحاثه المتعددة منذ سنة 1985م، والتي حاول من خلالها أن يرسم معالم

واضحة لنظرية وظيفية جديدة للنحو العربي¹، واستطاع أن يُقدّم نظرية متماسكة، يفترض أن تكون بديلاً لنظريات قديمة سادت لعقود، نظراً لمزاياها الكثيرة وكفاياتها المتعددة، ونظرتها المنصفة للتراث اللغوي العربي، واهتمامها بالملكة التبليغية ومستوياتها المختلفة (دلالية وصرفية وتركيبية وتداولية...).

وفي هذا الباب سنحاول تقرب النظرية الوظيفية التي تبناها "المتوكل" إلى الأفهام أكثر، وبيّن مبادئها التي تقوم عليها والخطوط التي تجمعها بالنظرية النحوية العربية القديمة، وما تميّزت به عنها من رؤية معاصرة مواكبة لحركات الاقتصاد والمجتمع والسياسة والثقافة، بما يخدم اللغة العربية وأفرادها ومقدساتهم، بعيداً عن التعصّب ونبد الآخر. لذا سنتطرق في هذا الفصل إلى الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما مفهوم الوظيفة والوظيفية في اللغة واصطلاح العلماء؟
- ما هي جذور النظرية الوظيفية عند علماء الغرب والعرب؟
- ما هي المبادئ التي تقوم عليها النحو الوظيفي العربي؟

أولاً: مفهوم الوظيفة والوظيفية

من باب معرفة العلوم يكون بالعلم بمصطلحاتها، أردنا أن نعرّف بأهم المصطلحات التي يقوم عليها النحو الوظيفي، والذي عليه مدار هذا البحث نظرياً وتطبيقاً، حتى لا ندخل في معترك فوضى المصطلح، فنحيد به عن الهدف المنشود ونزيغ به إلى غيره من الحدود، فارتأينا أن نعرّف بمصطلحين اثنين: الوظيفة والوظيفية، ونبيّن بعضاً من مشتقاتهما المستعملة في الجانب النظري أو الجانب التطبيقي، كاستعمال لفظ (وظيفي) و (وظائف) وغيرهما، أو استعمالها صفة لبعض الموصوفات مثل: المنهج الوظيفي، أو الوظائف الدلالية أو الوظائف التركيبية أو الوظائف التداولية...

1 ينظر: يحيى بعبطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه في اللسانيات الوظيفية الحديثة، إشراف: عبد الله بوخلخال، جامعة منتوري قسنطينة-الجزائر، 2006، ص ١٧٠.

1- مفهوم الوظيفة لغة واصطلاحاً

1-1- مفهوم الوظيفة لغة:

لعلّه من المفيد أن نتتبع ما جاء في أهم المعاجم العربية والمعاجم الأجنبية لمصطلح الوظيفة ومشتقاتها، محاولة لضبط معنى للمصطلح بما يخدم التوجّه العام للنظرية الوظيفية، وما يفيد التوجّه الخاص للبحث.

أ- الوظيفة في المعاجم العربية:

جاء في لسان العرب لـ"ابن منظور" شرح لمادة (و ظ ف) من خلال طرح العديد من الأقوال السابقة له وجمعها على رأي واحد في مادة واحدة، لذا فهو معجم جامع موسوعي يغني عن غيره لما يحتويه غنى في المادة يجد فيه الباحث ضالته.

قال: الوظيفة من كلّ شيء ما يقدر له في كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب، وجمعها الوظائف والوظف، ووظفت الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً: ألزمها إياه، وقد وظف له توظيفاً على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل، والوظيف لكل ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق، ووظيفاً يدي الفرس: ما تحت ركبتيه إلى جنبه، ووظيفاً رجله: ما بين كعبه إلى جنبه. وقد نقل في مفهوم "الوظيفة" أقوال عدة علماء¹.

قال "ابن الأعرابي": الوظيف من رسغي البعير إلى ركبتيه في يديه، وأما في رجله فمن رسغيه إلى عرقبيه، والجمع من كلّ ذلك أوظفة ووظف، ووظفت البعير أظفه وظفاً إذا أصبت وظيفه.

قال "الجوهري": الوظيف مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوهما، والجمع أوظفة، وفي حديث حدّ الزنا: فنزع له بوظيف بعير فرماه به فقتله؛ قال: وظيف البعير: خفه، وهو له كالحافر للفرس.

وقال "الأصمعي": يستحب من الفرس أن تعرض أوظفة رجله، وتحدب أوظفة يديه، ووظفت البعير إذا قصرت قيده، وجاءت الإبل على وظيف واحد، إذا تبع بعضها بعضاً كأنها

¹ محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط3 1994م، ج9، ص358.

قطار، كلّ بغير رأسه عند ذنب صاحبه. وجاء يظفه، أي: يتبعه، ويقال: وظف فلان فلاناً يظفه وظفاً إذا تبعه، مأخوذ من الوظيف، ويقال: إذا ذبحت ذبيحة فاستوظف قطع الحلقوم المريء والودجين، أي: استوعب ذلك كله¹.

قال الشاعر²:

أبقت لنا وقعات الدهر مكربة **** ما هبت الريح والدنيا لها وظف

أي: دول، وفي التهذيب: هي شبه الدول، مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء.

وبعد تطوّر مادة: وظف عن أصل دلالاته الذي كان يرمز ليدي الفرس، أو لرجليها أو لنوع من السير في عدو الإبل، أو الخيل³. يعتبر "الرازي" الإلحاق والإتباع معنى من معاني كلمة الوظيفة⁴.

ولفظ (وظيفة) يوردها "الزنجشيري" بنفس المعاني السابقة، إلا أنه يضيف إليه المعنى المجازي، فقال: «ومن المجاز: للدنيا ووظائف، أي، تُوب ودول»⁵.

وفي التهذيب هي: شبه الدول، مرّة لهؤلاء، جمع الوظيفة، أي: جعلت وظيفة للناس. ويقال: سبّع فلان القرآن إذا وظّف عليه قراءته في سبع ليال⁶.

جاء في "المعجم الوسيط" في مادة (وظف): وظّف الشيء على نفسه ووظّفه توظيفاً: ألزمها إياه.. وجاء يظفه، أي: يتبعه .. ويقال: وظف فلان فلاناً إذا تبعه، والوظيفة: المنصب والخدمة المعينة⁷.

نستمدّ من هذه النصوص معنيين اثنين للوظيفة:

¹ محمد بن مكرم (ابن منظور)، المصدر نفسه. ج 9، ص 359.

² ينظر: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تح: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د. ط) 1987م، ج 4، ص 465.

³ ينظر: محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تع: أبو الوفاء الحوريني، دار الكتاب الحديث، القاهرة-مصر، ط 1، 2004م، ج 3، مادة: وظف، ص 198.

⁴ الرازي، مختار الصحاح، ص 392.

⁵ ينظر: عمر بن أحمد أبو القاسم الزنجشيري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 1998م، ج 2، ص 343.

⁶ محمد بن أحمد الأزهري أبو منصور، تهذيب اللغة، ص 189.

⁷ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، إشراف مجموعة من الأساتذة: شوقي ضيف رئيساً، شعبان عبد العاطي عطية، وأحمد حامد حسين، جمال مراد حلمي أعضاء، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 4، 1325هـ/2004م، مادة: وظف، ص 1041-1042.

- الأول: الالتزام بتحديد مقدار معين قد يكون عينيا كالطعام والشراب، وقد يكون معنويا كالحفظ، لكنه لا يخرج عن كونه لازم هذا المقدار كعادة يومية متكررة.

- والثاني: ارتباط معنى الوظيفة بمنطقة محددة من أطراف ذوات الأربع، وجمعها: وظفٌ: وهي تعني: الأدوار والتزاماتها وتغييراتها.

ب- الوظيفة في المعاجم الأجنبية:

يقابل لفظ الوظيفة في اللغات الأجنبية مصطلح (fonction)، وفي أصلها الإغريقي (Fonk syon) أو اللاتيني (Functio) تعني بصفة عامة: الالتزام بأداء واجب أو خدمة أو عمل معين، أو أي شيء مفيد أو مناسب للمجتمع أو الجماعة أو المؤسسة، إبراءً للذمة أداءً للواجب¹. وتأني بمعان غير بعيدة عن التي وردت في المعاجم العربية الحديثة بما يُناسب التطور الدلالي للمصطلح، ليستوعب المفاهيم والصيغ السابقة، ويلاحق الصيغ والمفاهيم المستحدثة في زمنه. فنجد:

- functoin تعني: وظيفة جمع وظائف، أو عمل جمع أعمال، أو مهمة جمع مهام.

- functional تعني: وظيفي [نسبة إلى وظيفة]

Efficiency- functional: كفاءة وظيفية.

- functionalism وتعني: الوظائفية، النزعة الوظائفية، وهي: نظرية تقول بوجوب دراسة الظواهر الثقافية، من حيث الوظيفة التي تؤديها².

ونجد في العصر الحديث أن لكل شخص دورا معينا، ضمن وظيفة محددة بحسب ما أسند إليه، هذا التوسع في استعمال لفظ الوظيفة جعلها صفة لكثير من العلوم الحديثة، مثل: التنظيم الوظيفي، الاستقلال الوظيفي، تربية وظائفية، سلطة وظيفية، علم النفس الوظيفي.. الخ

¹ ينظر: يحي بعبطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، ص22.

² AL-Mounged (English-Arabic), Librairie Orientale Publishers, P.O Box, Beirut-Lebanon, Second edition 1997, P324.

وإذا ما أسقطت المعاني الواردة في المعاجم العربية والمعاجم الأجنبية على اللغة، وجدناها تؤدي الوظيفة التواصلية، باعتبارها ظاهرة اجتماعية، تقوم هذه الوظيفة على أساس الدور الذي تلعبه الوحدات اللسانية داخل نظامها، المتكون من وحدات لسانية متفاعلة، يؤثر بعضها في بعض، وعليه تكون اللسانيات الوظيفية تعني: دراسة العناصر اللغوية، من خلال وظيفة كل منها في الملفوظ، ضمن عملية التبليغ، يلعب فيه الجانب النحوي ذلك الدور، وهو دور الكلمة أو زمرة من الكلمات داخل الجملة، ومن ذلك وظائف الصفات والأسماء كأن تكون فاعلاً أو مفعولاً¹.

1-2- مفهوم الوظيفة اصطلاحاً:

أما المعنى الاصطلاحي للوظيفة في الدراسات اللغوية فقد ظهر مع استقرار التوجه اللساني للبحث في وظائف اللغة البشرية، وذلك بعد أن أقرّ "دو سوسير" بأن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل (الوظيفة التبليغية)، حين يرد مصطلح الوظيفة دالاً على علاقة؛ فالمقصود العلاقة القائمة بين مكونين أو مكونات في المركب الاسمي أو الجملة كأحد مكونات الخطاب.

في النحو الوظيفي يستخدم مصطلح الوظيفة للدلالة على كل العلاقات التي يمكن أن تقوم داخل الجملة، أو داخل المركب مثال ذلك: أن النحو الوظيفي يميز بين ثلاث مستويات من الوظائف، وظائف دلالية (منفذ، متقبل، مستقبل، زمان، أداة،...) ووظائف تركيبية (فاعل، مفعول) ووظائف تداولية (محور، بؤرة، مبتدأ، ذيل، منادى)، تنتمي إلى هذه المستويات الوظيفية الثلاثة العلاقات القائمة داخل الجملة.

لقد واكب استعمال مصطلح الوظيفة مفاهيم مختلفة، وتخصصات عديدة، لكن يتعلّق الأمر في هذا الموضع بالوظائف النحوية، التي تقف في مقابل البنية الكلامية، وهي الشكل الذي يظهر عليه تركيب اللغات الطبيعية ونمذجتها، على صورة علاقات نحوية مثل: الفاعل، المفعول... الخ،

¹ ينظر: يحيى بعيطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، ص23.

ويجب أن تظهر هذه العلاقات في صياغة عدد من القواعد أو المبادئ الكلية التي تحكم ما يسميه "دجونسون" johnson (1977م) مسألة وجود القواعد، ومسألة انتقائها:

- وتعلّق مسألة الوجود بمعرفة أنواع القواعد التي يمكن أن نجدها في اللغات الطبيعية.
- أما مسألة الانتقاء فتتعلّق بمعرفة الشروط التي يمكن ضمنها لِلُّغَةِ ذات خصائص معينة أن تكون لها قاعدة معينة تنتمي إلى مجموعة من قواعد ممكنة في لغة واحدة¹.

ويمكن إرجاع هذه المفاهيم إلى مفهومين اثنين، الوظيفة كعلاقة، والوظيفة كدور.

الوظيفة العلاقة: المقصود بها العلاقة القائمة بين مكونين أو مكونات في المركب الاسمي أو الجملة، وهذا المصطلح بهذا المعنى متداول بين جل الأنحاء مع اختلاف من نحو إلى آخر، وتكون الوظائف علاقات مشتقة حين يتم تحديدها على أساس موقع المكونات داخل بنية تركيبية معينة .

الوظيفة الدور: يقصد بها الغرض الذي تسخر الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه.

إذن فمفهوما الوظيفة كعلاقة والوظيفة كدور متباينين؛ حيث أن العلاقة هي رابط بنيوي قائم بين مكونات الجملة أو مكونات المركب، في حين أن الدور يخصّ اللغة بوصفها نسقا كاملا، إلا أن هذا التباين لا يلغي ترابطهما، من حيث أن وظيفة اللغة تحقيق التواصل بين مستعمليها، تضاف إليها الوظائف التركيبية والدلالية ووظائف أخرى، كما يغلب أن تتخذ الوظائف وضع وظائف أولى غير مشتقة.

نستخلص مما سبق أن الوظيفة اللغوية تعني: ما تقوم به الأنساق اللغوية وغير اللغوية لإقامة التواصل بين المتخاطبين، من خلال اجتماعها وتراسفها، أو استحضارها وفق ترتيب يضمن عملية التفاعل، لذلك دعا النحو الوظيفي إلى بناء نظرية تواصلية عامة، تنتظم فيها هذه الأنساق وفق منهج مناسب. ولقد تمّ له ذلك تحت مسمى النظرية الوظيفية التي تبنى أفكارها "أحمد المتوكل" وبلورها بما يخدم اللغة العربية ويجدد نصوصها.

¹ عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توباق للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المملكة المغربية، ط4 2000م، ج1، ص78.

2- مفهوم الوظيفية:

وهي المعيار الذي تميّز به اللسانيات الوظيفية، والتيار الوظيفي الذي يسعى إلى تفسير الخصائص الصورية للغة بربطها بالوظيفة التواصلية للسان، خلافاً للنظريات اللسانية التي تذهب إلى ضرورة الفصل بين بنية اللغة ووظيفتها التواصلية.

وهي جهاز نظري يجمع بين الأنساق المختلفة (اللغوية وغير اللغوية)، يصطلح عليه "النظرية الوظيفية" حيث نستطيع أن نحدد طبيعتها وبنيتها¹:

أ- أما من حيث طبيعتها فهي نظرية وظيفية إذ أنها تعتمد منهجياً أنظومة المبادئ الوظيفية المعروفة، التي في مقدمتها مبدأ تلازم الوظيفة والبنية، وتحديد الوظيفة للبنية .

ب- أما من ناحية بنيتها، فهي إطار نظري وظيفي عام يتضمن مجموعة النظريات الوظيفية اللغوية وغير اللغوية. أي النظريات الوظيفية التي تخصّ مختلف انساق التواصل.

ج- وأما من حيث الدور الذي من المتوقع أن تقوم به والذي تجدد فيه تبريرها، هو إفراز أنحاء نمطية ترصد خصائص جوامع النمط الواحد من اللغة، وخصائص الفرد الواحد من الأنماط المختلفة.

وقد حاول "أحمد المتوكل" تقديم تصوّر للتفريق بين التوجّه الوظيفي والتوجه غير الوظيفي، مركزاً على إظهار أهمّ نقاط الائتلاف الاختلاف، مؤكداً على أنّ ما يخالف بين هذين التوجهين كثر مما يؤالف بينهما:

أ- وجوه الائتلاف:

من النقاط التي يرى "المتوكل" أنها تجمع بين هذين الاتجاهين اتفاقهما وفق نظرة عامة، في الموضوع، والهدف، وحدود المعالجة؛ مورداً أنها نظريات تتخذ موضوعاً لهذا اللسان الطبيعي محاولة بناء نموذج صوري (تجريدي) يستوعب الظواهر الموصوفة، وهدفها هو استكشاف الخصائص

¹ ينظر: أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، دار الأمان، الرباط-المغرب، منشورات الاختلاف-الجزائر، منشورات ضفاف-بيروت، ط1 1437هـ\2016م، ص61-62

الجامعة بين اللغات الطبيعية على اختلاف أنماطها، إضافة إلى هذا فهي لا تتوقف عند الوصف الصرف للظواهر اللغوية، بل تتعداه إلى محاولة تفسير هذه الظواهر.

- كما يورد أن الأنحاء التي تبنيها النظريات هي أنحاء قدرة لا أنحاء إنجاز، أي وصف قدرة المتكلم اللغوية التي تمكنه من التواصل.

- وفي بنائها لهذه الأنحاء للفرد، بدرجات متفاوتة، مستويات لتمثيل الجوانب التركيبية والدلالية.

ب- وجوه الاختلاف:

ركز "المتوكل"، لبيان أوجه المفارقة والاختلاف، على نقاط كثيرة أهمها: وظيفة اللغة، والعلاقة

الناشئة بين بنية اللغة ووظيفتها، وكذا حدود القدرة، وموقع الجوانب التداولية من تمثيلها ...

فوظيفة اللغة في النظريات غير الوظيفية هي التعبير عن الفكر، في حين نجد أن النظريات الوظيفية ترى فيها وسيلة للتواصل الاجتماعي.

واستتباعاً لهذه الوظيفة ترى النظريات الوظيفية أن بنية اللغات لا يمكن أن ترصد خصائصها إلا إذا ربطت بهذه الوظيفة، خلافاً للنظريات غير الوظيفية التي ترى في بنية اللغة نسقاً مجرداً يمكن وصف خصائصه بمعزل عن وظيفته.

ومن ثمة فقدرة المتكلم/السامع عند غير الوظيفيين، هي معرفته للقواعد اللغوية الصّرف (الصوتية، والتركيبية، والدلالية)، أما عند غير الوظيفيين فهي معرفة المتكلم لقواعد اللغة ولكيفية قواعد اللغة (الصوتية، والتركيبية، والدلالية)، مضافاً إليها القواعد التداولية، ومن ثمة فتعلم الطفل للغة ما هو تعلم للنسق الثاوي خلفها ولكيفية استعمالها.

المستوى التداولي في النظريات الوظيفية يحتل داخل النحو موقعا مركزيا، حيث إنه يحدد والمستوى الدلالي الخصائص الممثل لها في المستوى التركيبي الصرفي، أما في النظريات غير الوظيفية إذا وجدن فهو لا يقوم إلى جانب المستوى الدلالي إلا بدور التأويل.

وإذا استطعنا أن نُميّز بين التوجه الوظيفي من غير الوظيفي، اعتماداً على نقاط المؤالفة والمخالفة، فإن هناك نظريات كثيرة تشاركه نفس الحقل.

- فما هي أهم هذه النظريات؟ وما هي جذورها الفلسفية عند علماء الغرب وعلماء العرب؟

ثانياً: جذور الوظيفية عند علماء الغرب والعرب

1- جذور الوظيفية عند الغرب:

تعددت النظريات اللغوية في أوروبا أواخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين كما تكاثرت داخل النظرية اللغوية الواحدة النماذج والاقتراحات المختلفة والمحاولات الجادة والمثمرة لجهات بحثية معينة ذات التوجه المعين من أجل تنظيم الجهاز الوصف للغة وصوغ بنية نحوية متكاملة ومتماسكة منمذجة تنطلق في وصف وتفسير خصائص اللسان الطبيعي من مفهوم وظيفة اللغات في التفاعل داخل المجتمعات البشرية وما تؤديه من مهمات التواصل تحت مسمى نظري ألا وهو (الوظيفية).

1-1 - الوظيفية والنمذجة:

تقدم التعريف بالوظيفية والمقصود بالنمذجة هي عملية بناء الجهاز الوصف وتنظيم مكوناته بحيث يكفل التمثيل الملائم (أو الظواهر) المروم رصدها. ويتم بناء الجهاز الوصف (أو النموذج) انطلاقاً من المبادئ المنهجية المتضمنة في النظرية وهي:

أ) اللغة والوظيفة: وهي دراسة اللغة باعتبار الدور الذي تقوم به وهو التواصل.

ب) الوظيفة والبنية: وتنطلق من مبدأ أن الوظيفة التواصلية تحدّد بنية اللغة، كما أن أفعال البشر وتفاعلاتهم تأخذ البنية التي تلائم الوظيفة المستعملة من أجلها.

ج) الوظيفة والقدرة اللغوية: وهي معرفة المتكلم أو السامع للغته وقواعدها، وتكييفها حسب المواقف التواصلية الفعلية، والتي تجعل منه فرداً قادراً على التفاعل.

(د) الوظيفة والكليات اللغوية: وهي الوظيفة التي يقوم بها هذا المنهج من أجل رصد الخصائص التي تتقاسمها اللغات الطبيعية على اختلافها، من أجل الوصول إلى بناء الجهاز الكلي الواصف (نحو كلي).

(هـ) الوظيفة وموضوع الوصف: وتعني وظيفة الدرس اللغوي، وهو وصف معرفة المتكلم أو السامع للغة (قدرته اللغوية).

(و) الوظيفة والمفاضلة بين الأنحاء: يقوم المنهج الوظيفي بالانتقاء، من بين مجموعة من الأنحاء النحو الكافي، الذي يصف اللغة وصفا يكشف عن ترابط خصائصها البنيوية وخصائصها الوظيفية .

انطلاقاً من المبادئ المذكورة التي يعتمد عليها الدرس اللغوي ذو التوجه الوظيفي، يتحتم أن يستجيب جهازه الواصف إلى الشرطين الآتيين¹:

- أن يتضمن من بين مكوناته مكوناً يضطلع بالتمثيل الجوانب التداولية بالإضافة إلى المكونات التي تتكفل بالتمثيل للجوانب الأخرى والجوانب الدلالية والتركيبية الصرفية والصوتية.
- أن يكون منظماً على أساس أن الجوانب التداولية، تقوم بدور معين في تحديد الجوانب التركيبية الصرفية.

وعليه فالنموذج اللغوي الذي يمكن أن يُعدّ نموذجاً وظيفياً يكفل التمثيل الملائم للظواهر اللغوية، هو النموذج الذي يضمن مكوناً يفي بالتمثيل للجوانب التداولية، واعتبارها خصائص تُسهم في تحديد البنية التركيبية الصرفية للجملة، إلا أننا نجد من الأنحاء ما يتوفر على شرط دون آخر، فلا يمكن اعتبار أيّاً منها نحواً وظيفياً، ومنها النظرية التوليدية التحويلية ونظرية التركيبات الوظيفية ونظرية الوجهة الوظيفية للجملة، ونظرية التركيب الوظيفي.

ويأتي بعد ذلك النحو الوظيفي متمثلاً بالمنهجية العامة للدرس اللغوي متوفراً على الشرطين السابقين.

¹ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 100.

1-2- الوظيفية في النظرية التوليدية التحويلية:

يتوقَّر هذا النموذج على الشرط الثاني من شروط الجهاز الواصف للتَّوجُّه الوظيفي، وهو:

- صياغته على أساس مبدأ اسهام الجوانب التداولية في تحديد البنية التركيبية الصرفية لجملة اللغات الطبيعية، حيث نجد هذه الصياغة في التَّوجُّهين (البراغماتكس) و (التركيبات الوظيفية).

1-2-1- البراغماتكس: يقوم هذا التَّوجه على أساس مبدأين اثنين¹:

(أ) عدم استقلال التركيب بالنسبة للدلالة.

(ب) الطبيعة الدلالية للبنية مصدر الاشتقاق.

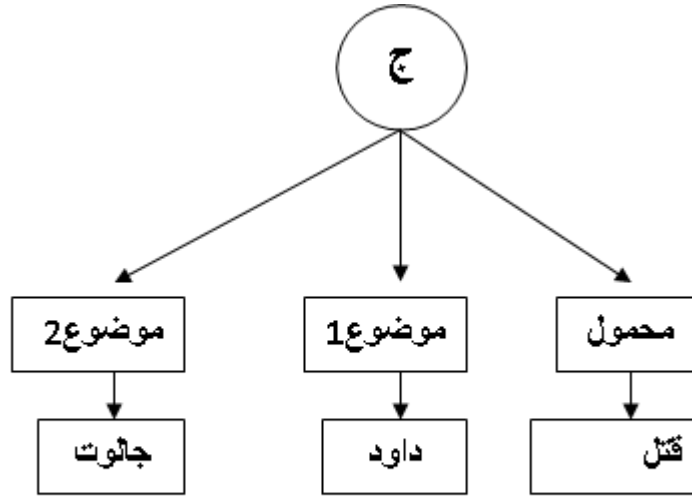
وهي نظرية تعتبر نموذجاً من أهم النماذج المقترحة في إطار النظرية التوليدية التحويلية، التي صيغت على أساس المبدأين السابقين، بحيث يُمثَّل للخصائص المنطقية والتركيبية في بنية تحتية واحدة هي: البنية المنطقية الدلالية التي تتضمن محمولاً فعلياً أو اسمياً أو وصفيّاً يربط بين عدد من الموضوعات، حيث تعدّ المحمولات وحدات معجمية مركبة تجمع بين دلالة مدججة ودلالة مدججة، كما يتضح من البنية الآتية:

- قال الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾².

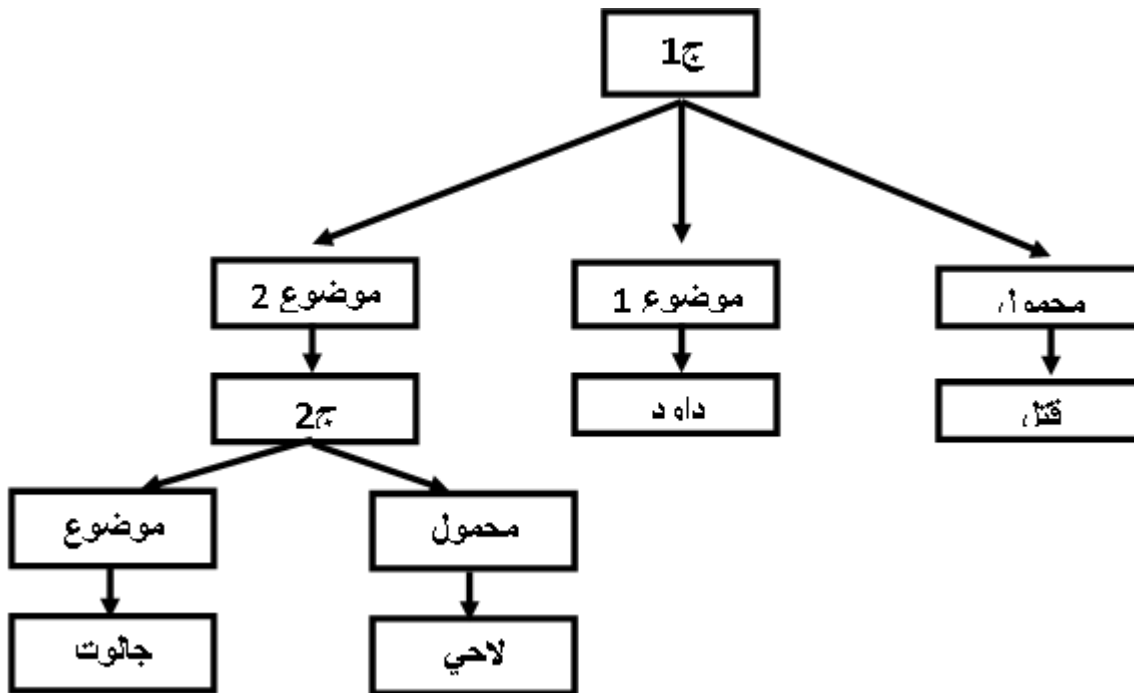
¹ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص101.

² سورة البقرة، ص251.

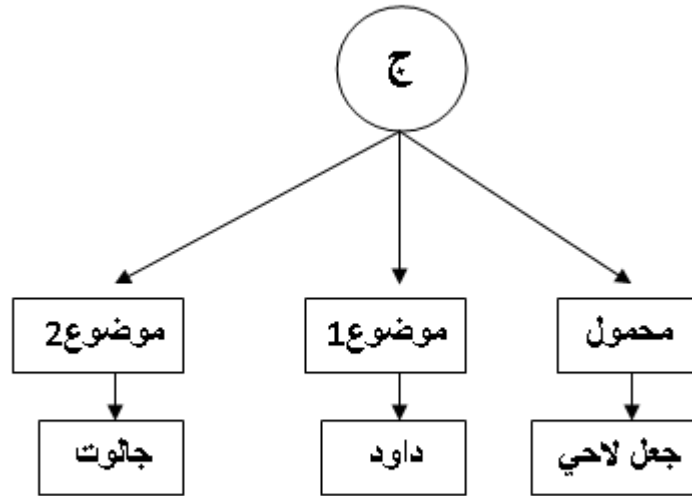
حيث يمكن تمثيلها بالمخططات الآتية:



البنية مصدر اشتقاق الجملة في الواقع



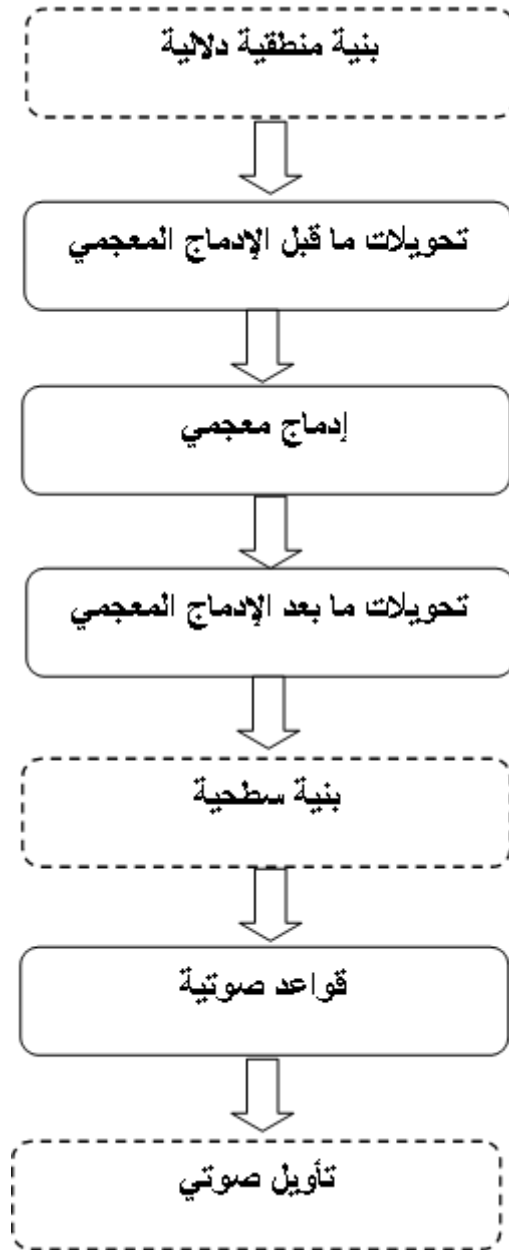
البنية مصدر اشتقاق الجملة في الواقع



من محمول الجملة المدمجة إلى محمول الجملة المدمجة

وبواسطة قاعدة الادماج المعجمي يُعوّض المحمول المركّب بالمفردة الملائمة، وتُعدّ البنية خرج الإدماج المعجمي دخلاً للقواعد التحويلية كقاعدة تكوين الفاعل، التي يستلزمها ترتيب المكونات سيما في اللغات ذات البنيات الترتيبية المتقدّم فيها موقع الفاعل على الفعل. ثم تنتقل البنية التحتية إلى بنية مسطحة تؤوّل صوتياً عن طريق القواعد الصوتية الفونولوجية، ويمكن تلخيص بنية النحو في نظرية الدلالة التوليدية بالترسيمة الآتية¹:

¹ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 104.

تمثيل دلالي

يلاحظ من هذا الشكل أن النحو في نموذج الدلالة التوليدية لا يتضمن مكوّناً دلالياً بخلاف النماذج التوليدية، ذات الطابع التأويلي¹، وقد عُدت هذه البنية المستوى الملائم للتمثيل للخصائص التداولية. فأغنيت منذ أوائل السبعينات بمفاهيم تداولية مقترضة من فلسفة اللغة العادية، كمفهوم الفعل اللغوي، ومفهوم الاقتضاء، ومفهوم البؤرة².

¹ ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005م، ص213.

² ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص105.

1-2-2- نظرية التركيبات الوظيفية:

يُعرّف "كونو" اللسانيات الوظيفية بأنها: «مقاربة لتحليل البنية اللغوية، تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر هذه البنية، بالإضافة إلى علاقاتها البنيوية»¹، ويحدّد التركيب داخل إطار «(التركيبات الوظيفية) أحد حقول اللسانيات الوظيفية، حيث تُحلّل البنيات التركيبية على أساس وظائفها التواصلية»². ومعناه: أن يكون للدراسة اللغوية نموذج معيار موسّع في إطار النظرية التوليدية التحويلية، يسعى إلى رصد خصائص التركيبات الوظيفية، عن طريق إدماج نسق من القواعد والقيود المرتبطة بوظيفة التواصل، حيث تردّ إليها بعض المفاهيم، منها:

أ) **المعلومة القديمة:** وتعني: أن يُحِيل عنصر ما من عناصر الجملة المعلومة القديمة، إذا كان وارداً في السياق السابق.

ب) **المعلومة الجديدة:** وتعني: أن يُحِيل عنصر ما من عناصر الجملة المعلومة الجديدة، إذا لم تكن واردة في السياق.

ج) **المحور:** ونعني به: العنصر محطّ الحديث في الجملة.

د) **البؤرة:** ونعني بها: العنصر الحامل للمعلومة الأجدّ.

1-3- الأنحاء الوظيفية:

الأنحاء الوظيفية هي مجموع الأنحاء التي تنتمي إلى نموذج لغوي مقترح في إطار النظرية التوليدية التحويلية، ومصوغ انطلاقاً من منظور وظيفي³.

وبالتحديد هي: نحو الوجهة الوظيفية للجملة والنحو النسقي، ونحو التركيب الوظيفي والنحو الوظيفي:

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص113.

² ينظر: المرجع نفسه، ص113.

³ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص177.

1-3-1 نحو الوجهة الوظيفية للجملة:

إهتم هذا النحو بالجانب النفسي للجملة انطلاقاً من منظور (الفاعل النفسي)، وذلك عند علماء الألمان، ثم واصل علماء في أوروبا الاهتمام بهذا الجانب من النحو مروراً بتشيكوسلوفاكيا سنة 1926 على يد "ماثيسوس"، الذي اعتمد مصطلح الوجهة الوظيفية للجملة كأحد المفاهيم المتحكمة في ترتيب المكونات¹. حيث أضاف إليها "دانيش" مستويات التحليل الثلاثة وهي: المستوى الدلالي والمستوى النحوي والمستوى الوظيفي.

- **فالمستوى الدلالي:** يتم فيه دراسة الحدث والمشاركين فيه (المنفذ، المستقبل).

- **والمستوى النحوي:** يتم فيه تتبع حركة المكونات الأساسية الثلاثة (المنفذ والحدث والمستقبل) على أساس أنهم فاعلاً وفعلاً ومفعولاً.

- **والمستوى الوظيفي:** وهو مستوى يتم فيه تنظيم الجملة على أساس مطابقتها للسياق التواصلية، من خلال تضمينها مكونين أساسيين هما: المحور (الدال على ما يشكل حط الحديث والمكون التعليق (الدال على ما يشكل الحديث ذاته).

وقد أضاف "فيرباس" إلى المستوى الوظيفي مفهوماً جديداً سماه (الحركة التبليغية) ويقصد به: إسهام مكونات الجملة في تقديم التواصل وتطوره، وذلك لاختلاف مكونات الجملة، فتتغير حركتها تبعاً لاختلاف استعمالاتها، حسب قِدَم وجَدّة المعلومات. مثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾². الفاء استئنافية. (تلقى): فعل ماضٍ مبني على الفتحة المقدرة. (آدَمُ) فاعل. (مِنْ رَبِّهِ): متعلقان بالفعل. (كَلِمَاتٍ): مفعول به منصوب بالكسرة عوضاً عن الفتحة. (فَتَابَ): الفاء حرف عطف، تاب فعل ماضٍ والجملة معطوفة على محذوف والتقدير قالها فتاب. (عَلَيْهِ) متعلقان بالفعل تاب. وجملة: (تلقى) مستأنفة.

¹ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 177.

² سورة البقرة، الآية 37.

وينظر نحويّاً وجهياً حسب هذه النظرية إلى الآية على أنّها تؤدي وظيفة تبليغية في إطار بنيتها التركيبية (الفاعل والفعل والمفعول به) فالفاعل (آدم) والفعل (تلقى) والمفعول به (كلمات) فتوزع درجات الحركة التبليغية على النحو التالي:

- يأخذ المكون المفعول (كلمات) الدرجة الأولى وهيا أعلى درجات الحركة التبليغية، باعتباره المعلومة الجديدة على مستوى تنظيم الجملة (المستوى الوظيفي).

- ويأخذ المكون الفعل (الحدث) الدرجة الثانية باعتباره دال على ما يشكل الحديث عن المفعول.

- ويأخذ المكون الفاعل (آدم) الدرجة الثالثة وهي أدنى درجات الحركة التبليغية لأنه يشكل المعلومة القديمة، والتي تعطي الأسبقية لغيرها من المكونات للتقدم في الأسلوب التواصلية وتطوره. وحسب هذا التمثيل يمكن التمييز بين المحور والتعليق بالجدول الآتي:

محور	تعليق
- يشكل موضوع الحديث.	- يشكل الحديث ذاته
- يشكل معلومة متقاسمة (قديمة)	- يشكل المعلومة الجديدة
- مكون غير منبور	- مكون حامل لنبر الجملة
- أدنى درجات الحركة التبليغية	- أعلى درجات الحركة التبليغية

1-3-2- النحو النسقي:

يقوم هذا النوع من النحو على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: الوظيفة، والنسق، والبنية.

- فالمقصود بالوظيفة في النحو النسقي مبني على ما جاء به "هاليداي" من اقتراح للوظائف وتفسيرها وهي: الوظيفة التمثيلية، والوظيفية التعالقية والوظيفة النصية¹. وكلها وظائف تقوم بها اللغة على مستوى التكلم أو موقفه إثراء مخاطبه أو اتجاه فحوى خطابه وتنظيمه طبقاً لمقتضيات الموقف التواصلية، فتجعل منه نصاً متماسكاً ومتسقاً.

¹ ينظر: هاليداي، وظائف اللغة، تر: محمود أحمد نخلة، اللسان العربي، أعمال ندوة استثمار المصطلح الموحد الصادر عن مؤتمرات التعريب، الرباط-المغرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد: 54، 1423، 2002، ص112 وما بعدها.

- والنسق يعني الكيفية والطريقة المعتمدة في ترتيب المكونات داخل الجملة، باعتبارها تعبيراً عن حدث يحتوي على المشاركين والظروف والأنساق أنواع:

أ) نسق التعدية: حين يشارك في رفع الحدث أكثر من مكون أو مكونين في الجملة، مثال ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾¹، (أَصْوَاتُكُمْ) مفعول به (فَوْقَ) ظرف مكان (صَوْتِ) مضاف إليه (النَّبِيِّ) مضاف إليه . ويمكن التمثيل للجملة المذكورة في الآية بالشكل الآتي:

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي

حدث	منفذ	مستقبل	زمان	لاحق	لاحق
		مشاركون	ظرف	لاحقان	
جملة					

ب) نسق الصيغة: وهو إعادة ترتيب الجملة تبعاً لصيغة فعلها (حدثها) من ناحية التدليل أو الأمر، أو من ناحية صيغة الإثبات أو النفي. فالمثال السابق نستطيع أن نرتب مكوناته على الشكل الآتي:

لا ترفع	المؤمنون	أصواتكم	فوق	صوت النبي
حدث	منفذ	مستقبل	زمان	لاحق
صيغة	قضية			
محمول	فاعل	فضلة	توابع	

ج) نسق المحور: وهو عملية إنجاز مكون محورا دالا على محط الحديث داخل الجملة أو النص باعتبارها سلسلة من العناصر، بحيث يتميز هذا المكون المحور على غيره من المكونات الأخرى مثل (مكون التعليق، والمكون المعطى (القديم) والمكون الجديد) باعتباره واردا جوابا لسؤال. مثال ذلك:

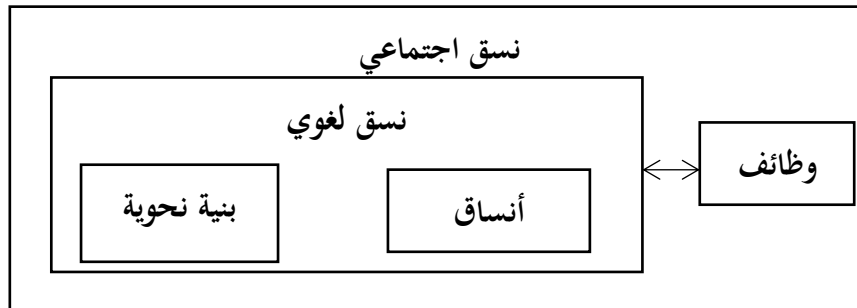
¹ سورة الحجرات، الآية 2.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجَرَّةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ الْآلِيمِ ۖ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾¹. فيكون ترتيب المكونات حسب نسق المحور كالآتي:

يدخل	الله	المؤمنين	جنات \ تحتها	طيبة
حدث	منفذ	متقبل	مكان	لاحق
صيغة	قضية			
محمول	فاعل	فضلة	توابع	
	محور	تعليق		
معطى	جديد			

(د) بنية النحو في اللغويات النسقية:

وهو نوع من أنواع النحو النسقي، ينطلق من اقتراحات "هاليداي" للوظائف الثلاث وهي: (الوظيفة التمثيلية والوظيفة التعالقية والوظيفة النصية) إلا أنه يعتبرها مفاهيم يمكن إدراجها ضمن نظرية عامة للسلوك الاجتماعي اللغوي للإنسان، وتنعكس على مستوى نحو اللغة كمفاهيم لغوية، كمفاهيم الدلالية أو التركيبية أو التداولية، وتمثل تلك الوظائف الاجتماعية بالنسبة للسلوك اللغوي بالرسم الآتي²:



ويمكننا أن نستنتج من خلال هذا التمثيل ثلاث نقاط:

- الأولى: وجوب التفريق بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي (خارج عن نطاقها).
- الثانية: شدة الارتباط بين السلوك الاجتماعي وطبيعة البنية النحوية.

¹ سورة الصف، الآية 10-12.

² ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص: 125.

- الثالثة: موضوع التحليل اللغوي ليس الوظائف وإنما الخصائص البنيوية للغة على أساس أنّها انعكاسات لتلك الوظائف.

1-3-3- التركيب الوظيفي: ويسمى أيضا (نحو الأدوار والإحالة)، وقد اقترحه "فان فالين" و"فولي" اللذان ينطلقان من المنظور العام للنحو والقاضي بوجود ثلاث بنيات وهي: البنية الدلالية والبنية التداولية والبنية الصرفية التركيبية، إلا أنّهما لا يحدان التركيب مستقلا عن بقية المكونات، بل هو كون يدخل في تفاعل مع بقية المكونات لإنتاج البنية الصرفية التركيبية، وفيما يلي تفصيل لتلك البنيات¹:

1) البنية الدلالية: وتقوم هذه البنية على مفهومين أساسيين هما:

- مفهوم الأدوار الدلالية (أو المحورية).
- مفهوم انقسام المحمول إلى مجموعة من المحمولات الأولى وبهذين المفهومين يمكن اختزال الأدوار الدلالية في دورين دلاليين أساسيين:
- **دور العامل:** وهو الموضوع الدال على المشارك الذي ينجز الواقعة التي يدل عليها المحمول أو يتسبب في إنجازها أو يراقبها.
- **دور المتحمل:** وهو الموضوع الدال على المشارك الذي لا ينجز ولا يراقب أي واقعة بل يتحمل ويتأثر بإنجازها، ونضرب لذلك مثالا.

قوله تعالى: **(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ)** فاعامل (الوالدات) أدى دور الموضوع الدال على المشارك الذي ينجز الواقعة التي يدل عليها محمول (الإرضاع). والمتحمل (أولادهن) يؤدي دور المشارك الدال على الشخص المتأثر بالواقعة. حيث يمكن أن نوضح بنية هذه الجملة بالتمثيل الآتي:

يرضعن	الوالدات	أولادهن	حولين
محمول	العامل	المتحمل	زمن
نواة	صلب	صلب	هامش

¹ ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص: 126.

(ب) البنية التداولية: في التركيب الوظيفي المقترح من طرف "فان فالين" و"فولي"، يقصد بالبنية التداولية: البنية المنظمة على أساس الأدوار الخطابية التي تحملها مكونات الجملة، ويقترح لها مكون يتموقع بين العناصر المكونة للجملة سماه "العماد" أو مصطلح (القيمة التداولية)¹.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبَعُواهُمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ أُولَئِكَ أَجْرُ اللَّهِ أَجْرًا وَهُمْ فِي سَفَرٍ مَّا نَدْرِي وَسَيَرْجِعُهُمْ فِي كَلْبِ الْأُنُفُسِ إِنَّ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا حِصَّةٌ وَلَا لَهُمْ فِيهَا عِشْرُونَ﴾².

هذه الجملة الإخبارية يؤدي المكون (السابقون) الدور التداولي العماد (عنهم)، كما أن لفظ الجلالة (الله) له نفس الدور (عنه)، فهذه الأدوار الخطابية المتداولة تمثل البنية التداولية لمكونات تعتبر مركز الاهتمام، ولكن يجب التنبيه إلى البنية الدلالية السابقة التي تحدثنا عليها، وما هو الفرق بينهما؟

فالمكون (السابقون) والمكون لفظ الجلالة (الله) يمثلان المحور، لمشاركتيهما في الواقعة ويمثل الضميران الدالان عليهما (عنهم/ وعنه) الدور الدلالي، لتكرره، وتموقعه داخل الجملة.

(ج) البنية التركيبية الصرفية: وهي بنية ناتجة عن تفاعل خصائص البنيتين التاليتين (الدلالية والتداولية). فتأثران مباشرة في البنية التركيبية وترتيب المكونات فيها والوسم الإعرابي على مكوناتها.

(د) الربط وأنماط الجمل: وهو العلاقة القائمة بين الجمل ذات النمط الواحد، حيث عدد "فان فالين" و"فولي" ثلاث علاقات تربط بين الجمل وهي³:

- علاقة إدماج وتبعية.
- علاقة تبعية ودون إدماج.
- علاقة استقلال دون إدماج.

¹ ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص: 131.

² سورة التوبة، الآية 100 .

³ ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص: 135.

مثال هذا الربط قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾¹

- فالجملة الأولى ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ﴾ وتبيعة بين الضمير بين (الواو) و (هم) الدالان على عنصر واحد وهو (الأحزاب)، فيعمل كلا الجزأين من الجملة لصالح المعنى الواحد.

- والجملة التالية: ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾، يود الأحزاب شيئين هما:

- بادون في الأعراب.

- يسألون عن أنباءكم.

الجملتان مترابطتان ترابطا تركيبيا بعلاقة التبعية (العطف) رغم أنهما غير مدحجين.

- والجملة الثالثة، في الآية الموالية، حيث قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾²

هذه الجملة في نفس السياق مع الآية السابقة، لكن لا أداة إدماج تربط بينهما.

1-4- النحو الوظيفي:

استفاد هذا التوجه من سابقه، حيث ابتدعت الآراء النحوية ذات الوجهة الوظيفية من سنة 1926 إلى أواخر السبعينات، بين مقترحات ونظريات لغوية (النحو العلاقي، نحو الأحوال، والوظيفية) ونظريات فلسفية (نظرية الأفعال اللغوية) صهرت كلها لتشكيل طريقا مهد للساني "سيمون ديك" أن يرسى بها معالم نظرية قائمة على التنظير والنمذجة، من خلال إعادة النظر في الجهاز الواصف وتناول اللغة من مستويات مختلفة (معجمية، صرفية، تركيبية، دلالية، تداولية)³.

هذه النظرية سماها اللساني الهولندي "يمون ديك" نظرية النحو الوظيفي، وذلك من خلال

إصدار كتابه سنة 1989 المعنون بـ: "The theory of functional grammar"

¹ سورة الأحزاب، الآية 20.

² سورة الأحزاب، الآية 21.

³ مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة (دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية)، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، (د.ط) 1998م، ص 252.

حيث عدل ما جاء في كتابه الأول سنة 1978 "Functional Grammar". ومن بين التعديلات التي قام بها¹:

1- الانتقال من نحو بسيط إلى نحو نموذج متعدد القوالب يطمح إلى وصف مختلف الملكات اللغوية وغير اللغوية، التي تشكل قدرة المتكلم التواصلية.

2- تقليص البنيتين الحمليّة والوظيفية إلى بنية تحتية واحدة.

3- صياغة هذه البنية التحتية على أساس احتوائها مستويات متعددة للتمثيل.

4- يتم اشتقاق الجملة حسب النموذج الأول عبر ثلاث مراحل يضطلع كي كل مرحلة منها ببناء بنية تمثل لزمرة من الخصائص والبنيات الاشتقاقية.

ولقد أوجدت هذه الأفكار لنفسها مكانة علمية متميزة بين النظريات اللسانية المعاصرة، وتلقى من الصدى والتجاوب الحجم المناسب لطموحاتها، مما حرا بأصحاب بعض النظريات العريقة مثل (التوليدية التحويلية) إلى إعادة النظر في بعض مبادئ نظرياتهم أو التحول عنهم². وإن ما يميز النظرية الوظيفية عن غيرها من النظريات، هو³:

1- اعتبار الوظيفية التبليغية الوظيفة الأساس للغة، وأن تلك الوظيفة تعكس إلى حد كبير الخصائص البنيوية للتركيب اللغوية (الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية) في الجملة أو النص.

2- لا يعد النموذج النحوي نموذجاً وظيفياً إلا إذا أفرد فيه مستوى خاص للجوانب التداولية، منظوراً إليها على أنها مجموعة خصائص تسهم في تحديد البنية التركيبية للجملة أو النص (حيث يسهم بمعية الجوانب الدلالية في توفير كل المعلومات التي تحتاجها القواعد التركيبية المحددة لرتبة المكونات، وحالاتها الاعرابية...).

من خلال هاتين الخاصيتين يمكن اعتبار النحو الوظيفي نظرية موسعة، تشمل دراستها تتبع الخصائص التركيبية للغات ضمن تفاعلها مع الخصائص الدلالية والتداولية. وعليه فالنحو الوظيفي

¹ أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، منشورات عكاظ، الرباط-المغرب، ط 1 1993م، ص5.

² ينظر: روبنز، موجز تاريخ علم اللغة، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د.ط) 1997م، ص361-362.

³ يحيى يعطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، ص57.

هو مقارنة لتحليل البنية اللغوية تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقاتها البنوية¹. ويقوم منهجه التحليل على اعتبار ثلاث وظائف:

أ) **الوظائف الدلالية**: ويقصد بها الأدوار التي تسند إلى حدود الجمل وفقا لمساهمة الذات المحال عليها في الواقعة الدال عليها المحمول وتشمل:

- **المنفذ**: وهو الذات المنجزة للعمل أو المشاركة فيه: مثل قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾².

الأعراب: مؤدي الدور الدلالي المنفذ.

- **المتوضع**: وهو الذات المراقبة للوضع مثل:

قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾﴾³

حور: يؤدي دور المتوضع

- **القوة**: وهو الذات غير المراقبة المحدث للحدث، مثل:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾⁴

إعصار: يؤدي الدور الدلالي القوة.

- **المتحمل**: وهو الذات التي تتحمل حدثا، مثل:

قال تعالى: "فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ"

الأشهر: يؤدي الدور الدلالي المتحمل.

¹ كونو، التركيب الوظيفي، نقلا عن: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 04.

² سورة الحجرات، الآية 14.

³ سورة الرحمن، الآية 72.

⁴ سورة البقرة، الآية 266.

– الحائل: وهو الذات المتسمة بحالة مثل:

قال تعالى: "وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا"

صراط: يمثل دور الحائل.

– المستقبل: وهو الذات التي تنقل الشيء إلى ملكيتها.

– المتقبل: وهو الذات المتقبلة لعملية ما قام بها أَمْنَفِذ أو المتوضع، مثل: قال تعالى: "وَأَتُوا

النساء صدقاتهن نحلة".

*النساء: يمثل الدور الدلالي المستقبل.

*صدقاتهن: يمثل الدور الدلالي المتقبل.

– المكان: مثل قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ".

– مكة: يمثل الدور الدلالي المكان

– الاتجاه: وهو الذات التي ينتقل الشيء نحوها مثل:

– في المثال السابق يمثل المكون (بطن): الدور الدلالي الاتجاه.

– المصدر: الذات التي ينطلق منها الشيء مثل قوله تعالى: "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ"

– ربه: يمثل الدور الدلالي المصدر لأنه مصدر الوحي.

– الهدف: الذات التي ينتقل إليها شيء ما مثل:

– قوله تعالى: "فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ"

بَارِئِكُمْ: يمثل الدور الدلالي الهدف.

– الزمان: كقوله تعالى: "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ"

يوم القيامة: يمثل دور الزمان.

– الأداة: وهي الذات التي تمثل الوسيلة في إحداث عمل ما، مثل قوله تعالى: "فَمَنْ عُفِيَ لَهُ

مِنْ أَخِيهِ".

بالمعروف: يؤدي الدور الدلالي الأداة.

- العلة: وهي الذات التي تبرر حدوث العمل، مثل قوله تعالى: "يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ".

حذر: يمثل الدور الدلالي العلة لأنه يعدم علة جعل الأصابع في الآذان.

- المصاحب: وهو الذات المشاركة بلا قصد ولا إشراك في الفعل مع المنفذ، مثل:

- الحدث: وهو الذات التي تتمم الفعل أو تحدده:

مثل: قوله تعالى: "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا"

تكليما: يمثل الدور الدلالي الحدث لأنه يتمم الفعل ويؤكدده.

ب) الوظائف التركيبية: ويقصد بها في نظرية النحو وظيفي الأدوار المنطلق منها في وصف الواقعة الدال عليها المحمول. وهما وظيفتان، وظيفة الفاعل ووظيفة المفعول.

- وظيفة الفاعل: وستند إلى الحد الحامل لوظيفة المنفذ أو ما يحاقله، أي قد تسند إلى نائب الفاعل أو المبتدأ أو الزمان أو المكان أو الحدث وسنفصل في ذلك في الباب الثاني.

- الوظيفة المفعول: وتسند هذه الوظيفة إلى الموضوع الذي يمثل الوجهة الثانية من المنظور الوظيفي، أي: يشارك الفاعل في بيان الجملة ومعناها وقد يأخذ نفس الأدوار التي يأخذها الفاعل غلا وظيفة المنفذ، وتسند بشكل أولي إلى المستقبل والمتقبل والحدث على التوالي حسب أولوية وقوعهم في الجملة.

- الوظائف التداولية: اقترح "سيمون ديك" أربع وظائف تداولية هي: البؤرة والمحور والمبتدأ والذيل. وقد أضاف "المتوكل"، المكون المنادى ضمن هذه الوظائف، لوجوده في معظم اللغات الطبيعية كما تمثل هذه الوظائف المستوى الثالث من مستويات التحليل الوظيفي الذي يجمع بين مكونات الكلام وعناصره الداخلية من دلالة وتراكيب وعناصر خارجية عن أسطر النصوص وأسندتها وهي عناصر مصاحبة مثل السياق والسامع... الخ.

2- جذور الوظيفية عند العرب:

يشمل الدرس اللساني العربي جميع العلوم التي تناولت للغة العربية بالدراسة والتحليل من أي جانب من جوانبها، ويسعى كل منظر لها إلى الإطاحة بجميع الجوانب المؤثرة فيها، وما يمكن أن يغيها ما هو منها أو من سياقاتها.

ولقد كرس علماء العربية على مر العصور أقلامهم لخدمة لغتهم والحفاظ عليها، لارتباطها بالعقيدة ونزول القرآن الكريم، الذي يعتبر مصدرا أساسيا من مصادر تشريعها، كيف لا وهو النص الفصيح البليغ المعجز بيانا، والأبلغ حجة، يقول الفراء: «والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر»¹.

ويقول البغدادي: «كلامه عز وجل أفصح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشأده»². لذلك كان اهتمامهم باللغة اهتماما بالدين والعقيدة، فلم يتوانوا على وضع قواعدها وسبر بواطنها وجمع متفرقاتها قديما أو حديثا.

ولتسليط الضوء على أهم الجهود العربية التي بذلت وتبذل في سبيل الحفاظ عليها وسلامة استعمالها وربطها مباشرة بوسيلتها السامية المتصلة في تواصل البشر، ومد جسور الاتصال مراعاة لظروف الوظيفة واستيعاب جهازها للتفعيل العملي. ارتأينا أن نقدم تفصيلا لجهود المتقدمين ثم المتأخرين منهم.

2- 1- الوظيفية في الفكر اللغوي العربي القديم:

أول ما يمكن أن يحسب للمنهج اللغوي العربي في القدم اهتماماته بالعلامات الاعرابية وهي مؤشرات ودلائل على أنها تملك نحا وظائفا. كما أن الانتاج العلمي العربي من عمل النحاة والبلاغيين وعلماء اللغة والأصول والتفسير ليتداخل ويتفاعل ليصبح قابلا للدراسة والتحليل من

¹ يحيى بن زياد الفراء (أبو زكريا)، معاني القرآن، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط3، 1403هـ-1983م، ج1، ص14.

² عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تق: محمد نبيل طريفي وإميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1998م، ج1، ص32.

منظور يتخذ مبداء وظيفيا لاستنباط التفاعل القائم بين العلوم والفنون والجانب اللغوي باعتباره الحامل للوظيفة التواصلية.

الموصلة إلى الهدف الذي من أجله وضحت قواعدها وهو حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من التحريف والزيغ، وتقديم الفهم الصحيح لمعانيها بما يوافق الفطرة والقصد. ونورد فيما يلي المبادئ الأساسية التي أقام عليها علماء العربية منهجهم الوظيفي.

(أ) المبدأ الأول: قام علماء العربية بالتنقيب والبحث في الموروث الشعري ونصوص القرآن والسنة، مستخدمين المنهج الوصفي من أجل استنباط قواعد عامة سهلة الاستيعاب والتفعيل العملي، ومن المعلوم أنهم لم يفصلوا تلك النصوص عن مقاماتها المنجزة فيها، أو أسباب نزولها أو ما يصاحبها من ورد أفعال تساعد على إدراك الفهم الصحيح بخطاباتها، فهي نصوص متماسكة متكاملة الوحدات تحكمها مقامات معينة.

(ب) المبدأ الثاني: يعي علماء العربية جيدا ضرورة الجمع بين النصوص المستهدفة بالوصف كالقرآن الكريم ومقاماتها المطابقة لنزولها، ومنه تأتي القاعدة البلاغية "لكل مقال مقام". أي: الجمع بين خصائص الجمل الصورية وخصائصها التداولية.

(ج) المبدأ الثالث: كما يعي علماء اللغة والتفسير أن منهجهم اللغوي في تفسير القرآن الكريم وربطه بمقاماته المختلفة لا يكفي لأداء الوظيفة السامية، بل على هذا الجهاز أن يستحضر إلى الجانب اللغوي علوما أخرى تضطلع برصد الترابط القائم بين الخصائص التداولية والخصائص الصورية (صوتية وصرفية وتركيبية) وهذه العلوم الأخرى هي البلاغة والأصول.

(د) المبدأ الرابع: تمثل علماء اللغة هذه المبادئ في كتبهم وهي مبادئ وظيفية تحتاج إلى التطبيق والضبط، كما أنها تحتاج إلى التبرير كونها تشكل تأويلات لخصائص البنيات اللغوية وهو الجانب النموذجي للوظيفة التداولية، حيث توصل إلى هذا المنهج عبر مرحلتين:

- **مرحلة الجرجاني:** من خلال كتابة (دلائل الإعجاز): تقوم نظرية النظم الجرجاني على أساس أن القواعد النحوية تربط بين بنيتين اثنتين: - بنية تداولية تتضمن الغرض من الكلام.

- بنية تركيبية لفظية تمثل لتلك الأغراض.

وعليه فإن هذه النظرية تعد توليدية، بمعنى أن الخصائص التداولية ممثل لها في الأساس ذاته.

- **مرحلة السكاكي:** فيك تابه مفتاح العلوم حيث اعتبر أن الجهاز الواصف يتألف من أنساق القواعد الآتية (القواعد الصوتية تضطلع بتكوين المفردات والقواعد نحوية تتكفل بتأليف المفردات لتكوين الجمل، والقواعد التداولية المتمثلة في علمي المعاني والبيان تتكفل برصد الترابط القائم بين الجملة وفق ما تقتضيه الطبقات المقامية (مطابقة المقال بمقتضى الحال) وعليه فإن اقتراحات السكاكي تعتبر أن الجانب التداولي يقوم بدور تأويلي زيادة على التوليد. وهذه النظرية مبنية على ما اقتره "الجرجاني" حيث اخترع "السكاكي" ترتيباً جديداً بين مباحث اللغة والبلاغة وأصولها وفروعها، فجمع منها ما كان متعلقاً بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، وسماه علم المعاني وما كان متعلقاً بإيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة وسماه علم البيان¹.

من خلال هذا، أمكننا أن نطلق على هذه المرحلة من الفكر اللغوي العربي بالوظيفي، لأن علم المعاني يمثل دراسة تطبيقية تتجلى في تتبع كيفية ارتباط الاسناد بالإفادة عن طريق دراسة الجملة في السياقات المختلفة².

هـ) المبدأ الخامس: يتجه منهج النحاة البلاغيون في هذه المرحلة إلى الأخذ بعين الاعتبار إلى دراسة الظواهر غير اللغوية المتحركة في الجملة أو الخطاب، أي: دراسة قصد المتكلم في إنتاج العبارة، وبذلك تعرضوا إلى ظاهرتين بالدراسة:

1- الظاهرة المرتبطة بالأغراض: حيث يضع البلاغيون كالجرجاني والسكاكي والأصوليون كـ "الآمدي" في مقابل الكلام الغرض من الكلام ويردون مجموع الأغراض الكلامية إلى الثنائية المنطقية المعروفة التي تقابل بين الخبر والإنشاء (أو الطلب).

¹ علي عبد الرزق، علم البيان وتاريخه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، ط 1 1425 هـ- 2004 م، ص 27.

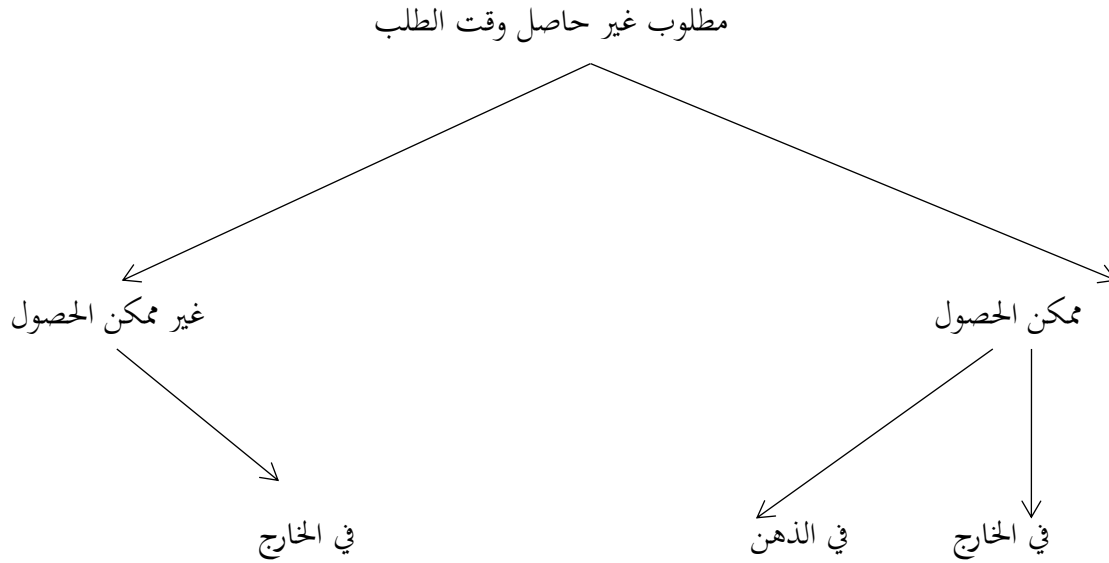
² جعفر دك الباب، النظرية اللغوية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، بيروت-لبنان، (دط) 1996 م، ص 153.

حيث تقوم المقابلة بين هذين المفهومين في تراثنا على الأساس التالي¹:

أ) الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب، في حين أن الانشاء غير قابل لأي من هاتين القيمتين.

ب) الخبر والواقع المخبر عنه أمران متمايزان مفصول بعضهما عن بعض يقوم كل منهما قيام الذات في حين أن مدلول الانشاء يتحقق بمجرد النطق به، حيث يدرج البلاغيون تحت الانشاء معاني متعددة مثل الاستفهام والأمر والنهي والتمني.. مما ندعوه بالإنشاء الطلبي، وما يمكن أن يتفرع عنه.

وخلاصة الاهتمام بالأغراض، هو الجمع بين الصورة المعجمية للعبارة والخطابات وما يقصده المتكلم أو ما يكون في هدفه، فتكون اللغة بذلك نسقا متماسكا مؤديا وظيفته التواصلية. ويمكن توضيح هذا التلاصق عن طريق الرسم الآتي²:

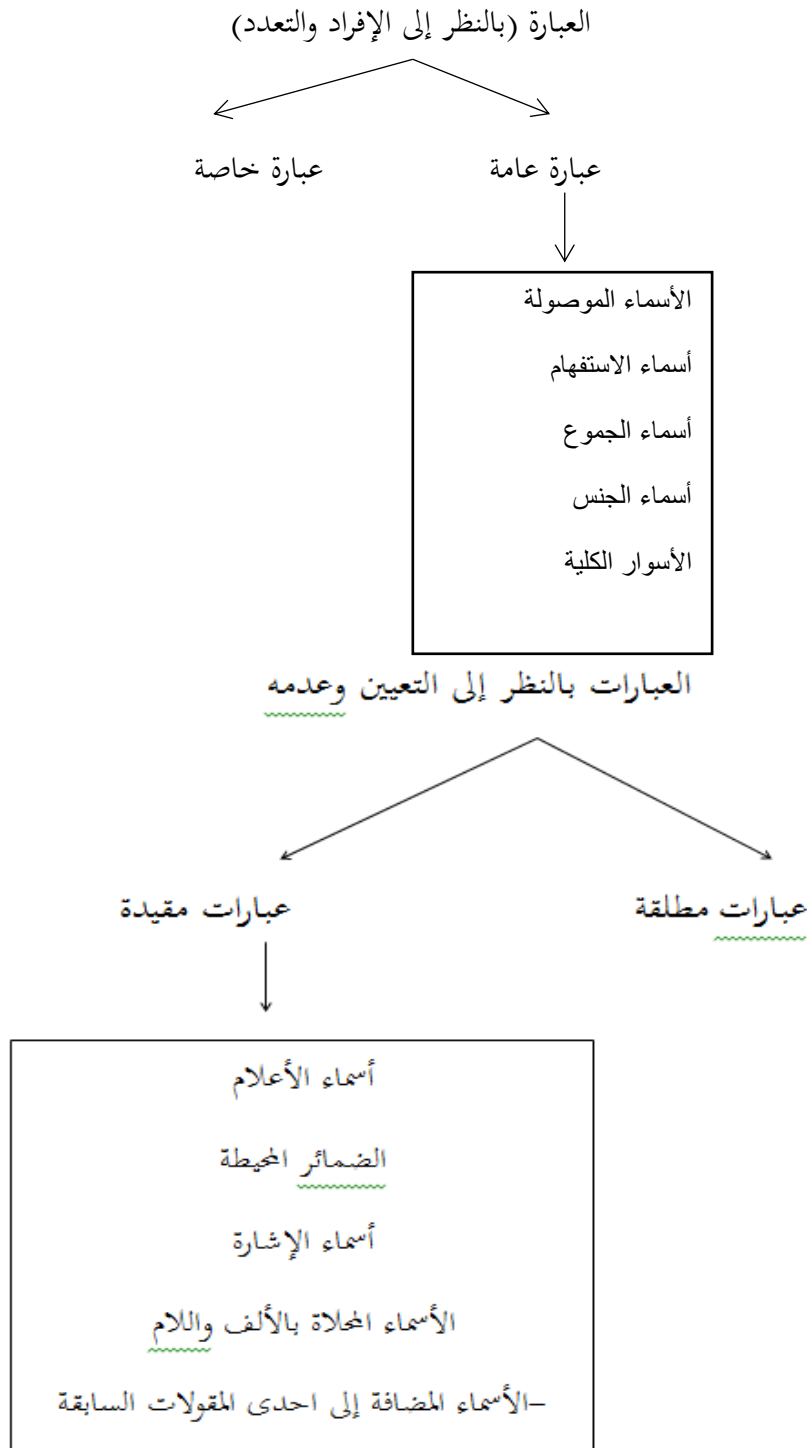


2- الظواهر المتعلقة بمختلف الرتب التي يمكن أن تأخذها المكونات داخل العبارات طبقا لمختلف المقامات المنجزة فيها، وهذا دعاهم إلى دراسة أمرين حسب أنماط الجمل:

¹ أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي، ص175.

² أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص42.

أ) انطلاق المتكلم بالعبارة نابع من عزمه أو نيته الاهتمام والعناية أو الحصر أو التخصيص أو التوكيد لما هو أهم (مستلزم الحوار)، فيقدم ويؤخر طبقاً لذلك أو يعين أو يحيل أو يستفهم أو يعدد للمقصود، وفق ما يقتضيه الحال. حيث يمكن أن يمثل تلك الأساليب بالمشجرين الآتين¹:



¹ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص45.

ب) انطلاق المتكلم بالعبارات لما يتضمن من معلومات تلقى إلى المخاطب وحاله حسب تقبله لها:

- فإذا كان خالي الذهن من المعلومة: فيطلق عليها المعلومة المحايدة، غير المؤكدة.

- وإذا كان متردداً في قبولها شاكاً فيها، فتلقى إليه المعلومة مؤكدة بمؤكد واحد لإزالة الشك.

إذا كان منكراً لها فيؤكد له بمؤكدين فأكثر حسب درجة إنكاره.

وكل ذلك يعتبر درجات ورود الجمل حسب مقاماتها المختلفة، ورتب المكونات فيها لما يقتضيه الحال، وإنه لدال دلالة واضحة لما ورد في الفكر اللغوي العربي القديم لمواضيع التداولية وارتباطها بالجوانب الصورية للغة، ويشير إلى أنه هناك نقاط التقاء كثيرة بين تحليلات اللغويين العرب القدماء، واقتراحات اللغويين الوظيفيين المعاصرين وفلاسفة اللغة العادية حيث أجملها "المتوكل" في النقاط الآتية¹:

- تصدى اللغويون العرب القدماء لدراسة ظواهر لغوية توازر الظواهر التي ريم وصفها في إطار فلسفة اللغة العادية، وإطار الأنحاء الوظيفية المعاصرة. فهؤلاء اللغويون والفلاسفة درسوا جميعاً ظاهرة الإحالة، وأنماط العبارات اللغوية بالنظر إلى نوع إحالتها، وظاهري - ما أسمى - في الدرس الفلسفي واللغوي الحديث بالأفعال اللغوية والاستلزام الحواري، ودرس اللغويون قديمهم وحديثهم الترابط القائم بين الخصائص الصورية للغة وجوانبها التداولية.

- انطلق اللغويون العرب القدماء انطلاق الفلاسفة واللغويين والوظيفيين المحدثين في دراستهم لظواهر اللغة، من مبدأ أنّ الوظيفة تحدّد - جزئياً على الأقل - البنية، أن الوصف الكافي للغة باعتبارها نسقاً من الخصائص الصورية، يستلزم ربط هذه الخصائص بالأغراض المستهدف إنجازها عن طريق استعمال اللغة.

- ويصل التشابه بين ما ورد في الفكر اللغوي العربي القديم، وما اقترح في الدرسين الفلسفي واللغوي الحديثين، مستوى الأوليات المعتمدة في رصد الترابط القائم بين البنية والوظيفة، مثال ذلك، أن ظاهرة انتقال جملة ما من الدلالة على معناها الحرفي المدلول عليه بصيغتها إلى معنى آخر

¹ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 47.

(كانتقال جملة استفهامية من الدلالة على السؤال إلى الدلالة على الإنكار أو النفي أو الاستبطاء أو التمني...)، يتم رصدها في الدرس القديم وبعض من المقترحات الواردة في الدرس الفلسفي الحديث بواسطة مفهوم (خرق) قاعدة (أو شرط) من القواعد التي تضبط إنجاز الأفعال اللغوية إنجازاً ناجحاً، ومثال ذلك أيضاً أن تصنيف العبارات اللغوية بالنظر إلى إحالتها، يتم في القديم والحديث اعتماداً لثنائيتين متماثلتين: ثنائية العام والخاص وثنائية المطلق والمقيّد في مقابل المعيّن وغير المعيّن.

وما يمكن أن نستنتجه من آراء علماء اللغة المحدثين في المبادئ المنهجية للفكر اللغوي العربي القديم، أنه يرتقي إلى درجة العلمية والوظيفية التي نجد صورتها في الدراسات اللغوية المعاصرة، ويذكر "المتوكل" تلك المبادئ المنهجية ضمن كلامه عن وظيفية الفكر اللغوي العربي القديم¹:

- وصف النص القرآني هو موضوع الفكر العربي، وينتج عنه أن المعطيات المنصّب عليها الوصف اللغوي، ليست جملاً مفردة مجرّدة من مقامات إنجازها، بل هي خطابات متكاملة ومتماسكة الوحدات.

- المبادئ المنهجية المترتبة على طبيعة الموضوع المستهدف وصفه، هو مبدأ الترابط بين المقال والمقام، بين خصائص الجمل الصورية وخصائصها التداولية.

- يستلزم هذا المبدأ المنهجي أن يتضمن الجهاز الواصف مكونات تضطلع برصد الخصائص التداولية، ونوع ارتباطها بالخصائص الصورية.

- إذا اعتبرنا مبدأ الوظيفية في الفكر اللغوي العربي القديم، أمكن التمييز بين نوعين من الوظيفية: وظيفية قوية (هي كل وظيفية قائمة على مبدأ أن الجوانب التداولية تحدّد خصائص البنية)، ووظيفية ضعيفة (هي كل وظيفية قائمة على مبدأ أن الجوانب التداولية لا تحدّد خصائص البنية، وإنما تُشكّل مجرّد تأويلات لهذه الخصائص).

¹ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص43.

- انطلق البلاغيون في دراستهم لبنية الجملة من مبدأ الترابط بين ترتيب المكونات والحمولة الإخبارية للجملة، إن كانت تلقى إلى المخاطب خالي الذهن من المعلومات أو متردّد في قبولها أو منكرها، وما يتضمن لذلك من أساليب.

2-2- الوظيفة في الفكر اللغوي العربي الحديث:

عرف الدرس اللساني العربي تطوراً كبيراً منذ اتصال الثقافة العربية اللسانية الحديثة، إذ نشطت عملية التأليف في هذا العلم الحديث قصد التعريف به وبمختلف مدارس ومناهجه، ثم انتقل هذا النشاط من مجرد التعريف إلى الترجمة للمؤلفات اللغوية الغربية ومحاولة إسقاط ما جاءت به النظريات الأجنبية على اللغة العربية سعياً لامتلاك العلمية.

كما اتجه النظر في اللغة إلى البحث في التراث اللغوي العربي من خلال الموروث الذي خلفه علماء اللغة العربية القدماء خاصة ما يتعلق بالجانب اللغوي والبلاغي، فحاولت بعض الجهود العربية إلى الوصول إلى وضع نظرية جديدة للنحو العربي تسير اللغة وما عليه الوضع العالمي من تطور في الفكر والحياة، فبرز في هذا المجال عدة اتجاهات وتيارات تبعا لما هو موجود من نظريات لغوية عربية، وأهم هذه الاتجاهات ما يأتي:

أ- **الاتجاه الوصفي النبوي:** يدعوا أصحابه إلى رفض كثير من مقولات النحو العربي خاصة ما يتعلق بالتحليل، ويبرز في هذا الاتجاه كل من عبد الرحمان أيوب، تمام حسان وإبراهيم السامرائي.

ب- **الاتجاه التأصيلي:** يسعى أصحابه إلى تأصيل جوانب النظرية النحوية العربية من خلال مقابلتها بنظيراتها في النظرية اللغوية الحديثة، وأشهر من يمثل هذا المنهج التقابلي: "عبد الرحمان صالح" و"عبد القادر المهيري" و"ميشال زكريا" و"نهاد موسى".

ج- **الاتجاه التوليدي:** قام هذا الاتجاه على آراء النظرية التوليدية، ويبرز ضمن هذا الاتجاه كل من "مازن الوعر" و"عبد القادر الفاسي الفهري"، فقد تأثرا بما جاء به "نوام تشومسكي"، ونهج نهجه أمثال: "كاتز" و"فودور" و"بريزنر".

د- الاتجاه الوظيفي: تبرز في هذا الاتجاه الذي بيان أثره على النظرية اللغوية الغربية ما قام به العالم اللغوي المغربي "أحمد المتوكل" في نقل النظرية الوظيفية إلى الثقافة العربية، ومحاولة وصف اللغة العربية بما جاء في كتب اللغويين العرب القدماء، وتحليلها وفق مبادئ الوظيفة لإعادة بناء نحو وظائف يترقي باللغة إلى مصاف العالمية والظهور والتداول، فكان أهم ما قام به هو:

1- تبني ما جاء به عالم اللغة الهولندي "سيمون ديك" من أفكار وترجمتها إلى اللغة العربية لما فيها من مزايا تجعل من اللغة العربية حية وتحليلها متسم بصفة التكامل، ومن تلك المزايا هي اعتبار:

- النحو عبارة عن رصد الترابط القائم بين البنية والوظيفة على أساس أن الوظيفة تحدد البنية والمكون الدلالي والتداولي سابقان للمكون الصرفي التركيبي.
- تفضيل النحو الذي يتسم بالبساطة والواقعية والنمطية.
- ووفقا لهذين الميزتين يمكن أن نستشف معيارين أساسيين وهما:
- عدم الانطلاق من المبادئ التوليدية التحويلية.
- استخدام أقل عدد ممكن من القواعد لزيادة القدرة على التأويل، ولإبعاد شح التعقيد وإضفاء مفهوم البساطة، ثم مطابقة تلك القواعد للعمليات القائمة في ذهن المتكلم والمتلقي أثناء إنتاج الخطاب وفهمه.

كما أن لهذه النظرية الوظيفية التي عرفت عند "سيمون ديك" معيارين للمفاضلة¹:

- أ- معيار الكفاية المراسية:** النحو الوظيفي الأكفأ مراسيا هو الذي يرقى إلى درجة عالية من التطبيقية، بالنظر إلى قدرته على وصف وتفسير خصائص بنية اللسان العام في اللغة التي يطبق عليها، وعلى قدرته النفعية بالنظر إلى إمكانية إسهامه في حل مشكلات علوم أخرى من جهة أخرى.

¹ يحيى بعطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، ص 72.

ب- معيار الكفاية الدينامية: وتعني قدرة النظرية الوظيفية على الإفادة من التراكبات المعرفية السابقة لها، باستيعابها وتمثيلها لايجابياتها وتجنبها لبعض مزالقها أو التباساتها من جهة، وقدرتها على تطوير نفسها من داخلها بتكيفها مع المستجدات العلمية والمعرفية من جهة أخرى. وتبعاً لهذين المعيارين تفضل النظرية التي أرسى معالمها "سيمون ديك" بقية النظريات الوظيفية الأخرى، كما أنها أثبتت كفاءتها (الدينامية والمراسية) من خلال تطبيقها على عدة لغات منها اللغة العربية، فاستفادت من تراكمات نظرية سابقة لها أو حتى ترابعية، وإعادة هضمها واستيعابها وبعثها من جديد، مستجيبين في ذلك لشروط التنظير ول مقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية.

2- تقديم مفهوم جديد للنحو بما يوافق شروط التنظير والنمذجة، ويوافق المغزى العام للغة وهو التبليغ، ومحاولة لإزالة اللبس العالق في بعض الأذهان من عدم التفريق بين النحو الوظيفي والتداولية.

أ- مفهوم النحو: النحو عند "المتوكل" هو: مقارنة لتحليل البنية اللغوية وتعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر هذه البنية، بالإضافة إلى علاقتها البنيوية¹، يرقى به إلى مصاف النظريات المنمذجة التي تنطلق من مبدأ أن بنية الجملة تخضع إلى حد كبير للوظيفة التواصلية التي جاءت لتأديتها.

من خلال هذا المفهوم الجديد للنحو نراه يعتمد على مبادئ ثابتة لا يحيد عنها تتمثل في :

- وظيفة اللغات الطبيعية (الأساسية) هي التواصل.
- موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم والمخاطب.
- النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظور إليها من وجهة نظر تداولية.
- يجب أن يسعى الوصف اللغوي الطامح إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفاية (الكفاية النفسية، الكفاية التداولية، الكفاية النمطية).

¹ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 104

ووفق هذه المبادئ التي اعتمد عليها النحو الوظيفي يرى أن البنية العامة للنحو تتكون وفقاً لثلاث بنيات مرتبة كآلي: البنية الجمالية، البنية الوظيفية والبنية المكونية، والانتقال من بنية إلى أخرى يتم عبر تطبيق قواعد مختلفة، فمن قواعد الأساس إلى قواعد إسناد الوظائف ثم قواعد التعبير.

ب- مفهوم الوظيفة: يفرّق "المتوكل" بين الوظيفة كدور، والوظيفة كعلاقة، على أساس أن العلاقة رابط بنيوي قائم بين مكونات الجملة أو مكونات المركب، في حين أن الدور يخص اللغة بوصفها نسقاً كاملاً¹، ويرى "المتوكل" أن مفهوم العلاقة الوظيفية متداولاً في جل الأبحاث القديمة والحديثة.

- **العلاقة في الأنحاء القديمة:** أو الأنحاء الصورية يستعمل هذا المصطلح للدلالة على العلاقات التركيبية كعلاقة الفاعل والمفعول أو المفعولات.

- **العلاقة في الأنحاء الحديثة:** أو الأنحاء الوظيفية يستخدم للدلالة على كل العلاقات التي يمكن أن تقوم داخل الجملة أو داخل المركب، ومن ذلك التفريق بين أنواع ثلاثة من الوظائف (الدالية، التركيبية، التداولية).

أما المفهوم الثاني للوظيفة الذي تميزت به أعمال "المتوكل" هو مفهوم الدور الوظيفي، الذي يربطه بالغرض الذي تسخر الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه²، على اختلاف المقامات المتحركة في نوع الأغراض التي من أجلها أنشئ التواصل.

والناظر في ما قدمه "المتوكل" يجد أن الدور هو أبرز ما يمكن أن توصف به الوظيفة، حيث يتكئ اتكاء كبيراً على وجود علاقة بين عنصرين فهذا المفهوم يستوعب المفهوم الأول وهو (العلاقة)، ذلك أن الفاعل والمفعول وغيرها من الأمثلة التي ذكرت هي: أدوار تؤديها مكونات معينة في التراكيب، إذا توفرت علاقات مخصوصة بينها³. ومثال ذلك: ما يقوم به الإنسان من دور

¹ أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية (قضايا ومقاربات)، مكتبة دار الأمان، الرباط، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص23.

² المرجع نفسه، ص23.

³ الزايدي بودرامة، النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي، ص44.

أو وظيفة للربط بين مكونات الجملة داخل الخطابات، وذلك بين الفعل والفاعل، أو المبتدأ والخبر، والصورة التي عليها الإسناد الوظيفي تختلف على ما كانت عليه في النحو التقليدي حيث أضيف لها دور المتكلمين في إجراء الخطاب وما بينهما من علاقات مخصوصة نقدم لذلك مثلاً توضيحياً:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾¹

* الفعل تَوْتُوا: فعل مسبوق بأداة تخصيص مسند إلى فاعله (الواو) الدالة على المؤمنين.

* السفهاء أموالكم: تملان الوظيفة المفعول.

* التي جعل الله لكم قياماً: لواحق أسندت إلى الحمل الرئيسي لأداء دور ثانوي متعلق بالإقناع.

فقد أسندت الوظيفة الفرعية إلى الوظيفة الرئيسية وهي: إبعاد السفهاء عن استعمال المال، وهو أحد الكليات الخمس التي جاء الإسلام لحفظها.

وهذا الدور مسند بدوره إلى الدور الوظيفي لسورة (النساء) ككل، وهو التنظيم الأسري وما يتعلق به، حيث عالجت السورة عدة إشكالات في الأسرة المسلمة تتعلق بالنساء والميراث... إلخ، فاستوعبت السورة علاقات إنسانية وأدواراً وظيفية تدل على استيفاء الجانب التداولي في النص القرآني، ذلك أن النحو الوظيفي ينظر إلى الجانب التداولي على أنه نتاج علاقة ربط بين الجملة بالمقام الذي أنجزت فيه.

ومن خلال هذه المفاهيم التي قدمها "أحمد المتوكل" في كتبه منذ 1982م إلى يومنا هذا كان هدفه تأسيس نحو وظيفي للغة العربية، يتناول جميع مستوياتها، يقول: «حاولنا جهدنا في هذه المجموعة من الدراسات أن نشارف هدفين اثنين:

- إغناء لسانيات اللغة العربية بتقديم أوصاف وظيفية لظواهر نعدّها مركزية بالنسبة لدلالات وتركيبات وتداوليات هذه اللغة.

¹ سورة النساء، الآية 05.

- تطعيم النحو الوظيفي كلما مست الحاجة إلى ذلك بمفاهيم يقتضيها الوصف الكافي لهذه الظاهرة أو تلك»¹.

وقد تمكن " المتوكل " بفضل اتساع فكره التراثي والحداثي من تحقيق:

1- مبدأ الحياد وقبول الآخر، والوقوف في المنتصف بين التراث العربي والنظريات الحديثة، حيث دعا إلى فهم المنجز التراثي القديم، والإطلاع عليه جيدا للإحاطة بمنطلقاته، ومحاولة تجديده (تطعيمه) بما يلائم الأطروحات الحديثة.

2- وضع نحو وظيفي متدرج للغة العربية يتطور بتطور النظرية العامة.

3- المشاركة في التنظير العام بتعديل النماذج القائمة واقتراح نماذج جديدة.

4- فتح النظرية الوظيفية على مجالات وحقول اجتماعية واقتصادية حيوية إلى جانب الدرس اللساني الصرف، وقد اتبع كثير من الباحثين العرب في الآونة الأخيرة ما اقترحه " المتوكل " في أبحاثه من تعريب للنحو الوظيفي، وإسقاط مبادئه على اللغة العربية ولاقت أفكاره النظرية والعلمية رواجاً واسعاً في الجامعات العربية خاصة في المغرب العربي، حيث نجدتها في المقررات التعليمية والمناهج البحثية والتخصصات العلمية.

ثالثاً: مبادئ النحو الوظيفي:

مرّ النحو الوظيفي في مراحل عديدة من المدارس وتبلورت مبادئه على رؤى كثير من الباحثين الأوروبيين، ورغم تعدد المدارس والنظريات التي صفة الوظيفية إلا أنها تأخذ بنفس المبادئ، كالمدرسة النسقية (هاليداي) ومدرسة براغ (دانيش) والتركيبات الوظيفية الأمريكية (كونو) ونظرية الأفعال اللغوية في فلسفة اللغة العادية والنظرية التوليدية التحويلية (لاكوف) وأخيراً نظرية النحو الوظيفي (سيمون ديك)، بل إننا نجد في الدرس اللغوي العربي القديم إرهاصات واضحة للوظيفة، وإن لم تستعمل مصطلحات الوظيفة، إلا أنهم مهدوا الطريق لنشوء المدارس التي تهتم بالوظيفة التبليغية للغة.

¹ أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي، ص 61.

ويقدم "المتوكل" مجموعة من المبادئ تمثل في مجموعها ما يعرف بالنظرية الوظيفية المثلى:

1- أدوات اللغة:

ويقصد بها استخدام العبارة اللغوية كوسيلة لتأدية أغراض تواصلية معينة وتدرس خصائصها وتتبع لتلك المهمة، وطرق اللغة التي تستعملها للوصول إلى الوظيفة التبليغية عديدة ومختلفة باختلاف ظروفها وأغراضها، فمسألة التقديم والتأخير في اللغة العربية مثلاً وسيلة نلجأ إليها بحسب أهمية المنطوق الذي من أجله أنتج الخطاب، قال تعالى: ﴿وإن قتلتم نفساً فادارأتم فيها...﴾، قال البغوي: «هذه أول القصة، وإن كان مؤخراً في التلاوة، وقال الواحدي كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة وإنما أخر الكلام لأنه تعالى لما قال: ﴿إن الله يأمركم﴾ علم المخلصون أن البقرة لا تذبح إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم، فلما استقر علم هذا في نفوسهم أتبع بقوله: ﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ فسألهم موسى فقال: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾. فقدم الله تعالى قصة الذبح للاعتبار على مسألة القتل، رغم حدود القتل قبل قصة الذبح، وأعيد الربط بينهما لجعل الذبح سبباً لمعرفة هوية القاتل وكيفية حدوث ذاك، فنلاحظ طواعية اللغة في هذه القصة في إنشاء الحوار الحادث بعد مسألة قتل النفس بشكل يلتمس فيه الاعتبار بالأخذ بالأحكام الشرعية على ما جاءت عليه إلى جانب تحريم قتل النفس وقدرة الله عز وجل وعلمه بخفايا البشر.

2- وظيفة اللغة:

ينجز الناطق باللغة أغراضاً حسب مقصده واللغة أدواته في ذلك، وتلك الأغراض هي ما تسعى اللغة إلى أدائه وأسمائها التبليغ، يقول "المتوكل": «المراد بالوظيفة في هذا السياق ما تستعمل اللغة لتأديته من أغراض»¹، وكثيراً ما نوقشت في أبحاث النحو الوظيفي.

قضية الوظيفة: وأسهب الكلام فيها، ولكن نلخص الكلام عن هذا المبدأ في الإشكالين الآتين:

- هل للغة وظيفة؟

¹ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 45.

- إذا كان للغة وظيفة، فهل هي واحدة أم متعدّدة؟

أمّا السّؤال الأوّل فقد أجيب عنه في ثنايا البحث (ما تقدّم طرحه)، حيث أثبت منذ القديم أنّ للغة وظيفة، وتوحّدت فيه الرّؤى المختلفة على ذلك، لكن ما ثبت فيه الاختلاف هو تحديد وظائف اللغة وأهميتها.

في خضمّ ذلك كلّ، تعنى في هذه النّقطة بتقديم آراء علماء اللغة في تحديد وظائفها، حيث نلخصها في ثلاثة آراء:

أ. رأي "رومان جاكسون": حيث يرى أنّ للغة ستّ وظائف هي¹:

1- الوظيفة المرجعية (أو الإحالية).

2- الوظيفة التعبيرية.

3- الوظيفة التأثيرية.

4- الوظيفة الشعرية.

5- الوظيفة اللغوية.

6- الوظيفة الميتا لغوية.

ب. رأي "هاليداي": يلاحظ "هاليداي" أنّ اللغة تستعمل من أجل تحقيق أغراض غير متناهية، ولا يمكن حصرها، كلّ فرد يستعمل اللغة بحسب اختصاصه وموقعه (المجال الاجتماعي أو المجال السياسي أو المجال الثقافي ... الخ)، ولكنّ الوظائف التي تهمّنا في هذا المبدأ، هي الوظائف اللغوية المتوقّرة فيها الخاصّيتين الآتيتين²:

1. الوظيفة الواردة بالنسبة لجميع اللّغات الطّبيعية (عدم اختلافها من لغة إلى أخرى).

2. تحديدها لبنية اللغة (انعكاسها في مستوى الخصائص الصّورية للغة).

ويرى هاليداي أنّ الوظائف التي تتوفّر فيها هاتان الخاصّيتان وظائف ثلاث:

¹ رومان جاكسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، تر علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1 2002م، ص 38.

² أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص: 52.

1- الوظيفة التَّمثيلية.

2- الوظيفة التَّعاقبية.

3- الوظيفة النَّصية.

ج. رأي اللغويين الوظيفيين: ويضاف إليهم رأي فلاسفة اللغة العادية، فيرون أنَّ الوظيفة الأساسية للغة التي يفترض أن تؤدّيها هي: التَّواصل، والدليل على ذلك الحجج الآتية¹:

في كتاب مدخل نظري.

3- الوظيفة والبنية:

بالمفهوم السابق لما تمّ شرحه في المبدأين السابقين، فإنَّ الوظيفة التَّواصلية تحدّد بنية اللغة، كما أنَّ لكلِّ أداة من الأدوات التي يستعملها البشر تأخذ البنية التي تلائم الوظيفة المستعملة من أجلها²، وهذا يعني أنَّ نسق اللغة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنسق استعمالها، ويقصد بنسق الاستعمال؛ مجموعة من القواعد والأعراف التي تحكم التَّعامل داخل مجتمع معين³، ويتجلى هذا التَّرابط في كون نسق الاستعمال يحدّد في حالات كثيرة قواعد النسق اللغوي المعجمية والدلالية والتَّركيبية والصرفية والصوتية⁴.

ويظهر من خلال هذا المبدأ، تداوليه التَّحو الوظيفي في اشتراط السياق تأثيراً على بنية اللغة، بل تحكّمه في نوعها، فبقدر ما كانت اللغة مطاوعة بما توقّره من بني، فإنَّ السياق يوجّهها بما يخدم الغرض، فبالسياق ينتقل النصّ أو الخطاب من الكفاية التَّحويّة إلى الكفاية التَّواصلية، فقد أثبت السياق جدارته في الكشف عن المعنى في الدّراسات التَّحليلية والتَّرجيح بين الدّلالات المحتملة، فكان كفيلاً بالكشف عن المقصود والغرض من أساليب الخبر وأساليب الطّلب في القرآن الكريم.

¹ أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص: 54-55.

² المرجع نفسه، ص: 55.

³ أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفي، ص: 21.

⁴ أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص: 56.

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾¹

فدلالة الاستفهام بـ (مَنْ) في الآية الكريمة لم تكن استفهاما كما هو الظاهر، إنما جاءت للتّفي بفعل سياق الكلام²، والتّفي جاء جوابا على ما تصدرت به الآية من حكي خبر هذه الفئة من العباد (والذين إذا فعلوا فاحشة) أي ما فعلوا من كبائر الذّنوب أو المستقبح من الذّنوب، وهم يذكرون الله ويستغفرونه جلّ وعلا فيغفر لهم³، وقد ورد الاستفهام الدّال على التّفي في السّياق معترضا بين معطوفين، وعلة هذا الاعتراض هي؛ وصف الخالق سبحانه وتعالى بأنّه واسع الرّحمة والمغفرة، وكذلك للحفاظ على الاستغفار، وبالمقابل الوعد بقبول التّوبة⁴، فقد تبين بفعل سياق الحال المحيط بالآية الكريمة دلالة التّفي الظّاهرة بشكل الاستفهام، كما أثر السّياق الوظيفي لهذه الآية في التّوجيه الدّلالي بطريقه الأسلوب.

وعليه فإنّ فلاسفة اللّغة العادية واللّغويون والوظيفيون فإنّهم ينطقون في دراستهم للّغات الطّبيعية من مبدأ أنّ الوظيفة التّواصلية (مهما كان غرضها) تحدّد بنية اللّغة، كما أنّ كلّ أداة من الأدوات التي تستعمل في اللّغة تأخذ البنية التي تلائم الوظيفة المستعملة من أجلها، وفي وصف الواقع اللّغوي من خلال مبدأ (الوظيفة والبنية) تنتمي إليه مبادئ أخرى فرعية يذكورها المتوكّل⁵:

● التّفسير الوظيفي لظاهرة لغوية ما (تزامنيا أو تطوريا) هو التّفسير الذي تكون في إطاره هذه الظّاهرة ناتجة عن مبدأ يرتبط بأحد مقومات اللّغة الوظيفية.

● مقومات اللّغة الوظيفية تنتمي إلى المتطلّبات والقيود المفروضة على اللّغات الطّبيعية.

● هذه المتطلّبات والقيود هي عبارة عن (أغراض وأهداف ووسائل وظروف استعمال).

¹ سورة آل عمران، الآية 135.

² ينظر: ناصر الدّين الشّيرازي البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، تح: محمّد صبحي بن حسن، دار الرّشيد، بيروت- لبنان، ط 1 2000م، ج 2، ص: 38.

³ ينظر: محمّد لطفي الصّباغ، تهذيب تفسير الجلالين، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط 1 2006م، ص: 67.

⁴ ينظر: ناصر الدّين الشّيرازي البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، ص: 39.

⁵ أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص: 60.

● الهدف الأصل من استعمال اللغة هو إقامة التواصل والأهداف الأخرى أهداف ثانوية أو مشتقة.

- الوسيلة الأصل لاستعمال اللغة هي القناة الصوتية والسمعية ووسائل أخرى.
- ظروف استعمال اللغة المادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو اللغوية.
- المقومات الوظيفية تفرض مجموعة محدودة من الحلول الممكنة، حيث يطابق مفهوم اللسان الطبيعي.

- كما تحدّد المقومات الوظيفية للغة مفهوم التطور اللغوي التي ينقل اللغة إلى التمكن.
- يمكن أن تفرض المقومات الوظيفية للغة متطلبات متعارضة.
- التنافس القائم بين المقومات الوظيفية للغة يعدّ مرحلة من مراحل تطور اللغة.
- القول بأنّ ظاهرة لغوية ما لا يمكن أن تفسّر من وجهة نظر وظيفية يعني أنّه لم يتم التوصل إلى تفسير وظيفي لهذه الظاهرة.

د. الوظيفة والقدرة اللغوية:

يفرق التّوجّه الوظيفي بين ما يشكّل المتكلّم والسماع للغة، وما يشكّل التحقيق الفعلي لهذه المعرفة اللغوية في مواقف تواصلية معيّنة، ويمكن القول أنّه: لا يوجد خلاف بين اللغويين المعاصرين وإن تباينت مشاربهم حول ورود هذا التميّز إلّا أنّ الاتفاق غير حاصل بينهم حين يتعلّق الأمر بتحديد طبيعة معرفة المتكلّم/ السامع للغة¹، وعليه فإنّ النحو الوظيفي يرى أنّ القدرة اللغوية لا تنحصر في المعرفة اللغوية الصّرف بل تتجاوزها إلى كيفية استثمار هذه المعرفة لخدمة سياقات تواصلية معيّنة، إنّها بعبارة أخرى قدرة تواصلية تضمّ إضافة إلى معرفة النسق اللغوي في حدّ ذاته معارف أخرى، وهي المعارف السياقية الآنية والمعارف السياقية العامة، في هذا المنظور يستحضر المتكلّم/ السامع أثناء انتاج عبارات لغته أو فهمها كلّ هذه المعارف، وإن كان استحضارها

¹ ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي، ص: 25.

يتفاوت باختلاف موقف التّواصل وملايساته، ونمط الخطاب المنتج وإن كانت المعرفة النّحويّة الصّرف تقوم بالدّور المركزي في حالات التّخاطب¹.

ويمكن الاستدلال على أنّ القدرة اللّغويّة لا تتساوى القدرة النّحويّة الصّرف (كما يرى أصحاب النّظرية التّوليديّة التّحويليّة) مسألة اكتساب اللّغة عند الأطفال، فإنّه ذلك لا يتمّ له إلّا بتوفّر مبدأين اثنين هما:

1) مبادئ لسانيّة عامّة (لغويّة).

2) تجربة توفّر له في بيئة التّعلّم.

هـ. الوظيفة والكليّات اللّغويّة:

يقصد بالكليّات اللّغويّة الخصائص العامّة التي تتقاسمها اللّغات على اختلاف أنماطها²، حيث يسعى النّحو الوظيفي إلى مراعاة هذه الكليّات في عمليّة بناء الجهاز الواسف المعتمد، متوخّيا في ذلك أمرين متلازمين³:

• وضع أنحاء لكلّ أنماط اللّغات.

• وصف وتفسير ما يؤالف وما يخالف بينهما.

وعليه يضع النّحو الوظيفي حدّا مفهوميّا للكليّات اللّغويّة يختلف عمّا حدّدته النّظريات غير الوظيفيّة، فيرى أنّها كليّات صوريّة وظيفيّة، أي مبادئ تزواج بين بنيات ووظائف⁴، وهو عبارة عن مجموعات من التّعميمات حول علاقة بنية اللّسان الطّبيعي بوظيفته التّواصلية، حيث يكون دور هذا النّحو ملخّص في: تحديد مفهوم نسق التّواصل اللّغوي البشري الممكن، وضبط الأنحاء الخاصّة المقترحة لرصد خصائص اللّغات الطّبيعيّة أو خصائص أنماط اللّغة الطّبيعيّة⁵.

¹ ينظر: أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفي، ص: 27.

² المرجع نفسه، ص: 35.

³ أحمد المتوكّل، الوظيفيّة بين الكليّة والتمطية، ص: 152.

⁴ أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص: 80.

⁵ المرجع نفسه، ص: 80.

و. الوظيفة موضوع الوصف:

يتفق الوظيفيون وغير الوظيفيين على أنّ ما يجب أن يستهدفه الوصف اللّغوي، أيّا كان الإطار النظري المنطلق منه هو¹:

- استكشاف معرفة المتكلم/ السّامع للغة (قدرته اللّغويّة).
- تحديد تلك المعرفة بالقواعد الصّوريّة وغير الصّوريّة التي تؤهّله لاستعمال لغته حسب ما تقتضيه الأغراض التّواصلية التي يروم تحقيقها.
- النّحو وأوصافه البنيويّة للجمل والأوصاف الوظيفيّة.

ز. الوظيفة والمفاضلة بين الانحاء:

إنّ ما ذكر من مبادئ تشترك فيها النّظريات ذات التّوجّه الوظيفي ككل مثل (النّسقيّة الوظيفيّة والوجهة الوظيفيّة للجملة...) إلّا أنّ هناك اختلاف بينهما من حيث دقّتها وشموليتها وانفتاحها، لذا وجب وضع معايير للمفاضلة بين تلك النّظريات ونظرية النّحو الوظيفي، فيما يخصّ المبادئ:

1. المنطلق: تشكّل النّظرية الوظيفيّة نحو وظائفها يمثّل تطابقاً للمبادئ السابقة الذّكر، يقول المتوكّل: "النّظرية التي تنطلق من مبدأ أدائيّة اللّغة مرجعة وظائفها الممكنة إلى وظيفة التّواصل، وتؤسّس على هذا المبدأ وصف بنية اللّغات صرفاً وتركيباً وصوتاً وتطوّرها، وهي كذلك النّظرية التي تجعل من وظيفة التّواصل أساساً للبحث في إشكالات التّنظير اللّساني الكبري كإشكال اكتساب اللّغة وإشكال الكلّيات اللّغويّة².

فإنّه من حيث المنطلق نجد أنّ جميع النّظريات أو جلّها ذات التّوجّه الوظيفي تنطلق من المبادئ السّالفة الذّكر، إلّا أنّه وجب التّنبية إلى مخالفة لمنطلقها في الوصف والتّحليل، وعليه يمكن تقسيم النّظريات المعنيّة بالأمر إلى فئات ثلاث³:

¹ أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص: 89.

² أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفي، ص: 44.

³ المرجع نفسه، ص: 49.

● الفئة الأولى: نظريات لم تعن بهذه القضايا أو لم تعطها ما تستحق من عناية، وهي النظريات التي ظلّت متأثرة باللسانيات البنيويّة (كالوجهة الوظيفيّة للجملة) فلا يتمّ فيها البحث عن الكماليات اللغوية ولا النّحو الكلّي.

● الفئة الثانية: نظريات وظيفيّة ذات أصل توليدي لم تغيّر في نظرتها إلى قضايا اكتساب اللّغة وقواعد النّحو الكلّي، مثل التّركيبات الوظيفيّة.

● الفئة الثالثة: نظرية النّحو الوظيفي لسيمون ديك، التي توفّرت فيها جميع المنطلقات الوظيفيّة مع مقارنة قضايا الاكتساب والكماليات والنّحو الكلّي على أسس وظيفيّة، فبدلّ هذا على احترام النّحو الوظيفي للمنطلقات والمبادئ العامّة المقرّرة في النّظرية الوظيفيّة وتمثّلها عملياً في مسائل تنميط اللّغات ورصد تطوّرها من منظور تبعيّة البنية الوظيفيّة.

2. الهدف: يتمثّل هدف جلّ النظريات الوظيفيّة في تحقيق ما يعرف بالكفاية اللّغويّة (الوضعيّة والتّفسيريّة) وتهدف نظرية النّحو الوظيفي إلى الوصول إلى أبعد من هذا الهدف وهو الوصول إلى الكفاية الإجرائيّة وهي كفاية الاسهام في جانب مهم على الأقل من قطاعات التّواصل الاجتماعيّة الاقتصاديّة التي تستخدم اللّغة بكيفيّة من الكيفيات¹، اعتماداً على المبادئ ذاتها المعتمدة في تحقيق الهدف الأوّل، وحقّتهم في ذلك هو: سلوك نظرية النّحو الوظيفي مسلك التّواصل بمختلف قنواته اللّغويّة وغير اللّغويّة وجعلها نسقاً عامّاً موحّداً.

وعليه فإنّ نظرية النّحو الوظيفي تسعى إلى الوصول إلى هدفين اثنين هما:

● كفاية لغويّة: وتتعلّق بوصف الظواهر اللّغويّة وتفسيرها كعمليّة انتاج النّصوص والتّرجمة والاضطرابات اللّغوية وغيرها.

● كفاية إجرائيّة: وتتعلّق بالإسهام في وضع إجراءات تضبط عمليّات التّواصل التي لا تستعمل اللّغة كالأفلام والموسيقى والرّسم.

¹ أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفي، ص: 47.

3. التّمدّجة: تستعمل نظرية النّحو الوظيفي المبادئ السّابقة الذّكر (المنطلق - الهدف) للوصول إلى بناء جهاز واصف قادر على التّفسير والتّحليل اعتماداً على مكوّناته وقواعده المشتغلة في ترتيب وظيفي يوازي فحوى الخطابات، وهذا الجهاز يشترط فيه أن يتوفّر على¹:

- قالب لمعالجة الجوانب التّداوليّة، وعدم الاكتفاء بالمكوّنات التي لا تتجاوز البنية الشّكليّة.
- تقديم المكوّنين الدّلالي والتّداولي على المكوّنين (الصّرفي - التّركيبي) و (الصّوّتي)، بحيث يشكّل المكوّنات الأوّلان البنية التّحتيّة، ويشكّل المكوّنات الآخران البنية السّطحية.

ويرى "المتوكّل" أن الوصول بالنظرية إلى درجة التّمدّجة، يجب توفر ضابطين اثنين لا يمكن اغفالهما²:

- الأول: يجب تنظيم النّحو لينسجم مع الفرضيات العامة، وهو ما يسمى بقيد التناسق الذي يضمن عدم حدوث التناقض بين منطلقات النظرية، وعملية التّمدّجة، حيث يحكم ضابط التناسق هذا طبيعة مكوّنات النموذج، كما يحكم العلاقات القائمة بينها.

- الثاني: تعديل دوري للصياغة النحوية، طبقاً لأيّ تعديل يتم في الفرضيات العامة المنطلق منها، ويتمّ ذلك كلما مسّ النظرية أيّ عملية تطوير أو تغيير في الفرضيات، يُتبع ضرورياً بعملية تنظيم النّحو، للمحافظة على قيد التناسق.

والناظر في هذه الشروط والضوابط، ليجد أن نظرية النّحو الوظيفي تكاد تكون النظرية المثلى من بين النظريات الوظيفية، ذلك أنّها «تجمع أكبر عدد ممكن من المنطلقات المنهجية الوظيفية، وسعيها في مجاوزة الوصف، إلى التفسير الوظيفي، بل محاولة الولوج إلى قطاعات اجتماعية واقتصادية ظلّت خارج حيّز الدرس اللساني. وبناءً على ذلك يجمع بين الوظيفية والصورة والقابلية للحوسبة، ويُمثّل لا للمعرفة اللغوية فحسب، بل لكل المعارف والطاقات التي تسهم بشكل أو بآخر في عملية التواصل انتاجاً وفهماً»³.

¹ ينظر: أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفي، ص: 47.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 53.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 53.

خلاصة الفصل:

- وفي نهاية هذا الفصل والموسوم بالتوجّه الوظيفي (المفهوم والجذور والمبادئ)، أمكنني القول:
 - إن اللغة تؤدي وظائف متعددة، وتستعمل أساساً لتحقيقها (الأغراض)، إلا أن الوظيفة الأساسية هي: وظيفة التواصل.

- ترتبط بنية اللغة بوظيفتها التواصلية ارتباطاً يجعل البنية انعكاساً للوظيفة، حيث يجب التمييز بين مفهومين للوظيفة: الأول يعني الدور الذي تقوم به اللغة وهو التواصل، والثاني يعني العلاقة التي تقوم بين المكونات المسندة في الجملة، مثل العلاقات الدلالية أو التركيبية أو التداولية، كعلاقة المنفذ وعلاقة المفعول وعلاقة البؤرة والمحور.

- موضوع الوصف اللغوي في المفهوم الوظيفي هو القدرة اللغوية أو القدرة التواصلية، باعتبار هذه القدرة مجموعة القواعد البنوية الوظيفية، التي تمكن المتكلم والسامع من استعمالها بما يخدم التواصل لتلبية أغراض معينة.

- مرت نظرية النحو الوظيفي بعدة مراحل قبل أن تستقر على الشكل الذي هي عليه، فكانت أولى خطواتها نظرية الوجهة الوظيفية للجملة (مدرسة براغ)، ثم نظرية النحو النسقي (مدرسة لندن)، حيث تسمى هذه المرحلة مرحلة الداليات، ثم نظرية البراغمانتكس، ونظرية التركيبات الوظيفية، ونظرية التركيب الوظيفي، المنبثقة عن التوليدية التحويلية والمتجاوزة لها بإضافة العنصر التداولي، وتسمى هذه المرحلة مرحلة الداليات والتداوليات، ثم تأتي نظرية النحو الوظيفي بزعمارة "سيمون ديك" الهولندي لتختتم مسار النظريات الوظيفية بالتمثيل للعنصر التداولي، وربط البنية بالوظيفة.

- يتميز النحو الوظيفي عن بقية الأنحاء باستجابته لمبدأ الوظيفية، وذلك لقدرة على رصد الظواهر اللغوية وتفسيرها في إطار الارتباط القائم بين البنية والوظيفة، على أساس أن البنية تحدّد الوظيفة، والمكون الدلالي والتداولي سابقان للمكون التركيبي والصرفي.

- تفوقت نظرية النحو الوظيفي على غيرها من النظريات الوظيفية، من حيث أنها تمثّلت للمبادئ الوظيفية العامة التي تنادي بتبعية البنية للوظيفة، ومبادئ الهدف القاضية بالوصول إلى الكفاية اللغوية والإجرائية، وكذا ارتقاؤها إلى رتبة النمذجة في منهجة العمل النحوي وتجديده بما يناسب مستوى التواصل البشري.

الفصل الثاني

علاقات الارتباط الوظيفي

في تركيب الجملة العربية

أولاً- مفهوم الجملة وأنواعها

ثانياً- مفهوم الارتباط وعلاقاته

ثالثاً- علاقة الإسناد وأهميتها في بناء الكفاءة الوظيفية

تمهيد:

إنّ اللغة هي الأداة التي يستعملها الإنسان في تفكيره والتعبير عن وجدانياته، وفهم رغبات الآخرين والتواصل معهم، ومشاركتهم خبراتهم، وحدّها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»¹ كما عرفها "ابن جني" (ت392هـ) في خصائصه. إذ كانت اللغة ولازالت محلّ اهتمام الباحثين واللغويين قديماً وحديثاً. والمتتبع للدراسات اللغوية واللسانية والنحوية يجدها قد اعتمدت جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة دون غيرها، الذي تميّز بالتنوع والتعدد والاختلاف².

ولقد اجتهد الباحثون منذ "أفلاطون" (ت347 ق.م) حتى عصرنا الحالي على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم في تحديد تعريف جامع مانع للجملة، فكثرت المصطلحات وتشابكت المفاهيم، وتداخل بعضها ببعض، كمفهوم الجملة والكلام عند القدماء³. ومما أولى به النحاة العرب القدماء والدارسون المحدثون الأهمية في مجال اللغويات مفهوم الجملة وأنواعها؛ لأنها أساس اللغة العربية ومحورها، واللينة الأولى التي تبنى عليها نصوصها، لذلك نالت اهتمام اللغويين العرب من لدن سيويه إلى علماء العصر الحديث، بفضل جهود الوصف والاستقراء وتراكمات العلوم والمعارف المختلفة وظهور المدارس اللسانية المتعددة، وضعت لها حدود المفهوم والأنواع، وظهرت في ذلك آراء النحو الوصفي البنيوي، والنحو التوليدي التحويلي، والنحو الوظيفي التي جاءت تطبيقاتهم على التراكيب الجمليّة مفصلة ومدعمة بتحليلات توافق توجهاتهم الفلسفية ورأيهم العلمية، لذلك يحاول البحث أن يستفيد مما استقرت عليه النظريات القديمة والحديثة، ويركّز على الرؤية الوظيفية للجملة بوصفها النظرية الأكثر ملاءمة للنحو العربي.

¹ عثمان بن جني (أبو الفتح)، الخصائص، تح: عبد الحميد هداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 1424هـ-2002م، ج1، ص87.

² ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418هـ-1998م، ص:88.

³ ينظر: محمود أحمد نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1408هـ-1988م، ص:11.

أولاً: مفهوم الجملة:

1- المفهوم اللغوي:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة: (ج . م . ل)، (الجُمْل): الجماعة من الناس بضم الميم والجيم، ويُقال: جَمَلَ الشيءَ جمعه، وقيل: لكل جماعة غير منفصلة جملة، والجملة: واحدة الجُمْل، والجملة: جماعة الشيء، وأَجْمَلَ الشيء: جمعه عن تفرقه، والجملة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره، يقال: أَجْمَلْتُ له الحساب والكلام¹.

وقد ورد لفظ (جمل) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾².

2- المفهوم الاصطلاحي:

إنَّ المتتبع للدراسات النحوية القديمة في مختلف مراحلها لا يجد أبواباً وفصولاً تتناول الجملة بالدراسة، بوصفها كيانه مستقلاً له من الأهمية في الدراسات النحوية ما يفوق الموضوعات النحوية الأخرى، التي سخر لها النحاة جهدهم بعيداً عن الإطار الذي كان ينبغي أن تدرس من خلاله، وهي المحتوى الأدنى للفهم والإفهام في عملية التبليغ.

2-1 مفهوم الجملة عند النحاة القدماء:

لم يتناول "سيبويه" (ت180هـ) تعريف الجملة ولم يسط الآراء فيها، حيث جاءت في معنى الكلام بدلالات مختلفة³، فقد استخدمه بمعنى الحديث والنثر واللغة والجملة أيضاً، تقول "أولكر موزال" «إذا تتبعنا المواضع التي استخدم فيها سيبويه الكلام بمعنى الجملة فإننا لا نستطيع أن نستنبط منها تعريفاً دقيقاً للجملة»⁴.

¹ ينظر: جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، ج11، مادة: (جمل)، ص132.

² سورة الفرقان، الآية32.

³ عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، القاهرة-مصر، (د.ط) 1957 م، ص125.

⁴ نقلاً عن: محمود أحمد نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة، بيروت-لبنان، (د.ط) (د.ت) ص16.

وفي هذا السياق يؤكد "عبد الرحمن الحاج صالح" أنّ مصطلح (جملة) لم يكن معروفاً قبل هؤلاء، وعدّه أمراً غريباً «وجد أثر لكلمة (جملة) في كتاب سيبويه، وكذلك العبارة (جملة مفردة) لا أثر لها في الكتاب، ولا نعث على كلمة (جملة) بعد سيبويه إلا في كتاب "المقتضب" للمبرّد، ونرجح أن شيخه المازني هو الذي وضع المصطلح، فإنه أول نحوي يستعمل كلمة (فائدة)؛ بمعنى العلم المستفاد من الكلام، وهذا المفهوم يعبر عنه سيبويه بكلمة (علم)»¹.

لكن استطاع "ابن جني" أن يستنبط تعريفاً للجملة حيث قال: «هي كل لفظ مستقل يعدُّ بنفسه مفيداً بمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل»².

وعلى نحو هذا يقول "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ): «اعلم أنّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمّى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان أفاداً نحو: (خرج زيد) سمي كلاماً وسمي جملة»³.

كما نجد "الزمخشري" (ت538هـ) ممن نحا هذا المنحى في مفصّله حين قال: «الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا اسمين كقولك: "زيد أخوك" ... أو فعل واسم نحو قولك: "ضرب زيد" ... وتسمى جملة»⁴.

في حين أننا نجد من علماء اللغة من فرّق بين المصطلحين أمثال "الرضي الاستربابي" (ت686هـ) حيث يقول: «والفرق بين الكلام والجملة أنّ الجملة ما تضمّن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أم لا... والكلام ما تضمّن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس»⁵.

ويتضح ذلك مع رأي "ابن هشام" (ت761هـ) الذي يشدد على عدم ترادفهما: «فالكلام هو القول المفيد بالقصد... والجملة عبارة عن الفعل والفاعل... والمبتدأ وخبره... وما كان بمنزلة أحدهما، وبهذا يظهر لك أنّهما ليسا مترادفين، كما توهمه كثير من الناس»⁶.

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، مجلة المبرز، العدد2، ص:08.

² ابن جني، الخصائص، ج1، ص:87.

³ عبد القاهر الجرجاني، الجمل، تح: علي حيدر، دمشق، 1972م، (د.ط)، ص: 40.

⁴ موفق الدين بن علي بن يعيش، شرح المفصل، قدمه إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د.ط) (د.ت)، ج1، ص18.

⁵ رضي الدين الاستربابي، شرح كافيّة ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 1419هـ- 1992م، ج1، ص:31-32.

⁶ ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الاتحاد العربي، القاهرة، (د.ط) (د.ت)، ج2، ص416.

وذهب "ابن يعيش" في شرح مذهب "الزمخشري" في التوحيد بين مفهومي الكلام والجملة فقال: «وما يسأل عنه الفرق بين الكلام والقول والكلم والجواب أن الكلام عبارة عن جمل مفيدة، وهو جنس فكل واحدة من الجمل الفعلية والإسمية نوع له يصدق إطلاقه عليها، كما أن الكلمة جنس للمفردات»¹ ويركز هذا التعريف على السكوت كعنصر أساسي يفصل بين الجمل وهذا المعنى هو الذي عوّل عليه الألسنيون المعاصرون، وفي تعريف آخر له يقول: «الكلام هو القول المفيد بالقصد»²، والمقصود بالمفيد هنا ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه.

ونجد أن "أبا هلال العسكري" الذي لم يكن اهتمامه مُنصبًا على الجملة وإنما كان محصوراً في الكلام يقول: «الكلام بحُسن سلاسته وسهولته وفصاحته وتحيز لفظه، وإصابة معناه وجوده مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه وتشابه إعجازه ومواقفه ما أخبر عنها مع قلة ضرورته»³

ونلاحظ مما سبق، أنّ انطلاق النحو العربي على غرار من الأنحاء في العالم من نحو الجملة، كان مرده إلى الأسباب التي من أجلها تم القيام بتقعيد اللغة، فتقويم اللسان كان دافع النحاة إلى الاهتمام بالقواعد التي تتضمن نطق الجملة نطقاً يتعد عن اللحن في العربية، حيث نعلم أن المستوى التركيبي هو أكثر المستويات تحلياً للدرس النحوي؛ لأنّه مناط ظهور العلامة الإعرابية بتضام الكلمات بعضها إلى البعض.

كما ذهب النحاة العرب إلى تقسيم الجملة أقساماً حسب مذاهب النحوية، وعلى اعتبار أساسات تتعلق بالجملة نفسها، فمنهم من يُقسّمها تقسيماً بحسب الشكل (جملة بسيطة - جملة كبرى - جملة صغرى)، ومنهم من يُقسّمها بحسب المحلّ (الجملة التي لها محل من الإعراب - الجملة التي ليس لها محل من الإعراب)، وبعضهم من قسّم الجملة في اللغة العربية حسب العمدة فيها (المسند والمُسند إليه):

أ- **الجملة البسيطة**: فهي التي تتضمن علاقة إسناد واحدة، سواء اشتملت على متعلقات بعنصري الإسناد الاثنين المُسند والمُسند إليه أو بأحدهما، أو لم تشمل.

¹ موفق الدين بن علي بن يعيش، شرح المفصل، ج 1، ص 21

² ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج 2، ص 490.

³ أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: محمد علي البخاري، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ط 2 1975م، ص

ب- الجملة المركبة : وهي التي تتضمن علاقتي إسناد اثنين فأكثر، سواء اشتملت على متعلقات بعناصر الإسناد، أو لم تشمل¹.

ومن المعلوم أن تقسيم النحاة للجملة العربية إلى جمل لها محل من الإعراب وجمل لا محل لها من الإعراب هو تقسيم يقوم على الناحية اللفظية، وليس على أساس المعنى أو الناحية التركيبية. وعليه تنقسم الجملة باعتبار التركيب النحوي إلى ثلاثة أقسام وهي:

- جملة اسمية: وهي جملة تبتدئ باسم ويليه اسم، أو يليها الفعل أو الحرف. ففيها المسند إليه أولاً ثم المسند. وقد يتقدم المسند على المسند إليه في حالات التقديم والتأخير.

- جملة فعلية: وهي جملة تبتدئ بالفعل، أو اسم الفعل، مهما كان زمانه، ويليه الاسم ظاهراً أو مضمراً².

- الجملة الظرفية: وهي التي وقع في صدرها ظرف، أو جار ومجرور نحو: أعندك خالد؟، وأني المدرسة خالد، إذا قدرت خالداً فاعلاً بالظرف والجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف، ولا مبتدأ مخبر عنه بهما فهذا القسم نطلق عليه شبه الجملة³.

كما نجد تقسيماً آخرًا للجملة عند النحاة إلى ثلاثة أقسام:

- الجملة الأصلية: وهي التي تقتصر على ركني الإسناد، أي على المبتدأ مع خبره، أو ما يقوم مقام الخبر، أو تقتصر على الفعل مع فاعله أو ما ينوب عن الفعل.

- الجملة الكبرى: وهي ما تتركب من مبتدأ خبره جملة اسمية أو فعلية نحو : الزهر رائحته طيبة، أو الزهر طابت رائحته.

- الجملة الصغرى : وهي الجملة الفعلية أو الاسمية إذا وقعت إحداها خبراً لمبتدأ . وهي كذلك الجملة المبنية على المبتدأ كالجملة المخبر عنها.

¹ ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص20 .

² ينظر: صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2004م، ص:27.

³ ينظر: مجدي محمد حسين، الجملة الاسمية، راجعه سليمان طه حمودة، دار ابن خلدون للنشر، (د . ط) 2004 م، ص212.

2-2- مفهوم الجملة في اللسانيات الغربية:

وإذا حاولنا تتبع مفهوم الجملة عند الباحثين والدارسين الغربيين في العصر الحديث نجد الاختلافات نفسها حول مفهوم الجملة، فيقدم "دو سوسير" تعريفاً بنيوياً إن الجملة هي النمط الرئيسي من أنماط التضام، والنظام عندما يتألف دائماً من وحدتين أو أكثر من الوحدات اللغوية التي يتلو بعضها بعضاً، وهو لا يتحقق في الكلمات فحسب، بل في مجموعة الكلمات أيضاً، وفي الوحدات المركبة من أي نوع كانت (الكلمات المركبة، المشتقات، أجزاء الجملة، الجملة كلها)، وهو عنده يمكن أن يكون وحدة النظام اللغوي¹.
أما "يسبرسن" فقد عرّف الجملة على أنها: قول بشري تام وهو عنده يمكن أن يكون وحدة النظام اللغوي ومستقل والمراد بالتمام والاستقلال عنده أن تقوم الجملة برأسها، أو تكون قادرة على ذلك².
أما في النحو التحويلي فقد عُرِفَت الجملة بأنها: مجموعة من العبارات تخلقها ميكانيكية القواعد في النموذج التوليدي³. ويرى "دوبوا": أن المعنى تام لأن الجملة تامة، وأنها تتألف من مكونين هما: العبارة الاسمية والعبارة الفعلية⁴. فهي: «عبارة عن فكرة تامة»⁵ عند "إيفتش"، أو «تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة»⁶ كما يعبر عنها "جاردنر" و"جولدمان" و"آيسلر".
في حين أننا نجد "كلاوس برينكر" يصف الجملة بأنها: «وحدة لغوية تتشكل من فعل (محمول) بوصفه المركز التركيبي وسلسلة من مواقع أركان الجملة (الفاعل، والمفعول، والتحديدات الظرفية.. الخ) التي تقع كل منها في علاقات تبعية محددة للفعل (المرتکز)»⁷. إذن، للجملة نواة تنطلق منها، وتسمى الفعل المرتکز، وجمل تنفرع عنها وتسمى تكوينات جملية.

¹ فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، (د. ط) 2008م، ص7-40.

² ينظر: محمود أحمد نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة، ص:16.

³ ينظر: محمود أحمد نخلة، المرجع نفسه، ص:14.

4 J. Dubois Dictionnaire de linguistique Francaise . Larousse. Paris. 1973. p377.

⁵ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص:88.

⁶ المرجع نفسه، ص:88.

⁷ كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005م، ص: 33-34.

أما "جون ليونز" يرى أنها: «ذات نمط تركيبى ذو مكونات شكلية خاصة»¹.

وفي علم اللغة بشكل عام يُجمع كل من "هاريس" و"بلومفيلد" و"كارل ديتير بوننج" على مفهوم واحد للجملة لا تخرج عن كونها: «أكبر وحدة نحوية موصوفة»².

هؤلاء متمسكا بفكرة (الاستقلال) في تعريف الجملة وأسقط فكرة (التمام) لاتصالها بالمعنى، لذا نجده يقول بأن: الجملة شكل لغوي مستقل لا يدخل عن طريق أي تركيب نحوي في شكل لغوي أكبر منه. تشترك التعريفات السابقة في اعتبار الجملة محور الدرس اللغوي، والوحدة اللغوية الأساسية المستقلة بذاتها المغنية عن غيرها. وقد ظلت ردحا من الزمان أساس الدرس البلاغي والنحوي، ففسّرت مكوناتها ومختلف قواعدها التي قامت عليها النظريات النحوية والاتجاهات اللسانية على اختلاف مشارب أصحابها؛ فالجملة بنية قارة في الكلام، وقرارها هذا جعل النظريات التي اشتغلت بوصفها وتقنياتها، متينة متانة نسبية³، ونتيجة بعض العيوب التي وقع فيها "نحو الجملة" «كالإصرار على استقلال النحو عن الموقف الاتصالي، وإخضاع الجمل الطويلة المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب اللغوية البسيطة»⁴، الأمر الذي دفع بالباحثين إلى دراسة النص الأدبي وضبط قوانينه وضبطا موضوعيا علميا من أجل الوصول إلى نتائج أقرب ما تكون إلى الدقة.

وأما في العصر الحديث فقد قدّم علماء اللغة تقسيماً جديداً للجملة باعتبارها جزءاً من النسيج العام في بنية النص الكلية، ومن هنا يمكننا أن نفرّق بين نوعين:

- **جملة نظام:** وهو شكل الجملة المجرد الذي يولّد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما. الأمر الذي يجعل الجملة أكثر استقلالية.

¹ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 88

² ينظر: عبد المجيد جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، (د.ط) 1998م، ص 65.

³ ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)، المركز الثقافي العربي، الحمراء-بيروت، ط 1 1993م، ص 14.

⁴ فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: صالح فاتح الشايب، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض-المملكة العربية السعودية، (د.ط) 1997م، ص: 18.

- جملة نصية: هي الجملة المنجزة فعلاً في المقام، وفي هذا المقام تتوفر ملاسبات لا يمكن حصرها، يقوم عليها الفهم والإفهام¹.

وتتعدد الجمل في المقام الواحد على لسان شخص واحد نظرياً إلى ما لا نهاية له، وهذا التعدد يعود إلى التفرّد من حيث البنية المولدة للجمل². وقد قسّم "جون ليونز" أيضاً الجملة، إلى نوعين:

- جملة نصية: وهي التي تستقل في دلالتها داخل النص.

- جملة غير نصية: وهي عبارة عن جزء الجملة. كأن تقول: هل رأيت محمداً؟ الجواب: أنا لم أر محمداً. لم أره. زيد لم يره أيضاً. فالنص الأول فقط هو الذي ينبغي أن يوصف بالنصية؛ لاستقلاله في المعنى، والباقي جمل غير نصية لاشتمالها على ضمائر غير مستقلة في ذاتها³.

ويوضح ذلك "أندريه مارتيني" حينما وضع حدود الجملة بكونها «كل عبارة ترتبط بجميع وحداتها بمسند وحيد أو بمسندات مترابطة، وحلّلها إلى مجموعة من: المونيمات والتركيبات، منها ما يمثل نواة الجملة وهو التركيب الاسنادي الذي يتألف من عنصرين أساسيين هما: "المسند" ويمثل نواة الجملة أو الخطاب أو الحكم، و"المسند إليه" الذي يمثل عنصراً هاماً لتمام الجملة (المحكوم عليه).. أما بقية العناصر فمتعلقة بالنواة وهي فضلات تضاف لتحديد الزمان والمكان، أو لتخصيص أحد عناصر الإسناد... الخ، فإذا حذفناها لا تختل الجملة»⁴. فمثلاً التركيب المكون من: "يرتّبك الطلاب يوم الامتحان"، ف"يرتّبك الطلاب" هو نواة التركيب الإسنادي الذي تتأسس عليه الجملة ولا يمكن أن يزول وإلا فسدت.

ولقد اهتم لسانيو الجملة - رغم تعدد آرائهم وأقوالهم- بالوصف النحوي لها، كما رأينا ذلك مع "بلومفيلد" و"هاريس". في المقابل لم يدرسوا المعنى، وأبعدوا العوامل الاجتماعية والتبليغية التي يحتاجها الناس لقضاء حاجاتهم والتعبير عن أغراضهم ومقاصدهم، وقد برّروا موقفهم هذا بأن دراسة المعنى «من اختصاص علماء آخرين خارج اللسانيات، وأن منهجهم يقتضي إبعاد المعنى من التحليل اللغوي؛ لأنه ظاهرة لا يمكن

¹ ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م، ص: 19.

² ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً)، ص: 14.

³ ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص: 19-20.

⁴ ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات العامة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط) 2000م، ص: 101.

مشاهدتها مباشرة، ولهذا لجأوا إلى مشاهدة السلوك اللغوي وما يصحبه من أحوال محسوسة، متأثرين في ذلك بالنظرية التي كانت سائدة في الدراسات النفسية آنذاك، وهي السلوكية»¹.

وفي الاتجاه الوظيفي يعتبر "أندري مارتنيه" بأن الجملة أصغر مقطع ممثل بصورة كلية وهي تتابع من الكلمات والمورفيمات التنغيمية ويعرفها بقوله: هي كل ملفوظ تتصل عناصره بركن إنساني وحيد أو متعدد عن طريق الإلحاق². ويسمي المسند وهو مركز التنظيم التركيبي للجملة المستقلة، وهو يشكل قمة الهرم الذي تبدو باقي عناصر الملفوظ كتوسعات ثانوية، وعرف "جاكسون" بنموذج وظائف اللغة وتبعه في ذلك "دانيس"، و"فيرباس"، و"سغال" وغيرهم، وعرفوا أيضا بوجهتهم الوظيفية للجملة، وأكدوا على المفهوم ديناميكية التواصل، فالجملة ليست كلمات فحسب بل هي فعل لغوي وموقف إزاء واقع معين، فهي تنقل تجارب المتكلمين، لتموضع في عملية التواصل³.

ويأتي "سيمون ديك" ممثلاً للاتجاه الوظيفي التداولي، واقترحه لنظرية النحو الوظيفي من خلال نمذجة الظواهر اللغوية ونحو الأحوال، هي امتزاج لنظرية النحو العلاقي ونظرية الأفعال الكلامية⁴. ويهتم هذا الاتجاه بدراسة الجملة دراسة وظيفية تداولية عن طريق التحليلات التركيبية والمعجمية والدلالية والتداولية.

فالجملة إذن في الفكر اللساني الغربي هي: أكبر علامة لسانية ممكنة، تقوم على وحدة الخطاب وتعتمد الاستقلال التركيبي والتمام الدلالي، فهي وحدة كاملة، وهذا نجده عند النحاة العرب القدماء، ومن خلال ما جاء من تعاريف وتصنيفات عند هؤلاء اللسانيين الغربيين وضع الكثير من الدارسين للغة العربية تصوراتهم ونظرياتهم وتصنيفاته وتحليلاتهم للجملة في إطار اللسانيات الحديثة والمعاصرة. إلا أن الوصف البنوي لا

1 ينظر: حولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات العامة، ص: 58.

2 ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط) 1999 م، ص 117.

3 ينظر: غلفان مصطفى، اللسانيات العربية الحديثة، دراسات نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1998، ص 253.

4 ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية (المقاربة المعيار)، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، الرباط-المغرب، ط 1 1437هـ\2016م، ص 9.

يقف عند حدّ الجملة، بل يتجاوزها إلى حدّ النصوص والخطاب، ويرون أنّه لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا تم التركيز على أمرين في تحليل الخطاب، وهما¹:

- العلاقات التوزيعية بين الجمل.

- الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي.

ولقد أخذت ملامح هذه الرؤية تتبلور، منذ الستينيات من القرن الماضي في الدراسات الغربية تحت مسمى "لسانيات النص" أو "نحو النص"، معتمدة آراء مجموعة من العلماء أمثال: "أنجاردن" 1939م و"هيلمسليف" 1943م، و"هاريس" 1952م، و"هارتمان" 1964م، و"فيانرش" 1966م، الذين يرون ضرورة تجاوز "الجملة" بالدراسة إلى "النص" و"الخطاب"، واعتبارهما الوحدة اللغوية الأكبر للتحليل، انطلاقاً من النقد الذي وجه للمدارس التي تتخذ من الجملة منطلقاً لتحليلها اللغوي، ويبدو أن هذا التوجه الجديد كان وليد محدودية "نحو الجملة" - كما يرى منتقدو هذا الاتجاه - في «تحليل ظواهر خطائية معينه»²، فهو في نظرهم - أي نحو الجملة - نحو ناقص وضعيف ومن ثم غير صحيح.

لذا فقد طور اللسانيون أمثال: "دريسler" 1973م، و"هاليدي" و"رقية حسن" 1973م، و"هارتمان" 1975م، في مرحلة السبعينيات من القرن الماضي حقلاً جديداً تجاوزوا فيه حدود الجملة إلى النص، بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى. وعليه فقد أدخلوا مصطلحات ذات مفاهيم جديدة مثل: الملفوظ Enoncee والتلفظ Enonciation والخطاب Discours، والنص Text. وينطلق بحثنا من مفهوم الجملة في النظرية الوظيفية إلى التطبيق في النصوص القرآنية، لذا نقف عند أهم ما قيل في مفهوم النص الذي يعتبر تشكلاً لمجموعة من الجمل، يؤدي وظائف دلالية وأخرى تداولية وفقاً لطريقة التركيب بينها.

يرى "كلاوس برينكر" أنّ تعاريف النص ذات المنظور اللساني قد انطلقت من اتجاهين:

- الاتجاه الأول: يقوم على أساس النظام اللغوي، وتعتمد معظم التعاريف فيه على تحديدات "نحو الجملة" ذات الأصل البنيوي أو التوليدي - التحويلي، حيث يظهر النص كتتابع جملي متماسك. كما يراه

¹ ينظر: جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط) 1998م، ص: 65.

² مازن الوعر، نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مجلة الموقف الأدبي، العدد 385، ص: 17.

"هاليداي ورقية حسن" الذين ذهبوا إلى أن النص هو عبارة عن متتالية من الجمل تربط بينها علاقات قبلية وأخرى بعدية، سواء أكان منطوقاً أم مكتوباً، ثراً أم شعراً، بغض النظر عن طوله أو قصره. فيُعد بذلك حتى نداء الاستغاثة مثلاً أو مسرحية بأكملها من قبيل النصوص¹. وعليه فإن النص «وحدة دلالية، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها»².

وضبط "هارلد فاينريش" مفهوم النص بأنه: «تكوين يُحدّد بعضه بعضاً، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضاً لفهم الكل»³، وعليه فإنّ النص كل تترايط أجزأؤه بعضها ببعض، إذ يؤدي الفصل بينها إلى عدم وضوح النص، كما يؤدي عزل أو إسقاط عنصر من عناصره إلى عدم تحقيق الفهم، فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، بحيث تُسهم كل جملة في فهم الجمل التي تليها فهماً معقولاً، كما تُسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهماً أفضل⁴.

– **الاتجاه الثاني:** ويقوم على أساس نظرية التواصل، التي تعتبر النص حادثة تواصلية ذات وظيفة. كما ذهب إلى ذلك "بيتر هارتمان" حين قال: «النص قطعة ذات دلالة وذات وظيفة، ومن ثم فهي قطعة مثمرة من الكلام»⁵، كما يجده: علامة لغوية أصلية تبرز الجانب الاتصالي والسميائي⁶.

ونقل "فان دايك" الرأي نفسه في حديثه عن السياق قائلاً: «... ولكن مدار الأمر – في الأساس – يرجع إلى قواعد عرفية (نحوية ودلالية) تسرى على جماعة الاتصال كلها. فكل كاتب يعرف القواعد ذاتها المعروفة للجماعة ويطبّقها حين ينتج نصوصه أو منطوقاته ويبتّل التفاعل إذا جهل تلك القواعد»⁷. هذا التعريف يبرز لنا أنّ النص – منطوقاً كان أو مكتوباً – هو عملية إنتاجية تقوم على أساس تطبيق قواعد معروفة (نحوية ودلالية) يقوم بها الكاتب أو المتكلم قصد التواصل.

¹ ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ص: 22.

² أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص: 13.

³ محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1987م، ص: 36.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص: 36.

⁵ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص: 94-95.

⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص: 95.

⁷ فان دايك، علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص: 177.

ويُشير "كلاوس برينكر" إلى أن "النص" «تتابع محدود من علامات لغوية متماسكة في ذاتها، وتُشير بوصفها كلاً إلى وظيفة تواصلية مدركة»¹. وعليه فقد جمع "برينكر" بين المنظورين الأساسيين للسانيات النص الذئن سبقا تقديمهما، فهما يكملان بعضهما البعض في عملية التحليل اللغوي، إذ يفتقد الأول إلى الوظيفة وهي الارتقاء به إلى حد التواصل، الذي يقوم أساساً على الفعل الإنجازي في نظرية الفعل الكلامي²، وتُحمل الشروط العامة التي يجب أن يفي بها كل بناء لغوي حتى يُعدّ نصاً بوجه عام، تحت مفهوم النصية (قوة التلاصق النصي).

وهكذا توسع موضوع هذه الدراسة، فمن لسانيات الجملة إلى لسانيات النص ولسانيات التلفظ والملفوظ والخطاب.

2-3- مفهوم الجملة عند اللغويين المحدثين العرب:

تأثّر أكثر اللغويين العرب في العصر الحديث بما وجد من مدارس غربية، تناولت بالدراسة علم اللغة والدلالة والأصوات وعلوم أخرى، نقلت إليهم عن طريق حركة البعثات أو الترجمة، فجاءت مذاهبهم صورة لما كانت عليه في أوروبا وأمريكا، فقد درسوا الجملة من عدّة جوانب معيارية وأخرى مقارنة. ورغم ذلك برز باحثون بمعالجتهم الجادة للغة الواصفة، وقواعدها بوصفها وصفاً علمياً دقيقاً في مستوياتها المختلفة (الصوتية والصرفية والتركيبية). وآخرين بنظرتهم الموسّعة للعملية التخاطبية، قدموا بعداً جديداً لمفهوم الجملة لتشمل جوانب المقام، لذا نجد آراءهم في الجملة طبقاً لانتماؤاتهم لمدارس غربية.

أ- مفهوم الجملة في المنظور اللساني الوصفي:

يعرف الجملة "إبراهيم أنيس" بقوله: «إن الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تَرَكَّبَ هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر»³. كما عرّفها "أنيس منصور" أنها: «أقل قدر من الكلام يفيد معنى مستقلاً بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر، فإذا سأل القاضي أحد المتهمين قائلاً: من كان معك وقت

¹ كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ص: 27.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 29.

³ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، لجنة البيان العربي، القاهرة-مصر، (د.ط) 1966م، ص 260.

ارتكاب الجريمة؟ فأجاب زيد، فقد نطق هذا المتهم بكلام مفيد في أقصر صورة»¹.

لا تشترط التعريفات السابقة للجملة أن تكون مركبة أو مسندة، فقط شرط الإفادة يغييها عن كونها كلاماً مستقلاً بمعناه، ومن يؤكّد هذا المذهب "مهدي المخزومي" فذكر هذه التعريفات بنصها، ولكنّه أردف قائلاً: أن الجملة قد تخلو من المسند إليه لفظاً أو من المسند لوضوحه وسهولة تقديره»². ومنه نستنتج أنّ الجملة وحدة لغوية أقل من الكلام تُفيد السامع معنىً تحمله عناصرها، ويميّزها عن غيرها من الجمل الأخرى.

ويرى "عبد الرحمن أيوب" أن في العربية جملاً غير إسنادية، ويدلّل على صحّة رؤيته بأن النحاة تأثروا بنظرية "أفلاطون" في الموجودات وهي: الذوات المادية والأحداث، التي تقع في زمن خاص كالتكلم، وله وجود واقعي وعلاقات تربط بينهما، ويقوم على اعتبار ذهني³. فقد أشار إلى الأساس الذي يجب أن يقوم عليه التقسيم للكلم وهو العلامات كما سماها النحاة، وهو أساس جامع مانع صحيح في نظره، يقوم على الإعراب والموقع الإعرابي.

ويبين "عبد الرحمن أيوب" معنى الجملة عند الوصفين الغربيين، حيث فرّق بين الجملة باعتبارها أمراً واقعياً، والجملة باعتبارها نموذجاً يصاغ على قياس منه عدد من الجمل الواقعية، ومثال ذلك: عبارة) المبتدأ والخبر) جملة اسمية تصف نموذج الجملة الاسمية، بينما تصف عبارة) محمد قائم)؛ هي جملة اسمية مثلاً واقعياً لهذا النموذج المشار إليه في العبارة الأولى، وإذا صح أن العبارة الأولى تصف نموذج الجملة الاسمية، وأن الثانية تصف مثلاً لها، فإنه من اللازم أن نفرق بين نماذج الجمل التي توجد في كل لغة من اللغات وبين الأمثلة التي تترد في استعمالنا لكل منها⁴.

ويخلص إلى أن النحاة قد قصدوا بالجملة ما يقصد به علماء اللغة بعبارة (الحدث اللغوي)، وهو نفس الاتجاه الذي ارتضاه السير "ألان جاردنر" في كتابه (اللغة والكلام)، حيث قال: إن الجملة مثال

¹ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص26.

² مهدي المخزومي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، دار الرائد العربي للنشر، بيروت-لبنان، ط2 1406هـ-1986م، ص33.

³ ينظر: أيوب عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة-مصر، (د. ط) 1975م، ص124.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص9.

للكلام تنطق وتسمع وتشير إلى معنى محدد. والحقيقة أن النحاة ذكروا (النموذج اللغوي) والأمثلة التطبيقية عليه، وليس أدل على ذلك من قول "سيبويه" (باب المسند والمُسند إليه). وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بديلاً، فمن ذلك: الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، المقصود بالمسند عند سيبويه، الفاعل والمبتدأ، والمقصود بالمسند إليه الفعل والخبر، وهذا رأي "سيبويه"، فالمبتدأ مسند والمبني عليه مسند إليه.

وقد جاء رأي "تمام حسان" في كتابيه (اللغة العربية معناها ومبناها)، و (اللغة بين المعيارية والوصفية) متبنياً منهجاً وصفياً وظيفياً، حيث نقد نظرية الإعراب والعوامل، فكان اعتماده على النظرية السياقية عند "فيرث" القائمة على المعنى، حيث يرى أن كل طريقة تركيبية تتجه إلى بيان معنى من المعاني الوظيفية في اللغة، ففسّر الجملة العربية على أنها علاقة معنوية سياقية وصفية، وجعل المعنى ينقسم إلى فروع ثلاثة¹:

- المعنى الوظيفي، ويشمل النظام الصوتي والصرفي والنحوي.

- المعنى المعجمي.

- المعنى الدلالي أو الاجتماعي.

ووضّح "تمام حسان" أن إدراك المعاني الوظيفية النحوية في الجمل أو تحليل النصوص تحليلاً لغوياً، يقتضي الجمع بين قرائن معنوية ولفظية، حيث تبرز ثنائية المعنى والمبنى، ومن بين القرائن المعنوية، التي سماها قرائن التعليق: قرينة الإسناد، وهنا يتعلق الأمر بالجملة حيث جعل الإسناد بين طرفي الجملة الاسمية والفعلية. وأما الجملة الوصفية والإسناد اللفظي هي: الدلالة اللفظية، التي تمحص المدلول وتصرفه إلى المراد مع غيره من الدخول فيه، وتكون مقالية أو حالية، وهي عنصر مهم لفهم الجملة، ثم التخصيص، وهي علاقة سياقية تشمل المفعولات، وقرينة النسبة وتتفرع إلى المجزئات، وهي قرينة كبرى كالتخصيص، والنسبة قيد عام على علاقة الإسناد، أمّا القرائن اللفظية فيحصيها في العلامة الإعرابية، والرتبة، المطابقة وتكون في الصيغ الصرفية؛ كالشخص والعدد والنوع والتعيين، الربط، التضام، الأداة، النعمة.

¹ ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، 1980م، ص35.

ونقدم مثالا توضيحياً، فنأخذ قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾¹، نرى في الآية الكريمة تعدد الجمل الفعلية واحتواء كل واحدة على الفعل والفاعل والمفعول به، فنأخذ الجزء الثالث من الآية لتحليله من وجهة نظر الروابط:

القرائن الدالة على أن (الله) يعرب فاعلاً هي:

- الإسناد: قرينة معنوية، وهو العلاقة الرابطة بين طرفي الإسناد كالعلاقة بين الفعل والفاعل (لا يكلف الله..)، وهو رابط معنوي بعد الفهم، والإسناد اللغوي ارتباط من طرفين موضوع ومحمول (مسند ومسند إليه) قبل الفهم.

- البنية: الفاعل (الله) لأنه اسم (قرينة لفظية) .

- العلامة الإعرابية : لأنه مرفوع (قرينة لفظية) .

- التضام : كل فعل يستلزم فاعلاً (قرينة لفظية) .

- الرتبة : متأخرة عن الفعل (قرينة لفظية) .

أما القرائن الدالة على أن (نفساً) مفعول به هي:

- البنية : صحت له المفعولية لأنه من الأسماء (القرينة لفظية).

- التعدية : وتفهم من هذه العلاقة ما كان مفعولاً به (القرينة معنوية).

- العلامة الإعرابية : فلو لم يكن منصوباً ما كان مفعولاً به (القرينة لفظية).

فالجملة تقوم عند "تمام حسان" على أساس العلاقات السياقية بين الكلمات على المستوى التركيب،

مستفيداً في ذلك من نظرية التعليق وتضافر القرائن لبيان المعنى النحوي.

¹ سورة الطلاق، الآية 7.

ب- مفهوم الجملة في المنظور اللساني التوليدي:

مهّد لوجود مبادئ المنهج التوليدي في اللغة العربية، كقضية العامل، وقواعد الحذف والزيادة، وقواعد التقديم والتأخير، وتأثيره على تركيب الجملة، من حيث الأعمال والإهمال، ومن حيث التغيير الدلالي، لأنها تقترب من المنهج التحويلي القائم على الأصل العقلي.

وقد خصّص بعض اللغويين العرب دراسات معتبرة لبعض أوجه التماثل، ومنهم:

- اللساني "ميشال زكريا" الذي درس القواعد التوليدية والتحويلية، حيث جاءت جلّ تحليلاته بدراسة الجملة، وإعادة كتابتها بهذه القواعد، من حيث إن للجملة بنية عميقة تشتغل عليها قواعد التوليد والتحويل لاشتقاق البنية السطحية، ومن هنا يتضح مفهوم الجملة عنده بأنها الوحدة الأساسية التي تقوم عليها هذه القواعد¹.

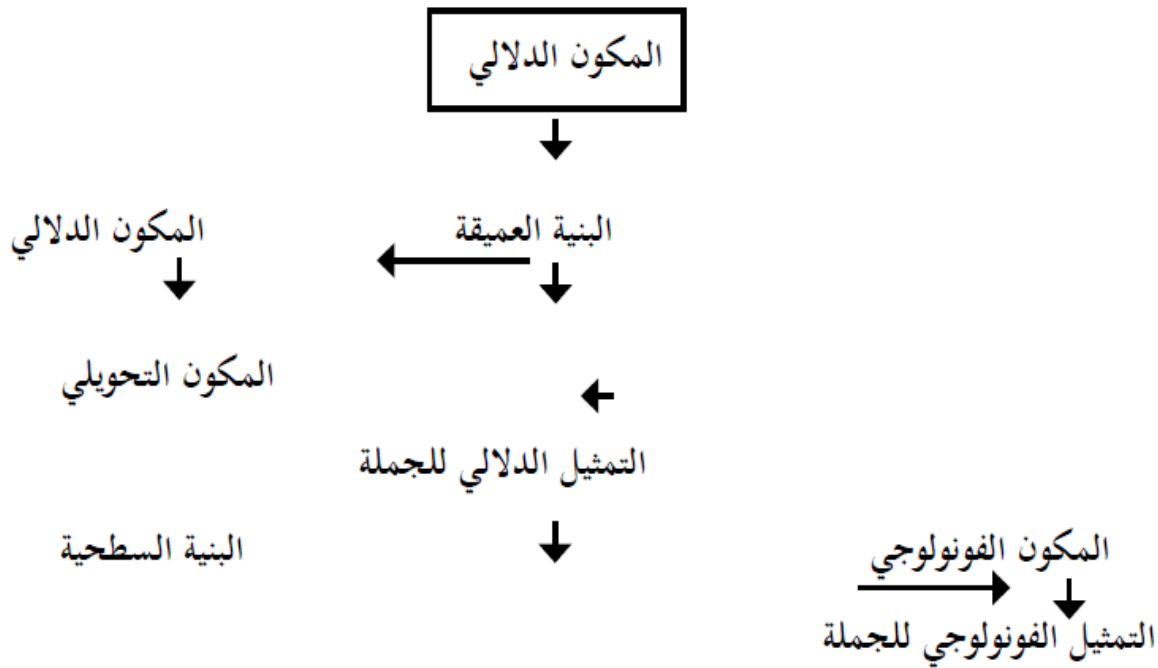
كما عاد إلى آراء النحاة القدماء في تعريفهم للجملة مشيراً إلى رأي "ابن هشام" القاضي بأن الجملة هي: اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، كما يعرض للعلاقة الوطيدة بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية.

وقد بيّن كيفية عمل القواعد التوليدية والتحويلية لتحديد الوحدات اللغوية، فالمكون التركيبي يولد مجموعة غير منتهية من البنى التركيبية التي تحتوي على تمثيل دلالي مستمد من المكون الدلالي، وعلى تمثيل صوتي أو فونولوجي يُستمد من المكون الفونولوجي، فالمكون التركيبي عبارة عن جسر بين المعنى والصوت². وقد مثّل لذلك بمخطّطات يبيّن فيها تداخل المستويات في القواعد التوليدية التحويلية:

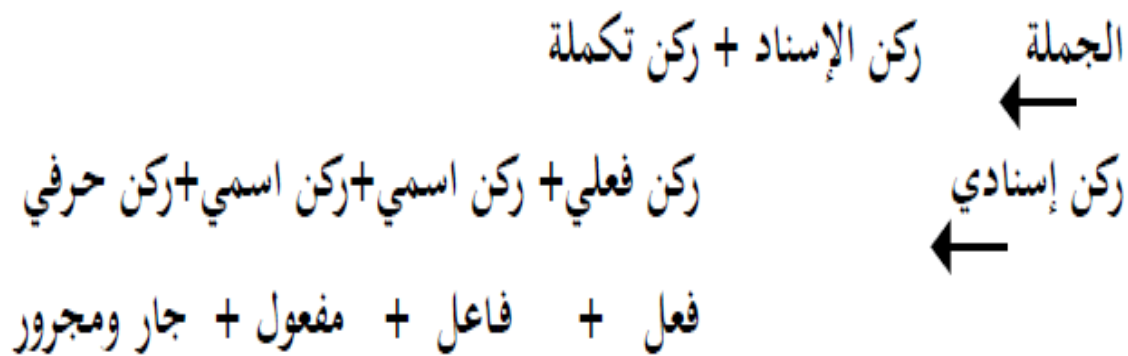
¹ ينظر: ميشال زكريا، الألسنية التوليدية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت-لبنان، ط2 1986م، ص23.

² ينظر: المرجع نفسه، ص17.

– مخطط المكون التركيبي¹:



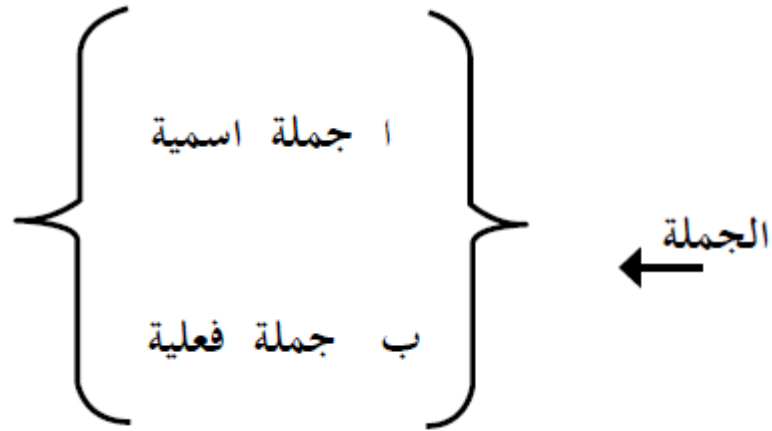
– مخطط أركان الجملة²:



¹ ينظر: ميشال زكريا، الألسنية التوليدية وقواعد اللغة العربية، ص17.

² ينظر: المرجع نفسه، ص17.

– مخطط أقسام الجملة (الاسناد)¹:



واللساني المغربي "عبد القادر الفاسي الفهري"، وكان اهتمامه في التركيب العربي منصبا على الرتبة في إطار البرنامج التوليدي، متناولا إشكال الإعراب واتجاه الإسناد في اللغة العربية، وإشكال الضمائر والمتصلات انطلاقا من المكونات داخل الجملة²، حيث جاءت دراسته مستمدة من النظرية المعجمية الوظيفية في إطار النحو التوليدي التحويلي، ويعتمد في ذلك الوظائف النحوية وهي: الفاعل (فا) ، المفعول (مف) ، والمفعول غير المباشر (مف. غ ب) ، والمالك (ما) ، والفضلة (فض) ، والملحق (لح)³.

والجديد في هذه النظرية هو إضافة المكون الوظيفي، فتصير مكونات الجملة هي: المكون المركبي، والمكون الوظيفي، والمكون التحويلي، والمكون الصوتي، والمكون الدلالي، وفي هذا المجال يعالج الرتبة في الجملة العربية، ويرى أن أصل الرتبة هو النمط: (ف فا مف 1 مف 2).

نستنتج من خلال الحديث عن الجملة من المنظور التوليدي، أنّ مفهوم العامل في النحو العربي والنحو التحويلي ينطلقان من هدف واحد، هو تفسير العلاقات بين مكونات الجملة وإن اختلفت طريقة العمل وماهية التفسير.

¹ ينظر: ميشال زكريا، الألسنية التوليدية وقواعد اللغة العربية، ص24.

² ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ج1، ص105.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص107.

ج- مفهوم الجملة في المنظور الوظيفي التداولي:

وفي نظرية "النحو الوظيفي" عند اللسانيين العرب يقدم المغربي "أحمد المتوكل" حداً آخرًا للجملة متبعاً نظريات "سيمون ديك"، الذي يعطي الجانب التداولي الأولوية مع إقراره بالجانب التركيبي والدلالي، ويُعدُّ المنظور الوظيفي للجملة من أهم الاتجاهات اللسانية الحديثة، الذي يقوم على مبادئ وأسس الوظيفة التواصلية. ووصف القدرة التواصلية للمتكلّم/المخاطب.

هدف الوصف اللغوي حسب النحو الوظيفي هو تحقيق ثلاثة أنواع من الكفاية، هي¹:

أ- الكفاية النفسية (Psychological adequacy).

ب- الكفاية التداولية (Pragmatic adequacy).

ج- الكفاية النمطية (Typological adequacy).

وعليه يقرّر "النحو الوظيفي" أن الجملة تُشتق عن طريق بناء بنيات ثلاث²:

- البنية الحملية (structure Predictative).

- البنية الوظيفية (structure Functional).

- البنية المكونية (البنية الصرفية- التكوينية) (structure Constituent).

ويتم بناء هذه البنيات عن طريق ثلاث مجموعات من القواعد³:

- قواعد الأساس (Fund).

- وقواعد إسناد الوظائف (Functions assignment rules).

- وقواعد التعبير (Expression rules) على التوالي.

وعلى أساس اقتراح "سيمون ديك" للقدرة التواصلية صاغ "المتوكل" نموذجاً لمستعمل اللغة الطبيعية، في

شكل جهاز متكون من خمسة قوالب: القالب النحوي، والمنطقي، والمعرفي، والإدراكي، والاجتماعي، وكل قالب يشكل نسقا من القواعد.

¹ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، ط 1 1405هـ-1985م، ص10.

² المرجع نفسه، ص:11.

³ المرجع نفسه، ص:11.

ولتحقيق الكفاية التداولية يقترح النحو الوظيفي المستويات التمثيلية لهذه الوظائف كما يلي:

أ -مستوى لتمثيل الوظائف الدلالية وهي: وظيفة المنفذ Agen ، والمتقبل Goal، والمستقبل Recipient، والمستفيد، والأداة، والمكان، والزمان.

ب -مستوى لتمثيل الوظائف التركيبية (النحوية): وهما وظيفتا الفاعل - Subject والمفعول Object، فيرتبط إسناد الوظيفتين التركيبيتين الفاعل والمفعول بنوع الوظائف الدلالية التي تحملها البنية الحملية.

ج -مستوى لتمثيل الوظائف التداولية: وتنقسم إلى:

- وظائف خارجية وهي: المبتدأ (Theme) والذيل (Tail) والمنادى (Vocative).

- وظيفتان داخليتان وهما: البؤرة (Focus) والمحور (Topic).

والجمل حسب مقولة المحمول التركيبية هي جمل ذات محمول فعلي، وجمل ذات محمول غير فعلي (أي محمولها مركب وصفي أو اسمي أو حرفي أو ظرفي)، وتنقسم الجملة ذات المحمول غير الفعلي بدورها إلى جملة تشتمل على رابط (كان)، وجملة لا تشتمل على رابط. ومنه يصطلح "المتوكل" على ثلاثة أنواع من الجمل: الجملة الفعلية والجملة الاسمية والجملة الرباطية¹.

واعتمادا على هذا النوع من التقسيم جعل "المتوكل" أقسام الجمل بحسب الوظيفة التي تؤديها الجملة؛ فمن المنظور الدلالي يرى لها تقسيمات عديدة ومتفرعة، ومن المنظور التداولي يمكن حصر أنواعها كالآتي²:

أ -جمل مبتدئية: وهي جمل تتضمن المبتدأ وهو: المكون الذي يدل على مجال الخطاب الذي يعد الحمل الموالي وارد بالنسبة إليه. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

¹ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 78.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 27.

الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً^ط وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ^ط كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ^١.

الزبد: مبتدأ يؤدي وظيفة تداولية خارجية، تحدّد مجال الخطاب عن الزبد، ويدلّ على خارجيته حرف الشرط والتفصيل "أما"، فيكون تفصيل مجاله في الحمل بعده (فَيَذْهَبُ جُفَاءً^ط)، وهذا الحمل تابع له بموجب الوظيفة التي يؤديها. ومن خصائص المكون المبتدأ أنه مكون خارجي، ولكنه رغم ذلك يصل بين مكوني الجملة رابطان : رابط تداولي، ورابط بنيوي، كما يشترط في بعض الأحيان أن يكون رابطاً إحالياً.

ب- جمل ذيلية: المكون الذيل هو أيضاً عنصر خارجي بالنسبة للحمل: ويعرف بأنه: المكون الذي يوضّح أو يعدّل أو يصحّح معلومة واردة في الحمل. ويقوم بأدوار ثلاثة على مستوى البنية الإخبارية: مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^٢. فلفظ (أَحْيَاءٌ) يأخذ الحال الإعرابية الرفع بمقتضى وظيفته التركيبية الفاعل، التي يرثها عن المكون المقصود تصحيحه (أَمُوتَ)، ويُقدّم عوضاً عنه بغرض التصحيح. فقال تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾، مفتحة بحرف إضراب (بل). لتصحيح خطأ لفظي يقع فيه الناس، حين يصفون الذين يقتلون في سبيل الله بالأموات. فالآية بهذا التركيب تعدّ جملة مذيلة بالمصطلح الوظيفي.

ج- جمل ندائية: هي الحمل المتضمنة لمكون المنادى، وهو ثلاثة أنواع: منادى النداء ومنادى الندبة، ومنادى الاستغاثة، وبموجب هذا التقسيم يفرق بين النداء كقوة إنجازية، وبين المنادى كعلاقة قائمة بين مكون معين وحمل. ومثال ذلك:

- قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾^٣ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا^٣.

- الحالة الأولى: أَيُّهَا النَّاسُ (أداة النداء + المكون المنادى)، وَيَأْتِ بِآخَرِينَ (الحمل)

- الحالة الثانية: إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ (الحمل المتقدّم)، أَيُّهَا النَّاسُ (أداة النداء + المكون المنادى) النداء المتأخّر.

¹ سورة الرعد، الآية 17.

² سورة البقرة، الآية 154.

³ سورة النساء، الآية 133.

وفي الأخير يظهر تصنيف المتوكل للجمل البسيطة والمركبة من خلال التراكيب المشتقة والبسيطة والمعقدة، والتراكيب المعقدة يندرج تحتها¹:

- الجمل المتضمنة لمقيد فعلي مزمن (جملة موصولة) أو غير مزمن (مصدر أو اسم فاعل أو اسم مفعول) .
- الجمل المتضمنة لجملة مدمجة كموضوع، أو كلاحق.
- الجمل المعطوفة.

كما سعى النحو الوظيفي إلى مدّ الجسور بين الجملة والنص، ورفع التعارض بين لسانيات الجملة ولسانيات النص، أو بين نحو الجملة ونحو النص، أو بين قالب الجمل وقالب النص²، غايته في ذلك وضع نحو كلي للغة العربية، يجمع بين الصرامة وسعة المجال، ويوحد الدرس اللساني، ليشمل الهدف والموضوع والمقاربة والجهاز الواصف والإطار النظري.

ومفهوم النص ضرورة منهجية يقتضيها البحث لإزالة ما علق في الأذهان من أن النحو الوظيفي يفرّق بين الجمل والنصوص والخطابات، بل جاء إطاره شاملاً لمستويات التحليل اللغوي (الدلالي والتركيبى والتداولي)، ولعلّني أضع تعريفاً للنص وأكتفي منه بما ورد عند أصحاب التوجّه اللساني.

تُجمع المعاني اللغوية للنصوص في عبارة واحدة - كما يراها الأزهر الزناد- ارتبطت بالرفع والعلو والإظهار. فالنص يُطلق على ما به يُظهِرُ المعنى، أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام أو الشكل المرئي منه عندما يترجم إلى المكتوب، وهذا الشكل الصوتي يمثّل آخر طول يُلغِه الكلام في تولده (البنية السطحية)؛ إذ ينطلق تركيب الملفوظ من الأساس، حيث تجتمع العناصر المقولية بالصيغ الصرفية الحاصلة في المعجم، ثم تنتظمها القواعد التركيبية في بنية تُطابقها بينة دلالية (البنية العميقة)، ثم تجري هذه البنية تحويلات تأخذ بعدها شكلاً صوتياً هو ما يمثّل حدثاً يُسمع ويُنقل عن طريق قناة ما³.

¹ ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، وينظر: أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص 108 .

² ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط-المغرب، (د. ط) 2003 م، ص 18.

³ ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، المركز الثقافي العربي، الحمراء-بيروت-لبنان، ط 1 1993 م، ص 12.

والنص منظومة عناصر من اللغة أو العلاقات التي تشكل مادة مكتوبة أو إنتاجا شفهيًا أو كتابيًا¹، ويشترط هذا القول ارتباط الألفاظ والجمل بعضها ببعض، في جوهر من العلاقات محكمة النسيج، تجمع عناصر "النص" المختلفة والمتباعدة ليكون بذلك وحدة متكاملة ومتلاحمة.

تركّز أبرز تعاريف النص على عملية القراءة (جانب المتلقي)، فتعتبره ممارسة لغوية (كلاماً)، وليس نظاماً (لغة)، وبذلك تتجاوز عملية الاتصال فيه أطرافها المعروفة (المرسل، الرسالة، المستقبل)؛ لأنّ النص عملية إنتاج مستمرة، وهو فضاء يمكن صاحبه وقارئه من عملية التواصل المستمرة².

يقول "رولان بارت": «النص نشاط وإنتاج .. النص قوة متحوّلة، تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها، لتصبح واقعاً نقضياً يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم، إن النص يتكوّن من نقول متضمنة، وإشارات وأصداء للغات أخرى وثقافات عديدة - تكتمل فيه خريطة التعدّد الدلالي»³. وقد تبلور هذا المفهوم عند "بارت" من خلال تتبعه لتفاعل اللغة داخل "النص"، ذلك أنه يفكّك لغة الاتصال، ويبعد بناءها على أنها ذات حجم وحركة تركيبية أكثر اتساعاً.

ويتلخص موقفه من المفهوم التفكيكي في النقاط الآتية:

- لا يصبح النص مجرباً، كشيء يمكن تمييزه خارجياً، وإنما كإنتاج متقاطع، يخترق عملاً أو عدة أعمال أدبية.

- النص قوة متحوّلة، تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها، لتصبح واقعاً نقضياً يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم.

- إنه لا نهائي، لا يحيل إلى فكرة معصومة، بل إلى لعبة متنوعة ومخلوعة.

- إن النص وهو يتكون من نقول متضمنة، وإشارات وأصداء للغات أخرى وثقافات عديدة تكتمل فيه خارطة التعدّد الدلالي، وهو لا يجيب عن الحقيقة، وإنما يتبدد إزاءها.

¹ Robert Micro, Alin Roy et autres . dectionnaire le Robert , Paris, Montréal canada , 2eme edition , 1998, P:1321

² ينظر : صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر - لوينجمان، (د.ط)، (د.ت)، ص230.

³ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، (د. ط) (د. ت)، ص103.

- إن وضع المؤلف يتمثل في مجرد الاحتكاك بالنص، فهو لا يحيل إلى مبدأ النص ولا إلى نهايته، بل إلى غيبة الأب مما يسمح مفهوم الانتماء.

- النص مفتوح، ينتجه القارئ في عملية مشاركة، لا مجرد استهلاك. هذه المشاركة لا تتضمن قطعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجهما في عملية دلالية واحدة. فممارسة القراءة إسهام في التأليف.

- يتصل النص بنوع من اللذة المشاكلة للجنس، فهو واقعة غزلية¹.

أما "جوليا كريستيفا" فتعتبر النص «عملية إنتاجية باعتباره جهاز عبر لغوي، يعيد توزيع نظام اللغة، يكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيراً إلى بيانات مباشرة، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها»²، ومنه:

- النص ممارسة سيميولوجية معقدة (أي مجموعة من العلامات)، وأنه ظاهرة عبر لغوية (أي تتعد اللغة إلى رموز وعلامات أخرى) وهو لا ينحصر في اللغة³.

- النص أكثر من أن يكون قول فقط أو خطاب، على أساس أنه مكوّن بفضل اللغة، التي لا يمكن حصر مقولاتها. لذا فهو يُعيد تفكيك النظام اللغوي، ثم يقوم ببنائه وإعادة توزيعه. ثم إنه مجموعة من عمليات تناص مع نصوص أخرى سابقة لعصره وأخرى متزامنة معه، وملائمة لبنيته، تتفاعل فيما بينها وتتقاطع لتشكيل سياقه التاريخي والاجتماعي.

ويتبنى "صبحي إبراهيم الفقي" تعريف "روبرت دي بوجراند" صراحة في كتابه "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق"، واعتبره رأي جامع لتعاريف (النص) المختلفة، فهو «حدث تواصلية يلزم لكونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير:

أ- السبك أو الربط النحوي (cohesion).

ب- الحبك (coherence) أو التماسك الدلالي.

¹ ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 297-298.

² نقلاً عن: المرجع نفسه، ص 294-295.

³ ينظر: خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط 1 1430هـ-2009م، ص 27.

ج- القصد (intentionality) وهو الهدف من إنشاء النص.

د- القبول أو المقبولية (acceptability) وتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.

هـ- الإخبارية أو الإعلام (informativity) أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.

و- المقامية (situationality) وتعلق بمناسبة النص للموقف.

ز- التناص (intertextuality)¹

وعليه، فإنّ كل العناصر النصية (من مرسل للرسالة ومتلقيها والسياق وأدوات الربط النحوية...) تكون محلّ الاهتمام في التحليل النصي.

ثانياً: مفهوم الارتباط وعلاقاته

نستطيع القول من خلال ما سبق ذكره في مفهوم الجملة والنص، أنّ اللغة نظام من العلاقات التركيبية، ترتبط عناصره وتترافق وفق قانون النحو، الذي به تفكّك وتُفهم من خلاله مقاصد المتكلّمين، ولا يمكن الوصول إلى هذه المنزلة من الفهم والإدراك، إلا إذا أُحسن شدّد ذلك الارتباط بين العناصر المقالية؛ «فلا يكون الكلام مفيداً إذا كان مجتمعاً بعضه مع بعض دون ترابط»²، وإذ يُنشئ المتكلم ذلك النظام من المعاني الجزئية، ولكنها ليست هي مرادّه من نظم النص، وإنما هي وسيلة لغاية ينشدها، تتمثّل في الوصول إلى المعنى الواحد، أي: أن المعاني الجزئية تتشابك وتتفاعل ساعية إلى غاية مستهدفة منها إبراز معنى دلالي واحد.

وأساس هذا التفاعل هو التركيب النحوي الذي يقوم على بناء علاقات تلاؤمية صحيحة الارتباط صوتياً وصرفياً ودلالياً.. ترقى بالخطاب إلى حدّ التوافق التواصلي بين المتكلمين، أو بين النص ومتلقيه، ولعله بهذه الأهمية تعالجه اللسانيات الوظيفية بمنظور قريب من هذا التوجيه، وهو المفهوم في ضوء ما تؤدبه البنية المسندة من وظيفة، شرط أن تتألف أجزاؤه بعضها ببعض، بعلاقة معنوية أساسها النحو والسياق، وهذا الائتلاف هو ما أطلق عليه كثير من الباحثين مصطلح الارتباط.

¹ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، دار قباء، القاهرة-مصر، ط 1 2000م، ج 1، ص 33-34.

² محمد عبد اللطيف حماسة، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة-مصر، (د. ط) 2003م، ص 87.

- فما هو مفهومه اللغوي والاصطلاحي ؟ وما هي علاقاته وأنواعها ؟

1- مفهوم الارتباط:

أ- المفهوم اللغوي: الارتباط من الفعل (ارْتَبَطَ) وصيغته الصرفية (اُتْعَل)، حيث تحمل دلالة المبالغة في الفعل 1، ومنه المبالغة في الربط، والربط في المعاجم العربية يأخذ عدة معانٍ، منها:

- الشدة:

حيث (الرَّاءُ والبَاءُ والطَّاءُ) أصلٌ واحد يدل على شدٍّ وثباتٍ 2، يقال:

ربط الشيء يربطه ويربطه ربطاً، فهو مربوطٌ، وربط شدّه 3.

وهو رابطٌ ورباطٌ، وذلك مربوطٌ وربط 4، والرباط ما رُبط به، والجمع رُطْبٌ، وهو ما تُشدُّ به القرية والدابة

وغيرها 5. وربط الدابة: شدّها بالرباط أو شدّها بحبلٍ إلى وتدٍ أو نحوه لِئلا تفرّ 6.

وجاء أيضاً: ربط جأشهُ رباطةً: اشتدَّ قلبه فلم يفر عند الفرع 7. وربط الله على قلبه بالصبر، أي: ألهمه

الصبر وشدّه وقواه 8. وتربط الماء في مكان واحدٍ، إذا لم يخرج من مجتمعه وركّذ فيه مترابطاً 9.

- الوصل:

يُقال: فلانٌ ربط الدابة يربطها إلى المربط، وهو موضع ربطها. والدابة ربيط: مربوطة، أي: وصل وجمع بينهما وبين موضع ربطها بواسطة الرباط (الحبل)، وهو أداة الوصل 10.

¹ ينظر: أحمد الحمالوي، شذا العرف في فن الصرف، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ط 1 2003م، ص 51.

² أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل الجديد، بيروت-لبنان، (د.ط) (د.ت)، ج 2، ص 478.

³ ابن منظور، لسان العرب، ج 7، ص 302.

⁴ محمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، (د.ط) 1377هـ\1958م، ج 2، ص 533.

⁵ اسماعيل بن عباد (الصاحب)، المحيط في اللغة، تح: محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط 1 1414هـ\1994م، ج 6، ص 82.

⁶ محمد رضا، معجم متن اللغة، ج 2، ص 533.

⁷ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج 1، ص 323.

⁸ ابن منظور، لسان العرب، ج 7، ص 303.

⁹ الرمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (د.ط) (د.ت)، ص 152.

¹⁰ ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ترتيب: محمود خاطر، تح: حمزة فتح الله، دار البصائر، مؤسسة الرسالة، (د.ط) 1408هـ\1987م، ص 511.

ويقال في الوصل: هو الضم والاتصال، فوصل الشيء بغيره، فاتصل إذا ضمّه إليه¹. واتّصل الشيء بالشيء، إذا لم ينقطع، وما بينهما وصلة².
وعليه، فإن الارتباط بمعناه اللغوي، يعني: المبالغة في الشدّ والاتصال، أو: هو الشدّ الوثيق بين الطرفين المقصود بالتعليق³. ومنه يأتي الائتلاف بين وحدات النظام اللغوي، تلتقي في صلة واحدة، وهي: إظهار القصد.

ب- المفهوم الاصطلاحي:

يُجمع كثير من الباحثين أن فكرة الارتباط تنطلق في الدرس النحوي العربي القديم، من نظرية التعليق التي توصل إليها "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) ضمن باب المعاني في كتابه (دلائل الاعجاز). وهي نظرية تركيبية محكمة تهتم بالمعنى وقائله، وترتيب المعاني في نفس المتكلم، وإمعان النظر في الجانب المعنوي في بناء الجملة العربية، ولم ينظر (الإمام) إلى الكلام في أجزائه المنفصلة فحسب، بل في وحداته البلاغية أيضاً، واستبعد أن تكون معاني النحو هي علامات الاعراب⁴، فانطلق من درس الاعجاز القرآني، مهتماً بدور النص وقائله، فسار منهجه وفق ما تسير عليه نظرية الاتصال اللغوي، وخرج من ذلك بنظرية التعليق⁵، وقد أشار "الجرجاني" لهذه العلاقة التي تربط أجزاء الكلم بعضها ببعض، حينما أكد أن النظم إنما يُوصف بأنه صحيح أو فاسد أو بأنه جيد أو رديء، بالنظر إلى صحة التعليق، وفساده وجودته ورداءته، وأرجع ذلك إلى قدرة المتكلم على توخي معاني النحو وأحكامه⁶.

¹ ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ص501.

² الرازي، مختار الصحاح، ص511.

³ لزهري كرشو، أنسجة الارتباط وآليات الربط في تركيب الحديث النبوي الشريف (حديث "أصحاب الغار والصخرة" في فتح الباري بشرح صحيح البخاري أنموذجاً)، مقال في مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، تصدر عن كلية الآداب واللغات-جامعة الوادي-الجزائر، جانفي 2015م، العدد: السابع، ص37.

⁴ ينظر: صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الامام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط) 1994م، ص2.

⁵ أحمد شامية، خصائص العربية والاعجاز القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط) 1995م، ص120-121.

⁶ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص78.

والتعليق عنده يتسع ويأخذ أبعاداً أكبر في تراكيب اللغة العربية، ويمكن أن نوجزه فيما يأتي: فلا يكون التعليق إلا بين أنواع الكلم الثلاثة (الاسم \ الفعل \ الحرف)، وعليه فإن التعليق ثلاثة أقسام:

- تعلق اسم باسم

- تعلق اسم بفعل

- تعلق حرف بهما

من هنا وجدت الجذور الأولى لنظام الارتباط اللغوي، عبر مصطلح التعليق والوصل والاتصال...، كما عرض بعض الباحثين المتأخرين في علم اللغة مصطلح الارتباط، وذلك عبر كلامهم حول نظرية الاتصال اللغوي ونظام الحدث الكلامي، أمثال "إبراهيم أنيس" و"تمام حسان" وغيرهم. يقول إبراهيم أنيس: «وهذه اللغة المعبر عنها بالكلام، ليست في حقيقة أمرها إلا نظاماً من الكلمات، التي ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً تحكمه قوانين معينة»¹.

وهي محاولة لإبراز القيمة العلمية لنظرية (التعليق) عبر طرح مصطلحات جديدة، مثل: التواصل والتبليغ والإبلاغ، وتنطلق من نظرة علم اللغة الحديث إلى عملية الاتصال اللغوي، على أنها الوظيفة الأساسية الكبرى للغات البشر.

وتتمثل هذه العملية -حسب علم اللغة الحديث- في نقل رسالة من مرسل (متكلم) إلى مستقبل (المتلقي) من خلال قناة (الوسط الناقل) عبر نظام رمزي متعارف (متفق) عليه، تتكون من أصوات ووحدات صرفية وتركيبية...، يحكم بينها نسق محكم ومرن الاستعمال، يقوم المتكلم من خلاله باستحضار المعاني، وتحويلها إلى وحدات ورموز، وتشكيلها بما يلائم السياق والمقام، فإذا كان المتكلم يحوّل المعنى إلى مبنى، فيقع على عاتقه تكوين وتعليق المعاني بعضها ببعض، في علاقات نحوية سليمة مشدودة وموصولة.

لذلك يُعرّف الارتباط وفق هذه النظرة، بأنه: «نشوء علاقة نحوية سياقية وثيقة بين معنيين دون اللجوء إلى واسطة لفظية تعلق أحدهما بالآخر، فهي أشبه بعلاقة الشيء بنفسه»². والارتباط «ينشأ بين المعنيين

¹ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة-مصر، ط6 (د.ت)، ص296.

² مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص203.

داخل الجملة الواحدة، أو بين الجملتين إذا كانت العلاقة بينهما وثيقة تشبه علاقة الشيء بنفسه»¹، فيعتمد المتكلم على الصلات المعنوية، التي تجمع بين المفردات أو الجمل دون اللجوء إلى القرائن اللفظية، يقول "تمام حسان": «العلاقات السياقية قرائن معنوية، تفيد في تحديد المعنى النحوي»². والقرينة: هي الأمر الدال على الشيء من غير استعمال فيه، وهي: إما حالية أو مقالية، ويقال: لفظية أو معنوية³.

وعليه، فإن الارتباط صلة معنوية يصنعها المتكلم بين أطراف الكلام، يراعي فيها معاني النحو والبلاغة، وللارتباط علاقات بين الطرفين تصل إلى إحدى عشرة (11) علاقة.

2- علاقات الارتباط:

علاقات الارتباط بين وحدات التركيب في الجملة العربية، هي علاقات سياقية نحوية، تنشأ بين المعاني الوظيفية النحوية دون اللجوء إلى أداة، ولكن يتم ذلك بواسطة طرق تدور مع مدارات النحو (كالفاعلية والمفعولية)، كما تعتمد على عملية تداعي المعاني في العقل البشري لفهمها، بمجرد الائتلاف بين المعنيين⁴. ويمكننا أن نذكر علاقات الارتباط الإحدى عشرة بشيء من التفصيل، حتى يتضح أهميته في بناء تركيب الجملة العربية.

2-1- علاقة الإسناد:

أقرّ علماء اللغة العربية أن علاقة الإسناد هي العلاقة الأساس في تركيب الجملة العربية، وهي بؤرتها ونواتها، وهي وحدها كافية لتكوين الجملة في صورتها البسيطة، وبقية العلاقات إنما يُنشئها المتكلم بغرض البيان وإزالة الإبهام والغموض، الذي قد يعتري المعنى الدلالي للجملة، وقد يتخلى عنها لوضوحه حسب سياق المقام ومقاصد الكلام⁵.

¹ مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص146.

² تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص191.

³ محمد علي بن علي الحنفي (التهانوي)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: أحمد ياسين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 1998م، ج3، ص575.

⁴ مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص160.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص161-162.

ويكون الاسناد بين المبتدأ والخبر المفرد، وبين الفعل والفاعل أو نائب الفاعل، وبين كل ما يعمل عمل الفعل وفاعله أو نائب فاعله، كالمصدر والمشتقات العاملة واسم الفعل. وسنفصل في هذه العلاقة أكثر في العنصر القادم.

2-2- علاقة التعدية:

تنشأ هذه العلاقة بين الفعل المتعدي والمفعول به، ذلك أن الفعل المتعدي يحتاج إلى اسم غير الفاعل يقع عليه لإتمام دلالاته، وقد ميّزه النحاة عن اللازم لهذا الاعتبار، فكان الفعل المتعدي أقوى للوصول إلى المعنى من زيادة رابط لفظي، ذلك أن بعض الأفعال في اللغة العربية - كما قال به بعض الباحثين - ضعفت عن تجاوز الفاعل إلى المفعول، فاحتاجت إلى أشياء تستعين بها على تناولها والوصول إليها، مثل: عجبْتُ ومررتُ وذهبتُ.. إلخ¹. فلا يمكن القول:

- عجبْتُ محمداً

- مررتُ زيداً

فلما لم تصل هذه الأفعال إلى الأسماء، رُفدت بحروف الإضافة، فنقول:

- عجبْتُ من محمدٍ

- مررتُ بزيدٍ

يقول "الرّضي الاسترّبادي": «وأصل الجرّ أن يكون علّم الفضلة التي تكون بواسطة»². ويقول "عبد القاهر الجرجاني": «حروف الجرّ لا بدّ لها من فعل تتعلق به؛ لأنها جاءت لتُوصّل بعض الأفعال إلى الأسماء»³، وهي بذلك تأخذ حروف الجرّ وظيفة نحوية تربط بها بين الأفعال والأسماء.

ومن المعلوم في النحو العربي أن يتأخر المفعول به عن الفاعل لأن ارتباط الفعل بالفاعل أقوى، ولوقوع المعنى في ذهن القارئ أو السامع مرتباً كما هو في الواقع، ولكن تختلف نظرة النحو الوظيفي لهذا الارتباط، حيث اقترح "أحمد المتوكل" سلمية لتعيين مختلف الأدوار الدلالية وترتيبها، والتي لها إمكانية أخذ الوظيفة

¹ مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص166.

² محمد بن الحسين الرّضي الإسترّبادي، شرح كافية ابن الحاجب، ص38.

³ المرجع نفسه، ص56.

التركيبية (المفعول) بعد الأفعال أو حتى تسبقها في الترتيب، إلى جانب المحافظة على حركتها الإعرابية (النصب أو ما ينوب عنه).

كما يطلق النحو الوظيفي مصطلح الوظيفة المفعول إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة التي تُقدّم انطلاقاً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل¹. سواء أكان مفعولاً واحداً أو أكثر، ويُنتقى من هذا المفهوم في النحو الوظيفي بشكل عام، أن المفعول هو ذلك الحد الذي يُشكل نهاية المشاركين في تقديم الواقعة، التي يقدمها الفعل.

- يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾²

- وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَىٰ﴾³

- وقال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁴

في هذه الأمثلة يظهر شدة ارتباط الفعل بالفاعل ثم المفعول به، وقد يكون سياق الآية مؤثراً في رتبة المفعول به أو الإشارة إليه بالضمير، أو حتى حذفه اختصاراً، أو اقتصاراً.

2-3- علاقة الإضافة:

الإضافة في اللغة العربية: هي نسبة بين لفظتين (اسمين)، يرتبط أحدهما بالآخر بعلاقة نحوية دلالية تسمى الإضافة، وهي من علاقات الارتباط المعنوية تسلك بها اللغة العربية طريقاً لالتحام المعاني، يقول "بروكلمان": «المضاف والمضاف إليه في اللغات السامية يرتبطان بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً، يكادُ يحيلهما في بعض الأحيان كلمة واحدة»⁵. وهي علاقة وثيقة إذا أقيمت قُبْحَ حذفها، يقول "ابن جني": «كلما زاد الجزؤان اتّصلاً قوي فُتِحَ الفصل بينهما ..»⁶.

¹ أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية (الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، ص 19-20

² سورة البقرة، الآية 260.

³ سورة الضحى، الآية 1-2-3.

⁴ سورة الطور، الآية 19.

⁵ السيد يعقوب بكر، دراسات في فقه اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، (د.ط) 1969م، ص 12.

⁶ عثمان أبو الفتح ابن جني، الخصائص، ج 2، ص 390.

وتقع علاقة الإضافة في التراكيب الجُمْلِيَّة لأهداف، منها: التعريف بالاسم وبيان جنسه أو نسبته أو تخصيصه أو بيان ظرفه أو غير ذلك من الأغراض البلاغية التي يقصدها المتكلم، كما تقع الإضافة بين الأسماء (الاسم النكرة والمعرّف)، أو بين الاسم والضمير، أو بين الظرف وجملته. مثال ذلك قوله تعالى:

- ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾¹

قوله: (يوم) ظرف زمان متعلق بفعل محذوف تقديره (ونصركم يوم حنين)، والجملة المقدرة معطوفة. و (حنين): مضاف إليه مجرور بالكسرة. و (إذ) ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب على البدلية من يوم، وهو مضاف. وجملة (أعجبكم كثرتكم) جملة واقعة مضاف إليه لظرف الزمان. وهنا تظهر قوة الارتباط في إقامة علاقة بين الظرف والجملة، مع أن الجملة معلوم عنها الانفصال بالمعنى، إذ تقوم قرينة الإضافة بوظيفتها في بيان زمن الفعل، بوقوع الظرف بـ (إذ).

والملاحظ من هذا المثال، أن بيان ظرف الفعل بالإضافة، كان أبلغ من بيانه بغيره؛ لأنّ التنوين الواقع قبل الظرف في لفظ (حنين)، كان سيغيّر هذه الوظيفة نحويّاً (تقدير ذلك: ويوم حنين لتعجبكم كثرتكم)، فيُصبح الارتباط به لفظياً. فجاء الارتباط بـ (إذ) الظرفية ارتباطاً معنوياً مع الاحتفاظ بالدلالة.

- خاتمٌ من ذهبٍ.

ومع وجود الفعل بعد التنوين لا تستقيم الإضافة بالاسم إلى الاسم، مثل قولنا:

- خاتمٌ ذهبٍ

- خاتمٌ (جميل) ذهبٌ

- خاتمٌ من ذهبٍ

وهنا، تقوم قرينة التنوين بوظيفتها في بيان إزالة معنى الارتباط بطريق الإضافة.

2-4- علاقة الملابس:

الملابس قرينة معنوية تقع بين الحال المفردة وصاحبها، وسبيل البيان في هذه العلاقة، أن الحال تبين هيئة صاحبها وقت وقوع الفعل، وهذا البيان ضروري في فهم معنى الجملة؛ لأن المعنى الدلالي المستفاد من الجملة

¹ سور التوبة، الآية 25.

معنى واحد لا عدة معانٍ¹. ومعنى ذلك أن صاحب الحال (الفاعل أو المفعول أو ما جرى مجراها) يكون على هيئة مخصوصة حين ملابسة الفعل له أو حين وقوعه منه أو عليه، فملابسة الهيئات هي قرينة معنوية على إفادة معنى الحال بواسطة الاسم المنصوب أو الجملة مع الواو وبدونها².

ويقع الارتباط بعلاقة الملابسة بتخصيص معنى الحال؛ لأن الحال -في الحقيقة- إخبار وزيادة فائدة في الجملة، وبدونها يجعل المتلقي يطلب إيضاحاً في الهيئة، التي تخصّ صاحبها المتحدّث عنه، وذلك لاحتمال هيئات عديدة له، وفي هذا الصدد نذكر تقسيم "الجرجاني" للخبر، حين جعله ينقسم إلى قسمين: خبر هو جزء من الجملة (عمدة)، وخبر ليس بجزء من الجملة، لكنه زيادة في الإخبار أو إظهار الحال، كقولنا: جاءني زيدٌ راكباً. ثم قال: ذاك لأن الحال خبر في الحقيقة من حيث إنك تثبت بها المعنى لذي الحال، كما تثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ، وبالفعل للفاعل، ألا تراك قد أثبت الركوب في قولك: جاءني زيدٌ راكباً لزيدٍ؟ إلا أن الفرق أنك جئت به لزيد معنى في إخبارك عنه بالمجيء، وهو أن تجعله بهذه الهيئة في مجيئه، ولم تجرد إثباتك للركوب تباشره به، بل ابتدأت فأثبت المجيء ثم وصلت به الركوب، فالتبس به الإثبات على سبيل التبع للمجيء، وبشرط أن يكون في صلته. وأما في الخبر المطلق نحو قولك: زيدٌ منطلقٌ وخرج عمرو. فإنك مثبت للمعنى إثباتاً جردته له، وجعلته يباشره من غير واسطة، ومن غير أن تتسبب بغيره إليه³.

ويذكر النحاة أن الحال كالظرف لابد لها من متعلّق تتعلّق به وتقيده، ولا بدّ من ذكره في التحليل، أي لابدّ من ذكر ما تتعلّق به الحال أثناء التحليل الوظيفي كالظرف تماماً، وبدون ذلك يبقى التحليل ناقصاً، بل لا فائدة من ذكر الحال إذا لم يذكر ما تعلّقت به وقيدته، وما يتعلّق به الحال قد يكون فعلاً، وقد يكون ما يشبه الفعل، وقد يكون فيه معنى الفعل. مثال ذلك :

- قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا لَا أَوْرُكَيْنَا﴾⁴

¹ مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 171.

² تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 198.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 132-133.

⁴ سورة البقرة، الآية 239.

فقوله: (رجالاً) حال حذف متعلقها لأنه مفهوم من السياق، وتقديره: (فصلوا رجالاً أو ركبناً) لوقوع

الآية التي قبلها ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾¹

- قال تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ﴾²

والتقدير: نجمعها قادرين³، والحال (قادرين) تعلقت بفعل (نجمعها)، وهو قدرته سبحانه وتعالى على جمع العظام وإعادة تجميعها بالخلق. ومنه نستنتج أن علاقة الملابس ليست طرفاً من طرفي علاقة الاسناد، مع التأكيد أن وظيفتها لا تقل شأناً عن وظيفة طرفي الاسناد في إبراز المعنى الدلالي.

وتجتمع علاقة الإضافة مع علاقة الملابس في التركيب، فتمنحها انسجاماً تذوب الأذن لسماعه، ويقع معناه في القلب بما تحدثه شدة الارتباط، يتجسد ذلك في:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾⁴

وهو كلام مستأنف، يبين أن أول مسجد وضع للناس الذي في مكة، وهو المسجد الحرام، وأن أول من بناه هو إبراهيم -عليه السلام-، ومعنى القول: أن أول مُتَعَبِّدٍ للناس الكعبة، وفيها البركة والهدى والرحمة⁵. والارتباط في التركيب وقع بين لفظتين (أَوَّل \ بَيْت) بعلاقة الإضافة، ولفظتين (لَلَّذِي \ مُبَارَكاً) بعلاقة الملابس، لأن (لَلَّذِي) صاحب الحال المسند، حيث اللام المفتوحة هي المرحلة، والذي اسم موصول في محل رفع خبر (إِنَّ) والحال لفظ (مُبَارَكاً)⁶.

حيث نستطيع أن نمثل هذا النوع من الارتباط الواقع في الآية الكريمة بالمشجر الآتي:

¹ سورة البقرة، الآية 238.

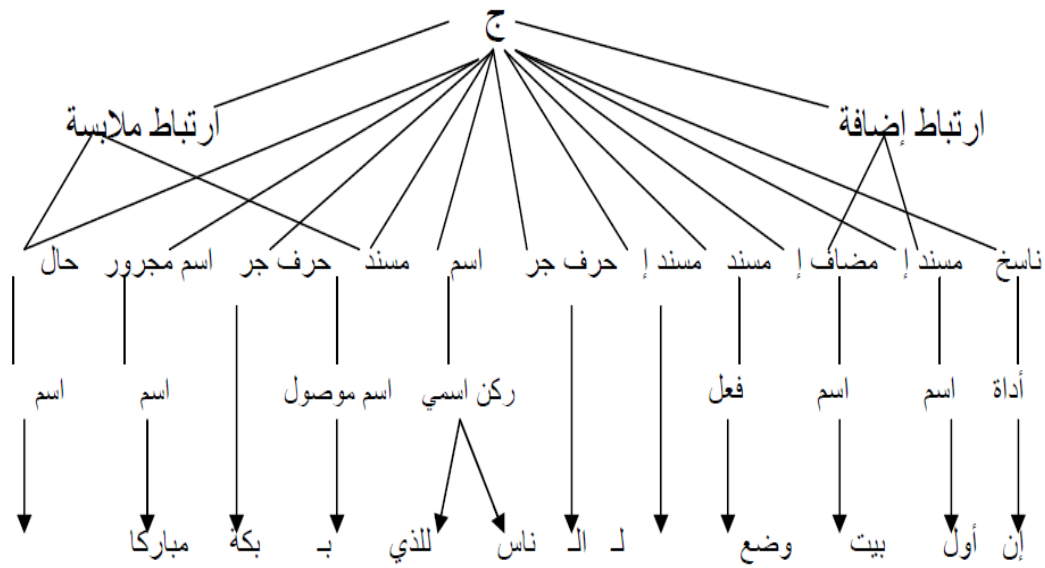
² سورة القيامة، الآية 03.

³ شرح المفصل، ج2، ص18. شرح كافي بن الحاحب، ج2، ص55. نقلا عن: أحمد بوصبيعات، التقييد بالحال والتقييد بالصفة في النحو العربي (بين قرينتي الملابس والوصف)، مقال ضمن مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة-الجزائر، سبتمبر 2017م، العدد: التاسع، ص50.

⁴ سورة آل عمران، الآية 96.

⁵ محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج1، ص487.

⁶ المرجع نفسه، ص488.



تتضافر مجموعة من القرائن اللفظية والمعنوية في الآية الكريمة، وقد ظهرت متعاقبة، في أسلوب خبري ضربه إنكاري، يدرأ شبه المشككين والجاحدين لأهمية المقدسات الإسلامية وما فيها من البركة والهدى، كما تعلّقت علاقة الارتباط المعنوي (الملابسة والإضافة) بالإسناد الاسمي في أول الآية وفي آخرها.

2-5- علاقة الظرفية:

تنشأ علاقة الارتباط الظرفية بين الفعل والظرف بنوعيه (ظرف الزمان وظرف المكان)، والفعل أحد طرفي الاسناد تربطه بالظرف علاقة معنوية وثيقة، ذلك أن الفعل دال على زمن وقوع الحدث، والظرف يتضمن معنى الزمان والمكان. فتجمعهما علاقة معنوية للتوكيد أو للتحديد أو غير ذلك، وتنتفي هذه العلاقة بإضافة حرف الجرّ فيصبح الارتباط لفظياً. مثال ذلك:

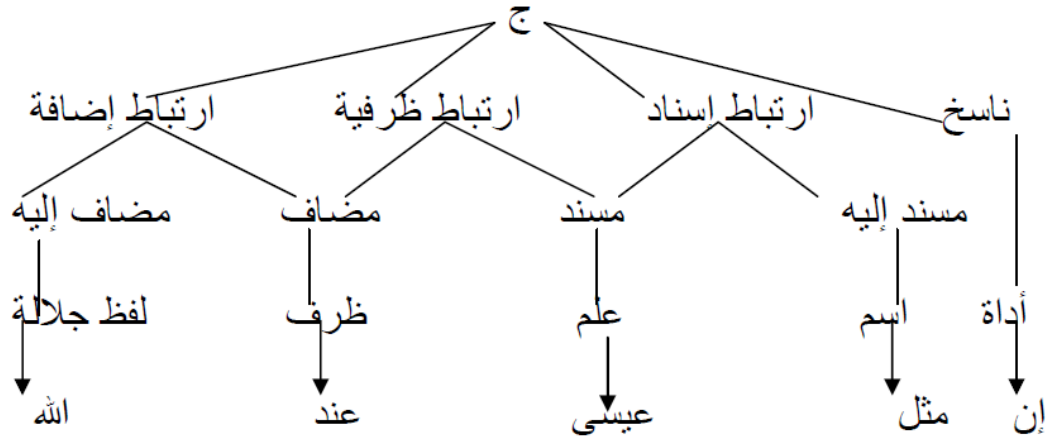
- خرجتُ صباحاً

- خرجتُ في الصباح

وقد تجتمع هذه العلاقة بعلاقات أخرى للتوكيد ولبیان المقصود ويدراً الخلاف، فيكون بعد طرفي الاسناد أو حتى في الجمل الاعتراضية، يقول تعالى:

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۚ﴾

فالمسند إليه (مثل)، وهو المنسوخ المنصوب بـ (إن)، ورد معرّفاً بالإضافة إلى اسم علم (عيسى) عليه السلام، وتشكّل ارتباط بطريقة علاقة الاسناد وهي الأساس، ثم تأتي العلاقة الثانية بطريقة الظرف، بين لفظ (عيسى) والظرف (عند)، حيث يمكن أن تُمثّل هذه الآية الكريمة في الرسم الآتي:



2-6- علاقة التحديد:

وهي علاقة ارتباط معنوية تقع بين الفعل والمفعول المطلق المبين للنوع والعدد، ذلك أن المفعول المطلق لا يكون إلا مصدرًا، والمصدر دال على حدث، في حين أن الفعل دال على حدث وزمن معاً¹.

ويتم هذا النوع من الارتباط بتحديد أكثر لزمن وقوع الفعل وتوكيده، وتبيين الحدث الكامن فيه، وذلك بوصفه أو إضافته أو بيان عدد مرات حدوثه، وتسعى اللغة العربية في إفادة البيان للحدث وحده، كما رأت أن الفعل لا يوصف ولا يضاف، ولا يقبل الدلالة على العدد (لأنها من خصائص الاسم)، فوجدت أن المصدر صالحاً لما تنشده، فهو اسم دال على حدث، وهو يقبل الوصف والإضافة والدلالة على العدد، فأتت به من لفظ الفعل توكيداً للحدث وقرينة على نشوء علاقة ارتباط، ثم نسبت البيان الذي تريده إلى ذلك المصدر، فوصفته وأضافته وعدّته².

وإذا كانت الحال تأتي على سبيل بيان هيئة صاحبها وقت وقوع الحدث، فإن المفعول المطلق المختص يأتي على سبيل بيان هيئة الحدث نفسه، ولذلك كانت الحال مشتقة؛ لأنها تبين ذاتاً، وكان المفعول المطلق مصدرًا؛ لأنه يبين حدثاً.

¹ ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 176.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 176.

- قال الله تعالى: ﴿وَمَا بَدَلُوا بُدَيْلاً¹﴾

فلفظ (تبديلاً) مصدر مؤكد لفعل مبين للحدث، وهو التبديل والتغيير والتحريف والزيادة، فربطت بين الحدث ومصدره، وهو وقوع حدث التبديل في العبادات عن ما هي عليه في التشريع.

2-7- علاقة السببية:

وهي علاقة ارتباط معنوية تقع بين الفعل والمفعول لأجله، يلجأ إليها المتكلم بغرض بيان سبب وقوع الحدث، قال "ابن يعيش": «لابد لكل فعل من مفعول له، سواء ذكرته أم لم تذكره، إذ العاقل لا يفعل فعلاً إلا لغرض أو علة»². مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ³﴾. فلفظ (تقتلوا) فعل تربطه بلفظ (خشية) علاقة معنوية تسمى السببية، ذلك أن سبب فعلهم الشنيع (قتل أبنائهم) هو خشية الفقر.

والفعل دال على حدث وقع في زمن، والمفعول لأجله مصدر دال أيضاً على حدث مجرد من أي معنى، يكسب معناه من خلال علاقته بالفعل، ذلك أن المفعول لأجله (المصدر) يقع في الزمن قبل وقوع الفعل، فيتعلق به ويكون سببه، فهي علاقة السبب بالمسبب، وهذا حال الأحداث فهي بعضها من بعض.

2-8- علاقة التمييز:

وهي علاقة ارتباط معنوية تقع بين التمييز والمميز، تأخذ وظيفة البيان وإزالة الغموض في المفرد والجملة، فبها يتضح الكيل والعدد والمساحة والوزن، وبها أيضاً يكتسب الفعل معنى الشمول. نضرب لذلك أمثلة توضيحية:

- قال الله تعالى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلٌّ أَرْضَ ذَهَبًا⁴﴾

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا⁵﴾

¹ سورة الأحزاب، الآية 33.

² يعيش بن علي بن يعيش (موفق الدين)، شرح المفصل، دار الطباعة المنيرية-مصر، (د/ط) (د/ت)، ج 2، ص 53.

³ سورة الإسراء، الآية 31.

⁴ سورة آل عمران، الآية 91.

⁵ سورة التوبة، الآية 36.

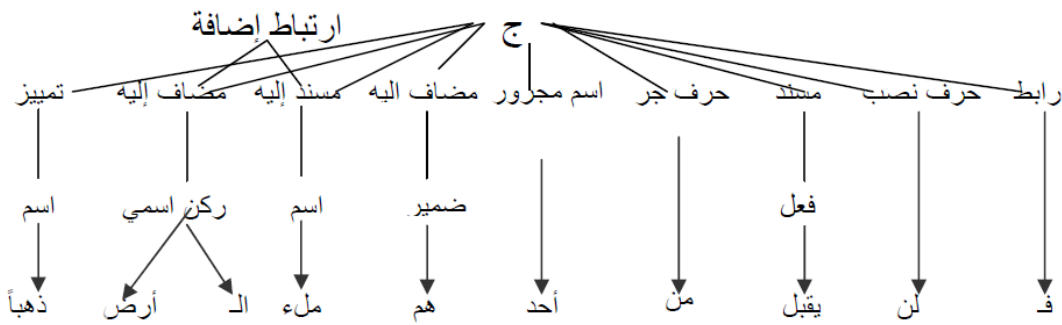
- قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾¹

- قال الله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾²

فكل من المفردات (ذهباً - شهراً - خيراً - شهراً) ترتبط وظيفياً بما قبلها من المفردات، بغية بيان الكيل والعدد والوزن أو ما يشبهه، كما تزيل إبهام الجملة التي قبلها، وبدونها يبقى ما قبلها غامض يحتاج إلى تمييز يحدده، فمثلاً تقوم علاقة التمييز في الآية الأخيرة بإزالة الغموض عن الاسناد الذي قبلها، وذلك بإنشاء علاقة بالمسند والمسند إليه، وبدورهما يكتسبان بهذه العلاقة معنى الشمولية، لم يكونا ليكتسباها بدونها، فلا يكون قولنا أبلغ ولا أعم إذا قلنا: (اشتعل شيب الرأس).

فقوله تعالى في المثال الأول: ﴿ذهباً﴾ تمييز ذات تعين الوزن المبهم ﴿ملئ الأرض﴾، فلو اقتصر الكلام على القول: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلٌّ الْأَرْضِ﴾³ لكان الكلام مبهماً، ولكن ذكر التمييز يبين المقصود ويخصّصه ويزيل الإبهام، وهذه هي وظيفة التمييز (التفسير).

ويمكن تمثيل هذا التركيب بالمشجر الآتي:



ومما يدل على ذلك التشابك أيضاً أن اللغة العربية تُعبّر عن علاقة تمييز الجملة في بعض الحالات بعلاقة الربط بالضمير البارز في بدل الاشتغال، أو بدل البعض من الكل⁴، فيمكن أداء المعنى الذي في قولنا:

¹ سورة الزلزلة، الآية 07.

² سورة مريم، الآية 04.

³ سورة آل عمران، الآية 91.

⁴ ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 181.

- أعجبتني الحديقة تنسيقاً

- أعجبتني الحديقة أشجاراً

بقولنا:

- أعجبتني الحديقة تنسيقها

- أعجبتني الحديقة أشجارها

2-9- علاقة الوصفية:

وهي علاقة ارتباط معنوية تقع بين التابع والمتبوع، وهو النعت والمنعوت، حين يرتبطان بعلاقة الوصفية، تؤدي إلى إزالة ما في الأول من غموض وإبهام، وذلك ببيان معنى فيه¹. والتخصيص يقيد المنعوت بذكر صفته وتخصيصه، وتتضح هذه القرينة حيث المنعوت (الفاعل أو المفعول أو المبتدأ أو الخبر أو غير ذلك)، يأتي في الجملة دالاً على العموم والإشراك، فتكون وظيفة النعت تخصيص ذلك الاسم المنعوت بإزالة ذلك العموم والإشراك.

والنعت «هو التابع المشتق أو المؤول به، المبين للفظ متبوعه، وفائدته تخصيص (مررت برجل كاتب) أو توضيح (مررت بزید الحیات) أو مدح (بسم الله الرحمن الرحيم) أو ذم (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) أو ترحم (اللهم ارحم عبدك المسكين) أو (توكيد تلك عشرة كاملة)².

كما تلجأ اللغة العربية إلى الارتباط بعلاقة الوصفية على مستوى أعلى، يتم الوصف فيها بالاسم المشتق وبالفعل، ذلك أن الفعل يقتضي مزاولاً وتجدد الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولاً وترجية فعل، ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً³. وهذا دليل على أن أصل علاقة الارتباط بالوصف، هي علاقة الاسناد، فهي بنيتها المضمرة، لأنها تنعت أحد أطرافها.

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص182.

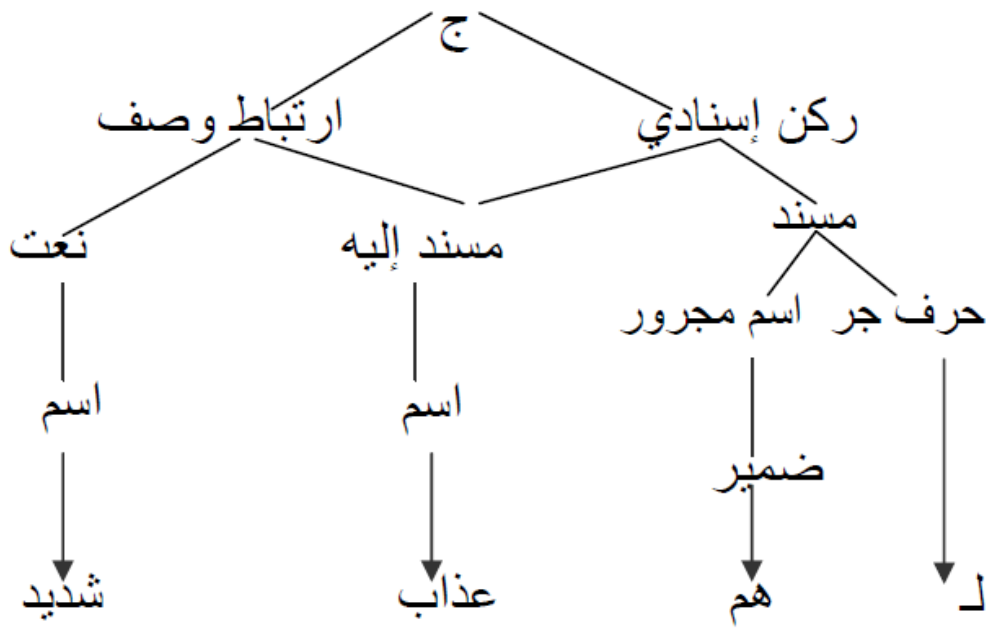
² عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق وتعليق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ط1 (د. ت)، ص366.

³ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص115.

ينقسم النعت في اللغة العربية إلى قسمين: حقيقي وسببي، ويعني ذلك أن النعت وصف بعد اسم يختص بيان صفة من صفاته، أو صفات ما كان منه بسبب، والفرق بينهما من حيث الوظيفة، أن الصفة في الثاني تنسب معنى إلى موصوفها نفسه، وتحمل ضميراً مستتراً يعود إليه، وذلك مثل: (قرأت البحث المترجم)، ففي (المترجم) ضمير مستتر يعود إلى الموصوف، أما النعت السببي فلا يتضح معنى في موصوفه نفسه، بل في شيء آخر يتعلق بالموصوف، مثل: (عرفت رجلاً عزيزاً علمه)¹.

- قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾²

فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (مسند) مقدم، وعذاب: مبتدأ (مسند إليه) مؤخر، وشديد: صفة بيّنت ونعتت درجة عذاب الكفار وخصّصته، حيث يمكن أن نمثل هذا التركيب في المشجر الآتي³:



وهذا دليل على أنّ البنية المضمرة لعلاقة الوصفية هي علاقة الاسناد؛ فهي النواة التي تنطلق منها هذه العلاقة وإليها تعود، فلفظ (شديد) نعت يُطابق المنعوت مطلقاً، وهو المبتدأ المؤخر (عذاب)، على أنه نعت حقيقي.

¹ ينظر: محمد خير حلواني، النحو الميسر، دار المأمون للتراث، ط 1 1418هـ\1997م، ج 2، ص 682.

² سورة آل عمران، الآية 04.

³ مفيدة بنوناس، نظام الارتباط في سورة آل عمران، ص 224.

2- 10- علاقة الإبدال:

وهي علاقة ارتباط معنوية تقع بين التابع والمتبوع، تنشأ بطريق علاقة الإبدال بين البديل والمبدل منه في البديل المطابق والبديل المباين فحسب؛ لأن علاقة الإبدال هنا وثيقة، فلم تحتج إلى واسطة من أداة أو ضمير بارز. أما علاقة الإبدال الناشئة عن استعمال بدل الاشتغال مثلاً فهي علاقة قائمة على سبيل الربط بالضمير البارز¹، ويبدو أن هذه العلاقة علاقة ربط لفظي، والواسطة فيها الضمير، وهي قرينة لفظية تستعملها اللغة العربية لاصطناع علاقة ربط بين طرفين.

فإذا طابق البديل المبدل منه في الدلالة والعلامة الإعرابية فلم يحتج إلى ضمير؛ لأنهما يدلان على ذات واحدة.

- قال الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ²

العلاقة بين (صراط) الأولى و (صراط) الثانية علاقة ارتباط معنوية وثيقة، لأنها تمثل علاقة الشيء بنفسه، ويدلان على شيء واحد، ويطابقه في العلامة الإعرابية.

وقد تسمى هذه العلاقة بعلاقة تفسير كما كان بعض النحاة يطلقون عليها، كما يمكن أن يكون المبدل منه اسم إشارة، وهذا وارد في البديل، مثل:

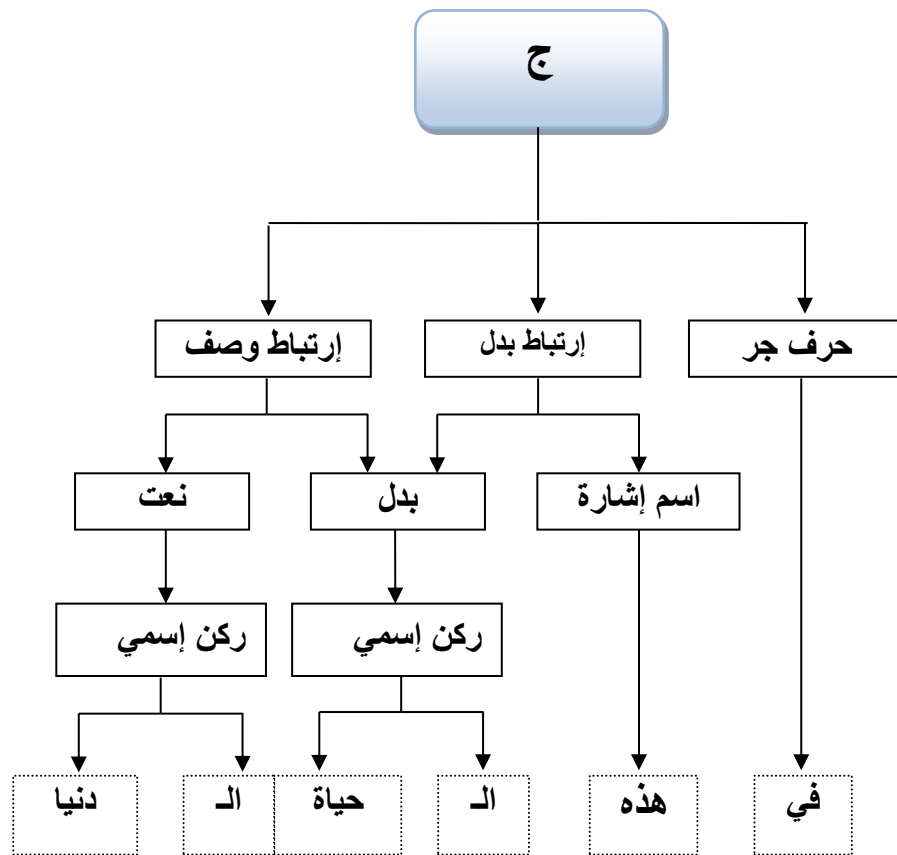
- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ﴾³

وهذا المثال مضروب في بيان كيفية عدم إغناء أموال الناس، التي كانوا يعولون عليها في دفع الضرر النازل بهم، وقد اتضح اسم الإشارة والمقصود منه، بلفظ (الحياة)، ولأمن اللبس في المعنى أضيف ارتباط آخر بعلاقة الوصف، وهو النعت بين لفظ (الحياة) ولفظ (الدنيا). ويمكن أن تمثل هذا المعنى في المخطط التالي:

¹ ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 186.

² سورة الفاتحة، الآية 6-7.

³ سورة آل عمران، الآية 117.



وقد يتعدّد ذكر البديل في التركيب الواحد، فيدل على المبدل منه نفسه لزيادة التوضيح وبيان النسب،

فيصبح بدلان لمبدل منه واحد، مثل قوله تعالى:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَتِهِ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾¹

لفظ (المسيح) مبدل منه، والبديل في قوله: (عيسى) وقوله: (بن)، فذكر البديل الثاني لتوضيح نسب

عيسى عليه السلام خاصة أنه جاء من دون أب، وتربطه علاقة معنوية بلفظ (المسيح)، ولا يحتاج إلى واسطة.

2-11- علاقة التأكيد:

هي علاقة ارتباط معنوية تقع بين لفظ التأكيد والمؤكد، أي: في التأكيد اللفظي، الذي يكون بين

الألفاظ المكررة، بغرض توكيدها وتقويتها، يقول "العلوي": «اعلم أنّ دخول التأكيد في الكلام ليس أمراً

حتماً، ولا يكون على جهة الوجوب، وإنما يكون وروده على وجهين:

¹ سورة آل عمران، الآية 45.

- أحدهما: أن يكون الكلام معلوماً في النفس لا يقع في شك، فما هذا حاله أنت فيه بالخيار، بين تأكيده وتركه.

- وثانيهما: أن يكون غير معلوم، أو يكون مشكوكاً فيه، وما هذا حاله فالأولى تأكيده؛ لإزالة احتماله¹

وعلاقة الارتباط بالتوكيد هي قيام صلة معنوية وثيقة بين كلمتين أو جملتين أو ضميرين، فتشبه علاقة الشيء بنفسه.

- قال الله تعالى: ﴿هِيَ هَاتِ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾²

- قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾³

- في الضمير، كقولنا: قم أنت.

ففي الآية الأولى تم التأكيد بتكرير كلمتين (هيهات\هيهات)، وهي علاقة الشيء بنفسه، وتعني -كما قال "ابن عباس"-: «بعيد ما تعدون»، وقرأ "أبو جعفر" (هيهات هيهات) بكسر التاء، وقرأ نصر بن عاصم بالضم، وكلها لغات صحيحة، فمن نصب جعله مثل: أين وكيف. ومن رفع جعله مثل: منذ وقط وحيث، ومن كسر جعله مثل: أمس وهؤلاء⁴.

ثالثاً- علاقة الإسناد وأهميتها في بناء الكفاءة الوظيفية

الإسناد علاقة معنوية معقودة بين المسند والمسند إليه في الجملة العربية، حيث تعدّ هذه القرينة التي تركز عليها التراكيب النحوية المختلفة قرينة معنوية، وقد اعتنى بها العلماء العرب عناية كبيرة كونها تمثل نواة الجملة العربية، وقد ميّزوا بينها وبين القرائن اللفظية المشاركة في عملية الارتباط، كما فرقوا بين طرفي الإسناد، وقدّموا لكل منهما تعريفاً يميّزه عن الآخر.

¹ يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، القاهرة-مصر، (د. ط) 1914م، ج2، ص145.

² سورة المؤمنون، الآية 36.

³ سورة الشرح، الآية 5-6.

⁴ ينظر: الحسين بن مسعود البغوي (أبو محمد)، معالم التنزيل (المسمى بتفسير البغوي)، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طبية للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة السعودية، ط1 (1409هـ-1989م)، ج5، ص417.

وقد اتخذت الدراسات اللغوية الحديثة منعرجاً آخرًا في تحليلها لهذه الظاهرة، حيث تنظر إلى التركيب الجملي من وجهة نظر وظيفية تداولية، بغية الوصول إلى دراسة نحوية تُعنى بالتركيب والتحليل ودلالات الجمل من خلال مقاماتها ووظائفها، وعَلَّقت أسباب الإسناد بوظائفه النحوية، وما يحققه من كفاءات وظيفية في العملية التخاطبية، وأعطت مفهومًا جديدًا أكثر شمولية لأطراف الإسناد بعيداً عن التأويل والتقدير. وفق رؤية تجمع بين المسميات النحوية القديمة والحديثة.

1- مفهوم الإسناد:

أ- المفهوم اللغوي:

إذا بحثنا عن المعنى اللغوي للإسناد وجدناه مصدراً للفعل الرباعي (أسند)، ويُقال: أسند إلى الشيء كذا أي جعله معتمداً عليه. وأسند الحديث معناه عزاه إلى قائله ونسبه إليه، وهو إضافة الشيء إلى الشيء. والإسناد بناء من (السين والنون والدال) أصل واحد يدلّ على انضمام الشيء إلى الشيء، والسناد: الناقة كأنها أسندت من ظهرها إلى شيء قوي، والمسند: الدهر؛ لأنّ بعضها متضام¹. والإسناد: ما ارتفع من الأرض في قبل جبلٍ أو وادٍ، وكلّ شيء أسندت إليه شيئاً فهو مسند، والكلام سند ومسند، كقولك: عبد الله رجلٌ صالحٌ، فعبّد الله سنْدٌ، ورجلٌ صالحٌ مسنْدٌ إليه. والمسند: الدهر؛ لأنّ الأشياء تُسند إليه، ونقول: كان كذا في زمان كذا². والإسناد أيضاً: أن يسلخَ شِعْرٌ غيره، فيسندُه إلى نفسه، فيدّعيه أنه من شعره³. وكلّ شيء أسندت إليه شيئاً فهو مسند، وما يُسند إليه يسمى مسنداً وجمعه المساند، والإسناد: إسناد الراحلة في سيرها، وهو سيرٌ بين الذميل والهملجة⁴.

¹ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: (سند)، ج3، ص105.

² الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1 1424هـ\2003م، مادة: (سند)، ج7، ص228.

³ المصدر نفسه، ج7، ص229.

⁴ محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، مادة: (سند)، ج3، ص221.

ب- المفهوم الاصطلاحي:

لم يُغفل النحاة العرب منزلة الإسناد في الكلام، ولا غيرهم من البلاغيين والمناطق، حيث أولوها عناية فائقة، حتى وقفت على آرائهم نظريات وتوجهات لاتزال ليومنا هذا رائدة في الدراسات اللغوية. فكان من هؤلاء النحاة "سيبويه" فقد أشار إلى قضية الإسناد حين أفرد له باباً في كتابه سماه (بابُ المسند والمسند إليه)، وكان مما نقله في حدّ المسند والمسند إليه: أنهما ممّا لا يغني واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجدُ المتكلم منه بدءاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه¹.

فقد أشار "سيبويه" إلى أهمية أن يُسند طرفٌ في الكلام إلى آخر، لتحقيق فائدة مرجوة بين المتكلم والمخاطب، كما ذكر أنه لا يمكن الفصل بينهما، ولا ينفرد أحدهما في تحقيق الفائدة عن الآخر.

وقد عرّف "ابن مالك" الإسناد بقوله: هو عبارة عن تعليق خبرٍ بمخبر عنه أو طلب بمطلوب عنه². وهو ضمُّ كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى، بحيث يُفيد الحكم، وهو نقطة الارتكاز بأن مفهوم إحداها ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه³.

ونرى أنّ "ابن هشام" قد أعطى للإسناد قيمة مفصلية في بناء الكفاءة الوظيفية، حيث جعل الفائدة شرطاً للكلام وما يتألف منه، فائدة يحسن السكوت عليها، حيث تخضع لمبدأ الإسناد والضم.

وهو ارتفاع نسبة تامة بين كلمتين لوجود علاقة تبين تعلق إحداها بالأخرى. والنسبة عرّفها "الجرجاني": هي إيقاع التعليق بين الشيئين. أي بين اللفظين المكونين للتركيب الاسنادي، كنسبة الخبر إلى المبتدأ ونسبة الفعل إلى مرفوعه؛ لأن التعليق قد يكون بين اسم واسم أو فعل واسم، وقد يكون الإسناد الخبري بين وحدتين اسناديتين، وذلك بضمّ إحداها إلى الأخرى. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ﴾

¹ عمر بن عثمان بن قنبر أبو بشر (سيبويه)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت- لبنان، (د/ط)، 1985م، ج1، ص23.

² أبو حيان الأندلسي، التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تح: حسن هنداي، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1 1419هـ\1998م، ج1، ص32.

³ مسعود بن عبد الله سعد الدين التفتازاني، شرح تلخيص المفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ط) (د-ت)، ص30.

يَا ذَنْ رَبِّهِ وَالَّذِي حَبَّتْ لَآيَحْجُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾¹. حيث أن كلا من المسند والمسند إليه هو وحدة اسنادية، انطلاقاً من أن التركيب الاسنادي الذي تبنى عليه الجملة ليس مطلق التركيب، وإنما تركيب الكلمة مع أختها إذا كان لإحدهما تعلق بالأخرى على السبيل التي بها يُحسن موقع الخبر².

وبهذا يكون الإسناد: هو العلاقة الرابطة بين طرفي الإسناد (المسند والمسند إليه)، كالعلاقة بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل أو نائبه، وبين كل ما يعمل عمل الفعل، كالمشتقات، وهذا يعني: أن هذه العلاقة عبارة عن قرينة معنوية تعمل على الربط بين أطراف الكلام.

كما كان للإسناد حضور قوي في الدرس البلاغي القديم، حيث عدّه البلاغيون أحد أبواب علم المعاني وعماد النظم وأساس التعليق في الكلام، قال "عبد القاهر الجرجاني": «الإسناد هو إضافة الشيء إلى شيء وإمالته إليه، وجعله متصلاً وملازماً»³. فجعل أساس الإسناد وقوامه التقارب الدلالي وعدم التنافر، واتّصال أحد أطرافه بسياق الآخر ليحققا كفاءة وظيفية، وباتلافها مع أطراف أخرى تناسب المقام تؤدي فائدة تتعلق بمقاصد المتكلمين، يقول "الجرجاني": «واعلم أن معنى الائتلاف الإفادة، وذلك لا يكون إلا بين الاسم والاسم، كقولك: زيدٌ أخوك، فزيدٌ مبتدأ، وأخوك: خبره، وكل واحد منهما اسم، أو بين فعل واسم، كقولك: خرج زيدٌ، وسرّ بكرٌ، وانطلق عبد الله، فهذه أفعال، وما بعدها مخبر عنه»⁴.

وعليه، فإن الارتباط الإسنادي يحقق الكفاءة من خلال توظيف الكلمات حسب ورودها في النفس، ثم بحسب أدائها لوظائفها النحوية المنطة بها، أسماء أكانت أم أفعالاً، أو حتى ظروفًا؛ لأن الكلمات بها ينتظم عقد الجملة في النصوص، وبها يوقف على المعاني، وهذا ما يمكن أن نناقشه في العنصر الموالي.

¹ سورة الأعراف، الآية 58.

² ينظر: رابح بومعزة، الحد الدقيق للجملة، مقال في مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الثامن، ص3.

³ عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، العراق، (د.ط) 1982م، ج1، ص77.

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص79.

2- أهمية الإسناد في بناء الكفاءة الوظيفية:

اتخذت الدراسات اللغوية الحديثة من الجملة منطلقاً لها في دراسة النصوص بغية الاستثمار الأمثل لإمكانات اللغة في تحقيق التواصل الناجح، وذلك عن طريق كشف شبكة العلاقات اللغوية داخل التراكيب وتفجير طاقاتها من خلال الربط بين النحو والدلالة.

ولعلّ أهم تلك العلاقات التي تربط أجزاء الكلم في اللغة العربية هي: علاقة الإسناد حيث يعدّ الارتباط بطريقة الإسناد بؤرة الجملة أو نواتها، بل وحدها هذه العلاقة كافية لتكوين الجملة في أبسط صورة لها. وكلّ علاقة أو أي نوع من أنواع الارتباطات الأخرى تزيد في الجملة على علاقة الإسناد إنما يُنشئها المتكلم للبيان أو إزالة إبهام قد يعتري المعنى الدلالي للجملة، وهذا كله خاضع لسياق المقام وأغراض المتكلم وحال المخاطب.

وفي النحو العربي يعدّ الإسناد - عموماً - أساساً للجملة ومقوماً من مقوماتها، يقول "ابن هشام": الجملة هي عبارة عن الفعل وفاعله (كقام زيد)، والمبتدأ وخبره (كزيد قائم)¹. وضمن هذا الطرح بيّن أصول هذا التركيب الإسنادي، وهي: المسند (الفعل والخبر) والمسند إليه (الفاعل والمبتدأ) والإسناد: وهو العلاقة الرابطة بينهما، وهي علاقة ذهنية، تنشأ من خلال الارتباط الواقع بين المبتدأ والخبر في الجملة الإسمية وبين الفعل والفاعل أو نائبه أو بين كل ما يعمل عمل الفعل وفاعله أو نائبه كالمصدر والمشتقات واسم الفعل في الجملة الفعلية، وهذا يعني أنّ للإسناد طريقتين: الجملة الفعلية والجملة الإسمية.

ويحقق الإسناد عموماً وحدة الجملة ويمكّنها من التعبير عن مقاصد المتكلمين، ولما كانت الفائدة المرجوة منه الغرض الأقصى الذي يجرى إليه تركيب الكلام، كان لا بدّ أن تبرز دراسة القدماء لوظائف الإسناد عن أوجه تحقيقها لها²، ويرشدنا اندراج هذا المفهوم ضمن البحث عن المعنى ودلالات الجمل، من خلال مقاماتها ووظائفها إلى ارتباطه بأبعاد وظيفية تداولية تظهر

¹ ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وتعليق: مازن المبارك وعلي حمد الله، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط 2005 م، ص 357.

² ينظر: خالد السويح، أسس الإخبار في الكلام (بحث في روافد إنتاج الفائدة)، ج 1، ص 287.

الجملة في أعلى مظاهر الدلالة التخاطبية، وهو ما يدعونا إلى إعادة البحث في مكونات الإسناد عن كفاءة وظيفية تضمّر إسهامات أساسية في تحقيق المعنى.

وانطلاقاً من رأي "سيبويه" يمكننا تتبع ذلك، حين يبيّن وظيفة كل من المسند والمُسند إليه في قوله: «هما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منهما بدأً. فمن ذلك: الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثال ذلك: يذهب عبد الله، فلا بدّ للفعل من الاسم»¹.

ففي هذا النص، لم يوضّح "سيبويه" حدّ المسند والمُسند إليه، ولكن جعل لكل منهما وظيفة تختلف عن الآخر، ولا يؤديها إلا به لشدة الارتباط بينهما، ثمّ بيّن في موضع آخر مفهومهما فقال: «ولم يكن ليكون هذا كلاماً حتى يبنى عليه أو يبنى على ما قبله، فالمبتدأ مسند والمبني عليه مسند إليه»². ويؤكد ذلك مرة أخرى في باب الإبتداء قائلاً: «المبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسند ومُسند إليه»³. وفي الفاعل والمفعول قال: «فأما الفاعل الذي لا يتعدّاه فعله فقولك: ذهب زيدٌ وجلس عمرو، والمفعول: المحدث عنها، والأمثلة دليّة على ما مضى وما لم يمض من المحدث به عن الأسماء، وهو الذهاب والجلوس والضرب»⁴.

من خلال ما سبق نستنتج أن مصطلح المسند والمُسند إليه عند "سيبويه" هو مصطلح نحوي خاص بتركيب الأسماء في الجمل الاسمية والفعلية، أو بناء الجمل على معاني الأسماء؛ لأنه في باب الفاعل أتى بمصطلحين آخرين هما: الاسم المحدث عنه (الفاعل)، والآخر هو المحدث به، ولم يقل: إنه الفاعل، بل الدلالة المجردة من الزمن في الفعل (المصدر)، وقد فُهم من هذا الكلام (عند كثير من الباحثين في النحو الوظيفي) أنّ الأصل أن يكون هنالك مبتدأ في كلّ الكلام، ثم يدخل عليه الناصب والجارّ وغير ذلك، أي: أنّ لدينا في الأصل (مسنداً) وهو المبتدأ، ويبنى عليه خبر، ويبنى عليه فعل، ويبنى عليه أيّ سوى ذلك، ولكن لا يُسمى الطرف الآخر مسنداًص إليه إلا إذا كان لا يستغنى عنه⁵.

¹ عمر بن عثمان بن قنبر أبو بشر (سيبويه)، الكتاب، ج 1، ص 23.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 25.

³ المصدر نفسه، ج 2، ص 78.

⁴ عمر بن عثمان بن قنبر أبو بشر (سيبويه)، الكتاب، ج 2، ص 34.

⁵ ينظر: جمعان عبد الكريم، الإسناد في النحو والخطاب، مجلة اللسانيات العربية، مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، العدد الأول، ربيع الأول 1436هـ\جانفي 2015م، ص 124.

ويمكن توضيح نظرية الإسناد عند سيبويه من خلال النقاط الآتية:

أ- الاسم المتحدث عنه (المسند) = المبتدأ قد يتحوّل إلى فاعل أو إلى نائب فاعل.

ب- الكلمة التي يتحدّث بها (اسم أو معنى الحدث مجرداً من الزمن في الفعل).

ج- العلاقة الإسنادية وهي علاقة وجودية بمعنى أن المسند إليه لا يوجد إلا بوجود مسند والعكس صحيح.

وهذه النظرة للإسناد من "سيبويه" تنطلق من منطلق بنيوي تركيبى، ينظر إلى كيفية تشكّل التركيب الأساسي للكلام في اللغة، من ناحية أنه يتكون من بنيتين كلتيهما مرتبطة بالأخرى، ولكن نلاحظ أيضاً أنه أشار إلى تبلور الكفاءة الوظيفية من بين رتبة المسند والمسند إليه وإبرازهما، من حيث أنه خالف المناطق في مصطلحات الإسناد، وفي القضايا المترتبة على العملية الإسنادية، بل إن "سيبويه" استعمل مصطلح المسند إليه: بأنه الاسم المتحدث عنه مبتدأ كان أو فاعلاً، والمسند: الاسم المتحدث به سواء كان فعلاً أو خبراً، وأتبعه النحويون من بعده في كون التركيب الأساسي للكلام في اللغة يتكون من بنيتين كلتيهما مرتبطة بالأخرى، ولكن البنية الأولى وهي بنية المسند (الاسم المتحدث عنه) هي الأساس، كما أنها ذات شقين:

- نحوي: مبتدأ أو فاعل أو نائب فاعل أو اسم الأفعال الناسخة أو الحروف الناسخة.

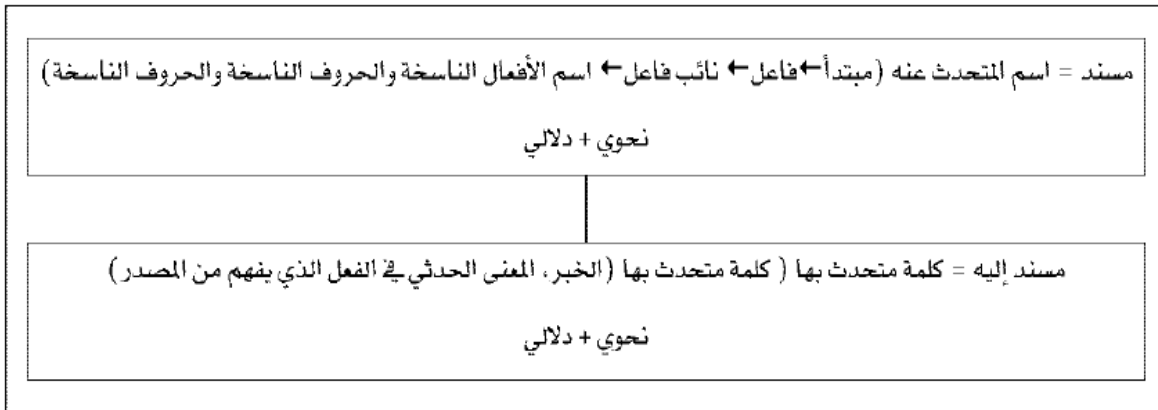
- دلالي: كونها اسماً أو معنى الاسمية فيها.

ثم بعد ذلك تتلوها الكلمة المتحدث بها، وهي ذات شقين أيضاً:

- نحوي: كونها فعلاً أو خبراً.

- دلالي: كونها تحمل معنى الحديثية في كليهما¹. ويمكننا أن نمثّل هذه الرؤية من خلال الشكل الآتي:

¹ ينظر: جمعان عبد الكريم، الإسناد في النحو والخطاب، مجلة اللسانيات العربية، ص 124.



وقد وضع النحاة بموجب هذا التقسيم مصطلحاً جديداً سموه الإسناد الفرعي، ويتحقق ذلك في إسناد المصدر واسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف. مثال ذلك قولنا:

– رأيتُ المنطلق أخوه

– فأخوه: مسند إليه لاسم الفاعل، وليس له مسند لأن المنطلق فضلة منصوب على الفاعلية.

والملاحظ على هذا الإعراب أنه أعمل الوصف القواعدي للعلامات الإعرابية، دون الإعتماد على الإعراب الإسنادي الذي وضعه "سيبويه"، الذي ينظر إلى كون الإسناد قضية تتعلق في أصلها بمناط الاسمية والحديثية؛ إذ بذلك التصور لا توجد جملة تخلو من الإسناد، لكن الإسناد هو موضوع ينسب إليه محمول، ومعالجته وفق الرؤية الوظيفية الثلاثية (الدلالية – التركيبية – والتداولية)، دون النظر إلى وضعهما الإعرابي إلا ضمن إيجاد جدولة للحالات الإعرابية للمسند والمسند إليه أيّاً كانت تلك الحالات¹. فبالمستويات الوظيفية الثلاث يتم بناء كفاءة التركيب بالتركيز على الارتباط المعنوي بينها، لتحقيق شرط الإفادة المنوط بالكلام (شرط الإفادة من كفاءة الإسناد).

فنتجاوز بذلك الرؤية القديمة من مسميات (مسند – مسند إليه) إلى (محمول – موضوع)، كما قام "أحمد المتوكل" بالتركيز أكثر على ما يتجاوز ذلك إلى إيجاد قالب خاص، هو القالب النصي (ما فوق الجملة)، من خلال تتبع المسار الحملي، بل حاول أن ينقل مفاهيم النحو الوظيفي إلى إطار نحو النص،

¹ ينظر: جمعان عبد الكريم، الإسناد في النحو والخطاب، مجلة اللسانيات العربية ص126.

تكون مهمته الاضطلاع برصد الاستدلالات المنطقية، التي تقوم بين معلومات تنتمي إلى قطع مختلفة من نفس النص¹.

والنص ينقسم في الغالب إلى:

- جملة: وتتألف من ثلاثة عناصر: الحمل والقضية والقوة الإنجازية.

- ومكونات خارجية: كالمبتدأ والمنادى والذيل.

ويتكون الحمل ذاته من ثلاثة حمل فرعية مسندة إلى بعضها، وهي:

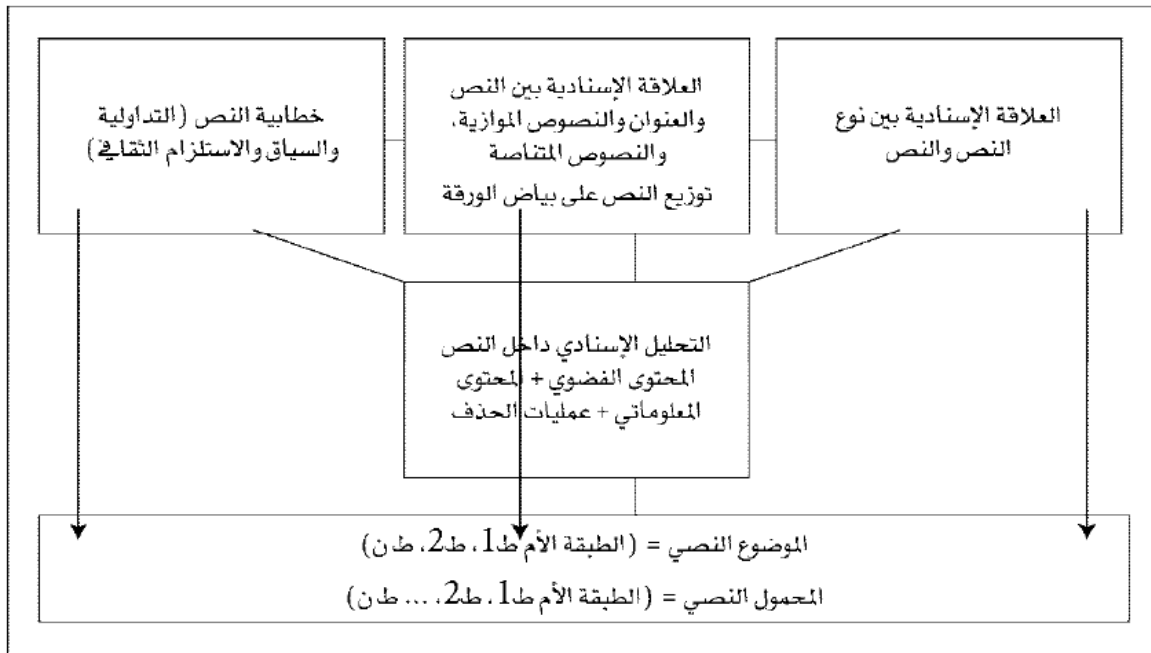
- الحمل النواة: ويتكون من المحمول (فعل، صفة، اسم، ظرف) وموضوعاته.

- الحمل المركزي.

- الحمل الموسّع.

حيث يتم هذا الإسناد وفق الرؤية الوظيفية، من خلال ترتيب العناصر وإدماجها في بعضها، فالحمل النووي يُدمج في إطار الحمل المركزي، والحمل المركزي يُدمج في إطار الحمل الموسّع، والحمل الموسّع يدمج في إطار القضية التي تُدمج في إطار القوة الإنجازية، ويتم الانتقال من مستوى إلى مستوى الذي يعلوه عن طريق إضافة مخصّص ولاحق أو مجموعة من اللاواحق وفقاً للبنية العامة للنص.

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 126.



خلاصة الفصل:

- بعد نهاية هذا الفصل والموسوم بعلاقات الارتباط الوظيفي في تركيب الجملة العربية، أمكنني القول، بأن الدراسات اللسانية تأسست على مفهوم الجملة الذي يتميز بالتنوع والاختلاف حتى إنه توجد تعريفات عديدة للجملة وردت قديماً وحديثاً، إلا أن القديمة منها كانت تخط بينها وبين الكلام، والحديثة أعطتها حداً آخر، تحلل اللغة من منطلق أنها مجموعة من الجمل، كل جملة منها تحتوي على شكل صوتي وعلى تفسير دلالي ذاتي يقترن بالشكل الصوتي، وقواعد الجملة هي التي تفصل التوافق بين الصوت والدلالة، حيث تنشأ بين علاقاتها السياقية معانٍ وظيفية، دون اللجوء إلى أدوات تؤثّق الصلة بين مركباتها، فتصبح بذلك شيئاً واحداً.

- لقد نتج عن تطوّر الدراسات اللسانية عبر فترات الزمن أهم تحوّل شهدّه هذا العلم؛ إذ أن نشأة اللسانيات النصية مدينة للنحو التوليدي، الذي أسهم بشكل مباشر في الانتقال من بنية الجملة ومكوناتها القاعدية، إلى البحث المنظم في العلاقات بين الجمل في بنية أكبر يمثلها النص، وقد تمّ تجاوز حدود الجملة إلى النص لعدم كفاية الأولى وحدها للوصف اللغوي، وهنا اتفق الباحثون على اعتبار أن النص والخطاب ككل وحدة التحليل الكبرى.

- تأخذ الارتباطات في التراكيب العربية كفاءات وظيفية متعددة، وذلك بحسب الوظائف النحوية المندرجة في سياقاتها النصية أو المقامية، فتتضافر العلاقات الإرتباطية المعنوية في كل نوع من الأقسام، ولكن السبيل يختلف في كل قسم منها، من حيث الوظيفة النحوية وعلاقتها ببقية أنواع الارتباطات الأخرى، مثل: العلاقة الاسنادية والعلاقة التمييز والعلاقة التوكيد والعلاقة الحال وغيرها.

نتائج الباب الأول:

حاولت في هذا الباب تتبع الحركة العلمية للدراسات الوظيفية في النحو، من خلال الكشف عن المحتوى النظري لنماذج النظرية، وتطوره من مهده في هولندا وصولاً إلى العالم العربي، وطرح مفهوم للوظيفة والوظيفية والمبادئ التي تقوم عليها، وإسهامات نخبة العربية الأوائل في بلورة هذا الفكر بما يخدم لغة القرآن الكريم، وذلك عند تعريفهم للكلام الجملة والنص والإسناد وغيرها من ظواهر الإرتباط، ثم ما قدّمه الباحثون

العرب المتأخرون في باب النحو والتركيبات، منها ما يُضيف جديداً ومنها ما يُصحح مفهوماً ومنها ما يؤصل نظرية. وبين هذا وذاك توصلت إلى نتائج أهمها:

- تأسست نظريات الاتجاه الوظيفي وظيفياً وتداولياً، حيث تنطلق من تعالق البنية والوظيفة وتبعية الأولى للثانية، وتتخذ القدرة التواصلية والمكون التداولي شرطاً لها لوصف الخصائص الصورية (الصرفية والتركيبية والصوتية) وتفسيرها بصورة كافية، لذلك اقترح كثير من الباحثين اسم النظرية الوظيفية التداولية على آخر نظريات هذا الاتجاه، لما له من نجاعة في التحليل وأكثر الاتجاهات استجابة لشروط النمذجة والتنظير.

- أرسى العالم اللغوي الهولندي "سيمون ديك" دعائم نظرية النحو الوظيفي، واستقطبت أفكاره عدة نماذج أبرزها نموذج النواة سنة 1978م، ونموذج المعيار سنة 1989م، ونموذج نحو الطبقات القالي لـ"أحمد المتوكل" سنة 2003م، ونموذج نحو الخطاب الوظيفي لـ"ماكززي وهنخفلد" سنة 2008م، ونموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسع لـ"أحمد المتوكل" سنة 2011م، مستوعبة التراكمات المعرفية للنظريات العربية والغربية السابقة لها، وأفادت منها وتمثلت إيجابياتها وتجنبت مزالقها.

- يعتبر النحو الوظيفي اللغة نظام يخضع لعلاقات سياقية ونحوية ودلالية، ممثّل لها في عدّة أبنية لغوية لعل أهمها الجملة، التي لم يُغفل المنهج الوظيفي التفصيل في قضاياها واشكالاتها، وذلك لاستفاد مظاهرها وأركانها وأقسامها والعلاقات المتحكممة فيها، حيث تعتبر الجملة (وما فيها من اسنادات) وتقلباتها في الخطاب، التركيب النموذجي الذي يشتغل عليه المنهج الوظيفي لإظهار الكفاءة الوظيفية بين عناصرها، وبيان إعجاز التنسيق الدلالي الذي تظهره أنواع الارتباطات فيها.

- من المبادئ المنهجية المعتمدة في النحو الوظيفي فيما يتعلّق بمسألة ارتباط البنية الدلالية (البنية الحملية) والبنية التركيبية الصرفية (البنية المكوّنة) افتراض بنية ثالثة تصل البنية الأولى بالبنية الثانية، وهي ما يُسمى بالبنية الوظيفية، ولتُنقل البنية الحملية إلى بنية وظيفية تجرى مجموعتان اثنتان من القواعد: قواعد إسناد الوظائف وقواعد تحديد مخصص الحمل.

- يتألف الكلام العربي من عمدتين، هما: المسند والمسند إليه (المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل أو ما عمل عملهما)، وتصحبهما في التركيب -في كثير من الأحيان- مكونات أخرى، يصطلح عليها بالمقيّدات أو المخصّصات، تُمثّل وظيفة كل منها باباً من أبواب النحو العربي، فكلما أضفنا عنصراً من تلك العناصر إلى التركيب زاد تقييداً للكلام، وكلما حذفنا عنصراً أدى ذلك إلى الإطلاق، ومما يلاحظ على هذه الوظائف، أنها تتداخل في كثير من الأحيان، فيصعبُ على المبتدئ التمييز بينها لما بينها من تشابه، وهنا وجب علينا في الجانب العملي البحث عن الفروق بينهما من حيث الخصائص والوظيفة.

- الجملة العربية من منظور الارتباط الوظيفي لا تخرج في تقسيمها عن نوعين اثنين، هما: الجملة البسيطة والجملة المركبة، فالجملة البسيطة هي التي لا تتضمن علاقة إسناد واحدة، سواءً اشتملت على مخصّصات أو مقيّدات أم لم تشتمل، وأما الجملة المركبة هي التي تتضمن علاقتي إسناد فأكثر، سواءً اشتملت على مخصّصات أو مقيّدات الإسناد أم لم تشتمل.

وفي هذا الإطار يحاول الباحث من خلال تمحيص نظرية النحو الوظيفي؛ أن يتّخذها إطاراً للدراسة وتمريها في محكّ الإنطباقية على خطاب القرآن الكريم، والكشف عن إعجازه اللغوي وبيان الكفاءة التي يظهرها تركيبه النحوي.

الباب الثاني

بناء الكفاءة الوظيفية

في السور المدنية

مقدمة:

الكلام عن النحو الوظيفي منهجا.

وانطلاقا من اقتراح "سيمون ديك" للقدرة التواصلية ضمن الوصف الوظيفي، ومعرفة القواعد التركيبية والدلالية والصوتية والتداولية، وبمساهمة "أحمد المتوكل" في صياغة نموذج أكثر استجابة لشروط التنظير من جهة ولمقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية من جهة أخرى¹، يمكن تمثيل الإسناد الفعلي والإسناد الاسمي ضمن المستويات التمثيلية للوظائف التالية²:

أ- مستوى لتمثيل الوظائف الدلالية: وهي وظيفة المنفذ Agent، المتقبل Goal، المستقبل Recipient والمستفيد، والأداة والمكان والزمان.

ب- مستوى لتمثيل الوظائف التركيبية النحوية: وهما وظيفتا الفاعل Subject والمفعول Object، فيرتبط إسناد الوظيفتين التركيبيتين الفاعل والمفعول بنوع الوظائف الدلالية التي تحملها البنية الحملية.

ج- مستوى لتمثيل الوظائف التداولية: كوظيفة المبتدأ Thème ووظيفة البؤرة Focus ووظيفة المحور Topic، ووظيفة الذيل Tail، ووظيفة المنادى Vocative. وتنقسم إلى: وظيفتان داخليتان: هما البؤرة والمحور. ووظائف خارجية: هي المبتدأ والذيل والمنادى.

وهذه الوظائف تعدّ في النحو الوظيفي مفاهيم أولى لتحديد خصائص جديدة للوصف التركيبي تختلف عن نحو القواعد كما هو معروف في القواعد التحويلية، فيتم إسناد الوظائف بحسب النحو الوظيفي انطلاقا من الوظائف التركيبية والدلالية ثم الوظائف التداولية، وذلك بواسطة قواعد إسناد الوظائف التي تتخذ دخلا لها البنية الحملية للجملة، والتي تعطي البنية الوظيفية الجزئية. ثم تطبق قواعد إسناد الوظائف التداولية بمقتضى شروط مقامية فنحصل على البنية الوظيفية.

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، ط 1 1985م، ص 9.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 8-9.

والجملة التالية تمثيل لهذه الوظائف: قال الله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾¹

الجملة: اذكر أنت اسم ربك بكرة وأصيلاً

المستوى التركيبي = فعل فاعل مفعول به زمان

المستوى الدلالي = محمول منفذ متقبل ظرف

المستوى التداولي = محور بؤرة

فالبيئة الحملية لهذه الجملة مُثِّل لها بالرموز التالية:

- اذكر ف (س1: محمد (س2)) منف (س2: اسم (س2)) متق

والبنية الوظيفية لها بعد تطبيق قواعد إسناد الوظائف التداولية فقد مُثِّل لها بالرموز التالية:

- اذكر ف (س1: محمد (س2)) منف فا مح

(س2: اسم (س2)) متق مف بوجد

ويخضع إسناد هذه الوظائف في اللغة للقيود العام للإسناد (قيد الأحادية) الذي اقترحه "أحمد

المتوكل" بالشكل الآتي:

تُسند الوظائف الدلالية والوظائف التركيبية والوظائف التداولية إلى موضوعات الحمل على

أساس²:

أ- أن لا موضوع يأخذ أكثر من وظيفة واحدة من نفس المستوى الوظيفي (أكثر من وظيفة

دلالية أو أكثر من وظيفة تركيبية أو أكثر من وظيفة تداولية) داخل نفس الحمل.

ب- أن لا وظيفة تُسند إلى أكثر من موضوع واحد داخل نفس الحمل.

¹ سورة الإنسان، الآية 25.

² ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص74.

فالوظائف التداولية تحدد الوظائف الدلالية التي تحدد بدورها الوظائف التركيبية، كما يتبنى هذا النحو مفهوم القدرة التواصلية بعدّها استراتيجية معرفية لإنتاج وتأويل الأقوال، لأن هذه النظرية تسعى في وصفها لظواهر اللغة لتحقيق ثلاثة أنماط كفاءة¹:

أ- الكفاءة النمطية:

يمكن للنحو أن يُحصل الكفاءة النمطية حين يستطيع أن يبيّن أوصافاً للغات تنتمي إلى أنماط مختلفة، وأن يرصد في الوقت ذاته ما يؤلف بين هذه اللغات المتباينة نمطياً وما يخالف بينها. وللاستجابة لهذه الكفاءة يجب أن تتسم نظرية النحو الوظيفي بسمتين، هما: التجريد والملموسية² وهما سمتان تشكّلان أحد الضوابط الأساسية في النمذجة، يسعى (النحو والوظيفي) من خلالها لإحراز التوسط بين التجريد في التقعيد والإلتصاق بالواقع اللغوي المراد مقارنته، والوصول إلى تعميمات دالة في اللغات الخاصة وتحقيق القيمة المراسية.

ب- الكفاءة التداولية:

يصف النحو الوظيفي العبارات على أنها أدوات تُستعمل داخل السياق تحدد بعضها بعض، وتُرتب وفقاً لنماذج معينة يتحكم فيها التفاعل اللغوي. يقول "سيمون ديك": «نريد من النحو الوظيفي أن يكشف لنا عن خصائص العبارات اللغوية التي لها علاقة بالكيفية التي تستعمل بها هذه العبارات، وأن يفعل ذلك بالطريقة التي تمكّن من ربط هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التفاعل اللغوي»³. وعليه فإن تحقيق الكفاءة التداولية لا يقتصر على القواعد والشروط التي تضمن سلامة بناء الجمل أو النصوص فحسب، بل تعني بالقدر نفسه برصد القواعد والشروط

¹ أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط-المغرب، (د.ط) 1995م، ص19.

² التجريد والملموسية: ونقصد بالتجريد ما يؤهلها لوصف نفس الظاهرة في أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية، وأن تظل القواعد الموضوعية لاصقة بخصائص هذه اللغة.

³ Dik Simon, The theory of functional Grammar, Part 1, The structure of the clause, Dordrecht foris, 1989, P12_13.

اللازمة لجعل تلك الجمل (أو الأقوال) أو النصوص (الخطابات) مقبولة وناجحة وملائمة للموقف التبليغي الذي تكون مسرحاً له¹.

وحتى يستجيب النحو الوظيفي لضابط "الكفاءة التداولية" يتعين إرضاء الشروط الأساسية الثلاثة الآتية²:

- يجب التمثيل لكل الخصائص التداولية للعبارات اللغوية كالخصائص الوجهية والخصائص الإنجازية والوظائف التداولية التي تحمل مكونات العبارات..
- يجب أن يمثّل لهذه الفئة من الخصائص داخل النحو ذاته؛ أي داخل القالب النحوي لا خارجه.

- يجب أن يكون المستوى الذي يمثّل فيه لهذه الخصائص سابقاً، من حيث مراحل اشتقاق العبارة، على المستوى الذي تحدّد فيه الخصائص البنيوية، على اعتبار أن الخصائص الثانية تعكس الخصائص الأولى.

ج- الكفاءة النفسية:

أن تكون النظرية الوظيفية استراتيجية معرفية لإنتاج وتأويل الأقوال في وصفها لظواهر اللغة، يعني: «تأخذ بعين الاعتبار الخلفيات النفسية للمتكلم باعتباره نموذج إنتاج نفسي؛ لأنه لا ينتج اللغة فحسب، بل كذلك عالم باللغة التي ينتجها، والخلفيات النفسية للمخاطب باعتباره نموذج إدراك نفسي»³.

¹ ينظر: يحيى بعبطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، ص 100.

² ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 20.

³ فاطمة بنت ناصر بن سعيد المخيني، الوظائف التداولية الداخلية في سورة الأنعام، رسالة ماجستير، إشراف: محمد هلال، الامرات العربية المتحدة، ص 76.

وعليه فإنني في هذا الباب سأقسّم العمل وفق هذه الرؤيا إلى ثلاثة فصول، وسأعمل على إبراز دور الارتباطات الإسنادية في تحقيق الكفاءة الوظيفية في السور المدنية من القرآن الكريم، من خلال المستويات الأنفة الذكر (الدلالية والتركيبية والتداولية)، وذلك عن طريق دراسة خصائص هاته المكونات، والوقوف عند الجهاز الواصف للجملة في النحو الوظيفي العربي، سواء من حيث تقسيمها إلى جملة فعلية واسمية أو جملة بسيطة ومركبة، انتهاءً بينيتها النحوية العامة، آخذاً بعين الاعتبار سياقاتها النصية ومقامتها التداولية.

الفصل الأول

الوظائف الدلالية للارتباطات الإسنادية في السور المدنية

تمهيد

أولاً- التعريف بالوظائف الدلالية وطبيعتها

ثانياً- بنية الوظائف الدلالية

ثالثاً- الأدوار الدلالية للمكونات

خلاصة الفصل

تمهيد:

إنّ التواصل اللغوي هو تبادل كلامي للرسائل والمعلومات بين المتكلمين باللغة، ولكنّ النظام اللغوي ليس وحده وسيلة للاتصال في المجتمع ولا مجرد أداة آلية فحسب، بل تحيط به ظروف نفسية واجتماعية.. يتفاوت فيها المتكلم الباث والسامع المتلقي تعبيراً وتفسيراً، لما لها من إشارات معنوية خاصة ترتبط بتاريخ الأمة وثقافتها، يزيد بها عمقاً نافذا طبيعة التفاعل الاجتماعي، باعتباره تفاعل يترتب عليه تبادل الإرسال والاستقبال للآراء.

وقد اهتم علم الدلالة منذ نشأة اللسانيات بخصائص نظام اللغة، سواء في التراكيب والمفردات اللغوية، أو في بنية الذهن كما هو الحال عند البنيويين والتوليديين. فكان التركيز على علاقة المعنى بالشكل اللغوي (تركيب/مفردة) من أولى أوليات هذا العلم.

وقد عمدت النظرية الوظيفية ممثلة في "أحمد المتوكل" وغيره من الباحثين، إلى إعادة وصف قواعد اللغة العربية، وصفاً دلالياً وتداولياً وفق مفاهيمها الخاصة، مضيفين إلى ذلك قواعد النحو العربي، وهو ما سمح له بأن يضم إلى جانب قواعده التركيبية وصفاً لوظائف وحداته الدلالية والتداولية، حتى يتصف بالشمولية في وصف الظواهر التركيبية للغة العربية والذي على أساسه تحدّدت على مستوى نحو اللغة العربية الوظيفي ثلاثة أنواع من الوظائف، هي الوظائف الدلالية والتركيبية والتداولية، تحكمها قواعد إسناد الوظائف إلى جانب قواعد إسناد الحركات الإعرابية في الجملة. غير أننا ننتبه إلى أن الوظائف الدلالية تعقد على مستوى البنية الحملية، في حين أن الوظائف التركيبية والتداولية تلتحق لمباشرة عملها من خلال البنية الوظيفية التي أفردت خصيصاً لها.

ويمكن تفجير الوظائف من حيث الأدوار التي تؤديها وعليه فإنه في هذا الفصل الذي أتناول فيه التمثيل النحوي للوظائف الدلالية يستوجب علينا طرح الإشكالية الآتية:

- فما هو الدور الذي تؤديه الوظائف الدلالية داخل النسيج الاسنادي؟ وما أهمية هذا الدور في تحديد الكفاءة الوظيفية له؟

أولاً- التعريف بالوظائف الدلالية وخصائصها

القول كُلُّهُ يَنْهَضُ عَلَى الْبَيَانِ، والبيانُ بِدَوْرِهِ يَتَأَسَّسُ بِخَاصِّيَّتَيْنِ اثْنَتَيْنِ هُمَا: العبارةُ والإشارةُ، فإذا كانت المعاني في العبارة حَقِيقَةً وَصَرِيحَةً، فَإِنَّ الْإِشَارَةَ هِيَ مُضْمَرَةٌ تَتَسِمُ بِالْمَجَازِيَةِ وَالْإِضْمَارِ¹، ترتبط عناصر التركيب بقرائن معنوية أو علاقات سياقية تقوم بتحديد الوظائف التركيبية لها، لا يتعداها المتلقي إلى غيرها من العلاقات في فهم المقصود، بل يتصل أول ما يتصل بالدلالة المعنوية التي «تَحْصُصُ المدلول وتصرفه إلى المراد منه مع منع غيره من الدخول فيه»². وهي عبارة عن علامات منطوقة أو مكتوبة يتوصل المتلقي بواسطتها إلى تحديد المبنى تحديداً أولياً يعتمد على السمع أو البصر من دون اللجوء إلى قرائن مقالية.

وهذه مسألة أولية يتم التعرف فيها على الصورة الحضورية للنص، ثم تتواصل عملية إدراك المعنى من خلال الاتصال بالقرائن المقالية المتاحة سواء أكانت معنوية أم لفظية؛ إذ المبنى الواحد يصلح لأكثر من معنى (تعدد المعنى الوظيفي)، يقول "تمام حسان": «إذا كان الوصول إلى تحديد المبنى من العلامة يتم بحضور المعهود، وكان استحضار المعنى من المبنى لا يتم إلا باستخدام القرائن، فلا شك أن العملية الثانية أصعب من الأولى»³.

وترتبط الوظائف الدلالية بمفهوم الإسناد في النحو الوظيفي تحت ما يسمى بالبنية الحملية، وهي بنية تشتمل على مسند ومسند إليه، أو مسند ترد بالنسبة إليه عدة مسانيد. يسمى الطرف الأول (المسند) **بالمحمول**، والموضوعات المسندة إليه **بالحدود**. وهذه البنية الحملية يدل المحمول فيها على واقعة، والوقائع كما يصنفها "أحمد المتوكل" أربعة أصناف:

¹ محمد الشنتوفي، العُنوان ما بين الوظيفة الدلالية والوظيفة الإحالية، مقال بمنتدى ديوان العرب، على الشبكة العنكبوتية (2016م)،

<https://www.diwanaalarab.com>

² محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، قصر الكتاب، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص186.

³ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص191.

- أعمال

- أحداث

- أوضاع

- حالات

هذه الوقائع تمثل حصراً لمختلف الأدوار التي يمكن أن يقوم بها المحمول، فإما أن يدل على (عمل أو حدث أو وضع أو حالة)، وهي وظائف دلالية تحدّد نوع الكفاءة المنوطة بكلّ ارتباط؛ إذ هذا التقسيم لأنواع الوقائع هو وارد بالنسبة لنوع الحدّ الذي تُسند إليه الواقعة، ف «يفرض المحمول قيود انتقاء بالنسبة لمحلات الحدود التي تساوقه في نفس الحمل»¹

فالوظائف الدلالية بالنسبة للارتباطات الإسنادية، هي الأدوار التي يأخذها كل محل من محلات الموضوعات بالنسبة للواقعة التي يدل عليها المحمول، أو هي العلاقات القائمة بين الحدود والمحمول أو بين بعضها البعض، وهذا النوع من العلاقات يشتمل على الوظائف الآتية؛ (المنفذ، المتقبل، المستقبل، الأداة، المكان، الزمان، الحال)، وتستند إلى الإطار الحلمي حيث يُحدّد الموضوع دلالياً، ومن ثمّ يأخذ وظيفته الدلالية..

والوظائف الدلالية عليها اعتماد الكلام، وهي أمّ القرائن النحوية جميعاً وأكثرهم أهمية². يقول "تمام حسان": «والعلاقات السياقية قرائن معنوية تفيد في تحديد المعنى النحوي»³، لذلك يجأ إليها المتكلم في الصياغة لمجرد الإتيان بين المعنيين وفق تداعي المعاني في العقل البشري⁴.

إنّ الوظائف الدلالية التي كانت محطّ التعريف في هذا الجزء تبرز كفاءتها في الارتباط الإسنادي، وذلك لما لها من دور في مستوى المدخل المعجمي، الذي هو «أساس الاعتبار في التركيب، وهو الذي يمدّ المكونات الأخرى بالمادة المفرداتية، ويعدّ بنية وصورة مصغرة أولى لبنية

¹ أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، ط 1، 1986م، ص34.

² تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص182. وينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الاعرابية في الجملة بين القدم والحديث، دار الغريب، القاهرة-مصر، (د. ط) 2001م، ص111.

³ المرجع نفسه، ص191.

⁴ مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص152-162.

الجملة ككل»¹. وتتركز وظيفتها حول فرز القوائم المفرداتية وطرحها لتمثّل في الاستعمال على الدور الصحيح، لذلك «تميّز - في قالب النحوي- بين مفردات أصول في قائمة متناهية تسمى (معجما)، ومفردات فروع تُسند مهمة اشتقاقها إلى نسق من القواعد خاص يسمى (قواعد تكوين المحمولات)»²، حيث يصبح الارتباط مشكّل من شقين اثنين: إطار حملي وتعريف دلالي، فيمثّل الإطار الحملي «للخصائص البنيوية التي تميّز المفردة، في حين يقوم التعريف الدلالي بتحديد معنى المفردة»³. فتتخذ الوظائف الدلالية بنية لمفردات الأصول وأخرى لمفردات الفروع لهما صور متعددة.

ثانياً- سلمية الوظائف الدلالية وأنماطها

تقوم بين مختلف الوظائف الدلالية سلمية، تختلف بدرجات متفاوتة من حيث الأهمية بالنظر إلى الواقعة. هذه السلمية كما أوردها "سيمون ديك" ونقلها "أحمد المتوكل" هي:

منفذ < متقبل < مستقبل < مستفيد < أداة < مكان < زمان

والملاحظ على ترتيب الوظائف الدلالية على هذا النحو، أنها قد جاءت وفق ترتيب يوافق قوة تركزها وحضورها الدائم بالنسبة للمحمول، والتي يُعدّ المنفذ ثم المتقبل أقواها تركزاً وحضوراً، ثم تليهما وظيفتي المستقبل والمستفيد ثم الحدود اللاحقة: الأداة والمكان والزمان (أداة الواقعة وظيفي الزمان والمكان). وتستدعي هذه السلمية للوظائف الدلالية الملاحظات التالية⁴:

- 1- لا تهم هذه السلمية إلا الوظائف الدلالية التي تأخذها الموضوعات ولواحق الحمل. مفاد ذلك أن الوظائف الدلالية التي تحملها لواحق الطبقة الرابعة، واللواحق الإنجازية ليست معنية.
- 2- يمكن التمييز داخل هذه السلمية بين وظائف الموضوعات ووظائف اللواحق من جهة، وبين لواحق المحمول (مستفيد، أداة)، ولواحق الحمل (مكان، زمان)، من جهة ثانية على أساس

¹ أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، ص 89.

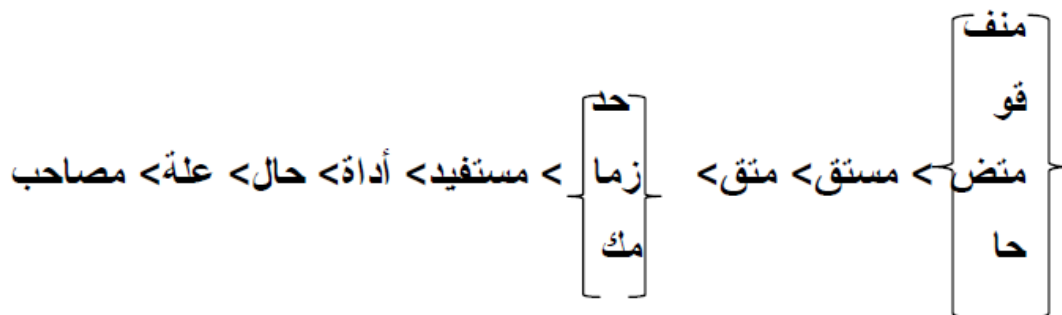
² المرجع نفسه، ص 63.

³ المرجع نفسه، ص 63.

⁴ المرجع نفسه، ص 85.

أن وظائف الموضوعات تعلو سلمياً وظائف اللواحق، وأن وظائف لواحق المحمول تعلو وظائف لواحق الحمل.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار اللواحق الإنجازية على أساس أنها دون حدود الحمل ككل (موضوعات ولواحق) من حيث الأهمية بالنظر إلى الواقعة النواة، أصبحت سلمية الوظائف الدلالية موسّعة أكثر على الشكل التالي¹:



هذه الصورة النموزجية للقلب الوظيفي الذي يحتوي على وظيفتين تركيبتين (الفاعل والمفعول)، يقوم الحدّ الدلالي فيها بالتحكم في طبيعة الإسناد بحسب الأولوية، كما أن القلب الوظيفي يرى الأسبقية للوظيفة الدلالية (المستقبل) على الوظيفة الدلالية (المتقبل)، حيث ذهب إلى أنه قد أثبتت مجموعة من الدراسات أن ثمة اتجاهها عاما في اللغات الطبيعية، يقضي بأسبقية الدال على (إنسان) في أخذ وظيفة المفعول على غيره. وعليه يمكن تفسير تلك الوظائف الدلالية كالآتي:

- المنفذ أو القوة أو الموضوع أو الحائل: تدلّ على صاحب الواقعة.
- المستقبل: تدل على مُسْتَقْبِل الواقعة.
- المتقبّل: تدل على متقبّل الواقعة.
- الحدث: يدل على توكيد الواقعة، أو هيئة الواقعة أو عدد مرات الواقعة.
- الزمان: يدلّ على زمن الواقعة.
- المكان: يدلّ على مكان الواقعة.

¹ أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 42.

- **المستفيد:** يدلّ على المستفيد من الواقعة.

- **الأداة:** تدلّ على أداة الواقعة.

- **الحال:** يدلّ على هيئة صاحب الواقعة.

- **العلّة:** تدلّ على سبب الواقعة.

- **المصاحب:** يدلّ على المصاحب لصاحب الواقعة.

وتأتي هذه الوظائف مرتبة كما وردت في الشكل حسب أهمية تركزها بالنسبة للواقعة. نحاول في الأمثلة الآتية أن نبين قوة تركزها، ودلالة ارتباط كلّ منها بعناصر الواقعة في النص المدني من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا دَمْرُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾¹.

يتبين من خلال هذه الآية الكريمة الوظائف الدلالية الآتية:

- يأخذ الضمير (نحن) الذي يعود على لفظ الجلالة (الله) في الفعل (قلنا) الوظيفة الدلالية **المنفّذ**، لدلالة محمول الواقعة على عمل.

- يأخذ المكون آدم بعده الوظيفة التداولية الخارجية **المنادى**.

- يأخذ الضمير الظاهر (أنت) الذي يعود على آدم الوظيفة الدلالية **المستقبل**.

- يأخذ المكون (زوجك) يشغل الوظيفة الدلالية **المصاحب**.

- يأخذ المكون (الجنة) الوظيفة الدلالية **المكان**.

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾².

¹ سورة البقرة، الآية 35.

² سورة التوبة، الآية 111.

تظهر الآية التي بين أيدينا أنها اسمية وليست فعلية كالتي سبقتها، ولكن تبقى دلالة الألفاظ حسب مركزها بالنسبة لأداء الوظيفة المناطة بها في الواقعة، ولا تتغير بتغير طبيعة الجملة، لذا:

- يأخذ الضمير لفظ الجلالة (الله) في الآية الكريمة الوظيفة الدلالية المنفذ، لدلالة محمول الواقعة على عمل.

- ويأخذ المكون (المؤمنين) الوظيفة الدلالية المستقبل لدلالته على إنسان.

- ويأخذ المكون (أنفسهم) الذي يحتوي على ضمير يعود على المؤمنين الوظيفة الدلالية المتقبل، لدلالته على غير الإنسان.

- ويأخذ المكون (أموالهم) يشغل الوظيفة الدلالية المصاحب لأخذه نفس الحكم.

- ويأخذ المكون (الجنة) الوظيفة الدلالية المكان.

وتنطلق هذه الوظائف من بنى دلالية، يشير فيها المحمول الذي يمكن أن تنتمي مقولته الصرفية إلى الفعل أو الاسم أو الصفة أو الظرف إلى واقعة؛ أي شيء يمكن أن يقال عنه أنه حدث أو واقعة في عالم من العوالم، يمكن أن يدرك حسياً، كما يمكن أن يُؤطر زماناً ومكاناً، والحدود التي اقتضتها محمولاته تدل على المشاركين في الواقعة، حيث يسهم كل حد فيها بدور معين، يشار إليه في النظرية الوظيفية على أنه وظيفة دلالية. ويعتقد "أحمد المتوكل" وغيره من الباحثين أن حدود المحمول في الجملة تحمل أدواراً دلالية، مهمتها التأشير إلى نوع مساهمة الذوات، التي تحيل عليها هذه الحدود في الواقعة الإسنادية.

ثالثاً- الأدوار الدلالية للارتباطات الإسنادية

وتوضّح هذه السلمية أن الأولوية في اتخاذ وظيفة المفعول تكون للإنسان أولاً؛ لأنه يشكّل المنظور الثاني للواقعة، وبالتالي فوظيفة المستقبل قبل المتقبل، وبناء على إعادة صياغة "أحمد المتوكل" للسلمية التي قدّمها "سيمون ديك"، كان قد حدّد الوظائف الدلالية للمحمول، إلى جانب رصده لأهم الوظائف الدلالية للحدود (الحدود موضوعات والحدود لواحق)، التي يمكن أن تكون مساوقة له في اللغة العربية على الشكل الآتي:

1- الوظائف الدلالية للمحمول (الواقعة):

يدل محمول البنية الحملية في نحو اللغة العربية على واقعة، وكما أسلفنا الذكر فإن الوقائع تتميز دلاليًا - بحسب الأثر المسندة إليه - إلى أربعة أنواع:

أ- أعمال: مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣﴾¹، المتمثلة في الخلق والتعليم والتربية والقيام على شؤون البشر.

- فمحمول الخلق يدل على واقعة تسمى العمل.

- ويأخذ المكون (الرحمان) الوظيفة التداولية الخارجية المبتدأ، وأعمال التعليم والخلق له سبحانه وتعالى في الحمل بعده، لتدلّ على أنه المنفذ.

- والمكون (القرآن - الإنسان) يأخذان الوظيفة الدلالية المتقبّل والمستقبل على التوالي.

ب- أحداث: مثل قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾²

- فمحمول (أخرج) يدل على واقعة تسمى الحدث.

- ويأخذ المكون (الأرض) الوظيفة الدلالية المنفذ لدلالته على الذات المعنية بالحدث، الدالة على القوة.

- ويأخذ المكون (أثقالها) الوظيفة الدلالية المتقبّل.

ج- أوضاع: مثل قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۖ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٣﴾³

- فمحمول الاتكاء يدل على واقعة تسمى الوضع.

- ودلالة المؤمنين المتكئين على متموضع مع دلالة المحمول على الوضع.

- فالمكون (متكئين) يأخذ الوظيفة الدلالية الحال لدلالته على هيئة المؤمنين في الجنة.

¹ سورة الرحمان، الآية 1-2-3.

² سورة الزلزلة، الآية 2.

³ سورة الرحمان، الآية 54.

د- حالات: مثل قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا

يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾¹

- اليأس والفرح محمولان يدلان على حالة.

- وحائلهما الواو (الضمير المتصل بالفعل) الدال على حائل.

وانطلاقاً من هذه الوقائع يتحدد دور المحمول، فإما أن يدل على عمل أو حدث أو وضع أو حالة، كما تساهم دلالاته في تحديد دلالة حدود الموضوعات، فإن كانت الواقعة عملاً دَلَّ المحمول على عمل، وهو ما يفرض على الحد الذي يساوقه في البنية الحملية أن يكون منفذاً وهكذا.

ويمكن أن نلخص العلاقة التي تربط بين نوعية الواقعة ومدى تأثيرها في تحديد دلالة المحمولات والحدود الموضوعات في الشكل التالي²:

الواقعة	دلالة المحمول	دلالة الذوات المساهمة في الواقعة
أعمال	عمل	منفذ
أحداث	حدث	قوة
أوضاع	وضع	متموضع
حالات	حالة	حائل
		متقبل
		متحمل
		مكان
		-

ويتبنى أحمد المتوكل الفرضية القائلة بأن المحمولات الأصلية هي المحمولات المصوغة على الأوزان الأربعة الآتية: **فَعَلَ - فُعِلَ - فَعِّلَ - أَفْعَلَ**.

ويضم ما أسماه النحاة العرب القدامى "بالجامد" إلى هذا الصنف من المحمولات، وتعتبر هذه المحمولات الأصلية مصادر اشتقاق كلها بالنسبة للمحمولات الأخرى سواء المحمولات الفعلية أو غيرها³.

¹ سورة الحديد، الآية 23.

² يونس البودامي، الوظائف الدلالية في النحو الوظيفي، مقال على الأنترنت، 22 سبتمبر 2020م، الموقع:

<https://bilarabiya.net/7665.html>

³ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، ط 1 1985م، ص 19.

كما ذهب "أحمد المتوكل" إلى التمييز داخل الاشتقاق بين نوعين اثنين:

أ) الاشتقاق المباشر:

وهي المحمولات المصوغة على وزن «أَفْعَل» ووزن «فَاعِل» ووزن «أَفْتَعَلَ» مشتقة بطريقة مباشرة من المحمولات الأصلية الآنفه الذكر، مثل:

- (أَفْعَل) بزيادة الهمزة مثل: أَنْعَمَ.

- (فَاعِل) بزيادة الألف، مثل: قَاتَلَ.

- (أَفْتَعَلَ) وهو مزيد بحرفين، وداخل في هذا الباب بزيادة الهمزة والتاء مثل: ارْتَقَبَ.

اشتقاق مباشر	ف. أنعم : مشتق من نَعِمَ
	و. قاتل : مشتق من قَتَلَ

وتخضع هذه الاشتقاقات في النحو الوظيفي إلى استعمال الاغلب والاهم

الداخل ضمن المعطيات الصرفية التي ما يفتأ النحو يستخدمها على أبواب مختلفة، هي في

جملتها عناصر تحليلية مكونة لنظام الارتباط في اللغة العربية، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نِّي قَاتَلَ

مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا لِلَّهِ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾﴾¹، فلفظ

(قَاتَلَ) على وزن (فَاعِل)، وهي صيغة مشهورة للدلالة على المشاركة، قال سيبويه: «أعلم أنك إذا

قلت فاعلته فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت قاتلته»² وهذا يعني

اشتراك طرفي المفاعلة في معنى الفاعلية والمفعولية، وقد تخرج هذه الصيغة إلى معانٍ أخرى، مثل

¹ سورة آل عمران، الآية 146.

² عمر بن عثمان بن قنبر أبو بشر (سيبويه)، الكتاب، ص 216.

التكثير (ضاعفت العمل)، فقله تعالى ﴿مَنْ نَبِّ﴾ فالتنوين أيضا للتكثير، أي كثير من الأنبياء، قال "ابن كثير": و﴿مَعَهُ رِيَّوْنَ﴾ أي، «جماعات وعلماء كثير».¹

ومما يدعم دلالة مشاركة الإسناد المحدد للمكانية والحالية، حيث أن (معه) ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، و﴿رِيَّوْنَ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية نصب على الحالية. فهذا اشتقاق مباشر من (قَتَلَ)، وجاءت بعض القراءات بلفظ (قُتِلَ) وهو الوزن الأصلي للمحمولات المتبنات في الفرضية الأولى، جاء على صيغة البناء للمجهول لنفي الوهن والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يقتل.²

ب) الاشتقاق غير المباشر:

وهي المحمولات غير المصوغة على وزن (تَفَاعَلَ) و (تَفَعَّلَ)، فهي مشتقة بطريقة مباشرة من المحمولات المصوغة على وزن (فَاعَلَ) ووزن (فَعَّلَ). وبطريقة غير مباشرة من المحمولات (فَعَلَ) و (فَعِلَ).

- (فَعَلَ): يعدّ هذا البناء من الأبنية التي شكّلت صرحا خصباً لدى اللغويين والصرفيين ولكثرة معانيه لم يختص بدلالة معينة، وكذلك لحفته وشيوع استعماله، يقول "ابن الحاجب": «اعلم أنّ باب (فَعَلَ) لحفته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها؛ لأنّ اللفظ إذا خفّ كثر استعماله واتسع التصرف فيه»³، ويقول "الطيب البكوش" عن هذا البناء: «و (فعل) أكثر الأفعال عدداً؛ لأنّه الفعل الحقيقي الذي يدل غالباً على العمل والحركة؛ إذ يعطي ثلاث صيغ في المضارع هي: [فعل / يفعل]، [فعل / يفعل]، [فعل / يفعل]»⁴.

- ومن دلالاته يكون للغلبة مثل: قَهَرَ .

¹ اسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، (د/ط)، (د/ت)، ج3، ص205

² اسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص204.

³ محمد بن الحسين الرضي الاستربادي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د/ط) 1402هـ/1982م، ج1، ص70.

⁴ الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات، تح: صالح القرمادي، المطبعة العربية، تونس، ط3 1992م، ص86-87.

- ومن دلالاته يكون للجمع مثل: حَشَرَ.
- ومن دلالاته يكون للإعطاء والمنع مثل: مَنَحَ.
- ومن دلالاته يكون للاستقرار مثل: سَكَنَ.
- ومن دلالاته يكون للتفريغ مثل: فَصَلَ - قَطَعَ.
- ومن دلالاته يكون للتحويل مثل: رَحَلَ - وعلى السير .
- ومن دلالاته يكون للإيذاء مثل: لَسَعَ.
- ومن دلالاته يكون للتصويت مثل: صَرَخَ.

«وهذا التنوع الحركي في تلك الأبواب يقوم أساسا على المصوِّتات الثلاثة (ف ع ل)، وحركة العين في المضارع، ويعتمد علم الصرف اعتمادا كبيرا على هذه الأبواب في تفسير الكثير من التغيرات الصوتية الأخرى مثل الإعلال والإبدال والإدغام والقلب المكاني ونقل الحركة وغيرها من التغيّرات الصوتية»¹.

- (فعل): اسم ذات نحو: كَتَفَ، ومصدر نحو: لَعِبَ، وصفة نحو: فَرِحَ.

2- الوظائف الدلالية للحدود:

كما أشرنا سابقا أن المحمولات (تنتمي تركيبيا إلى مقولة الفعل أو مقولة الاسم أو مقولة الصفة) تدل على واقعة، وتكون الواقعة إما عملا أو حدثا أو وضعاً أو حالة. أما الحدود فتدل على المشاركين في الواقعة، وهي اثنان²:

أ- حدود موضوعات، إذا كانت تدلّ على ذوات تُسهّم في تعريف الواقعة نفسها، كالذات المنقّذة والذات المتقبّلة والذات المستقبلية.

¹ مصطفى النحاس، عين المضارع بين الصيغة والدلالة، مجلة: "اللسان العربي" دورية متخصصة نصف سنوية تصدر عن مكتب: تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1988م، العدد: 30، ص 13.

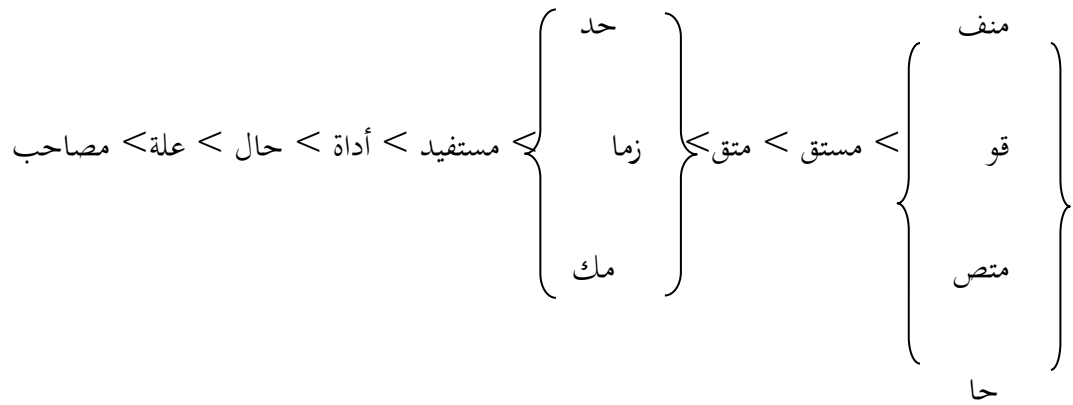
* تمثل الزيادة لغرض لفظي في الإلحاق، والمدّ وأكثره في الأسماء، وقد تكون الزيادة في أصل الوضع. ينظر: المنصف في التصريف، ابن جني، ص 141/161.

² أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، مطابع منشورات عكاظ، الرباط-المغرب، 1993م، ص 32.

ب- وحدود لواحق، إذا كانت تدلّ على مجرد الظروف المحيطة بالواقعة، كأن تدل على مكانها أو زمانها أو علّتها أو هدفها.

2-1- وظيفة الحد:

قدّم أحمد المتوكل تصوّراً آخر مبنياً وفق نظرية تركز الحدين (المستقبل والمتقبل)، وأهمية الأول على الثاني بالنسبة للمحمول، مضيفاً إليهما أهم الوظائف الدلالية التي تتوفّر عليها مكونات الجملة في اللغة العربية، والتي قد ترد مساوقة لحدود البنية الحملية، ممّا يُسهّل رصد الكفاءة الوظيفية للأدوار الاسنادية، وهنا نستأنس بالسلمية الآتية التي ذكرناها سابقاً¹:



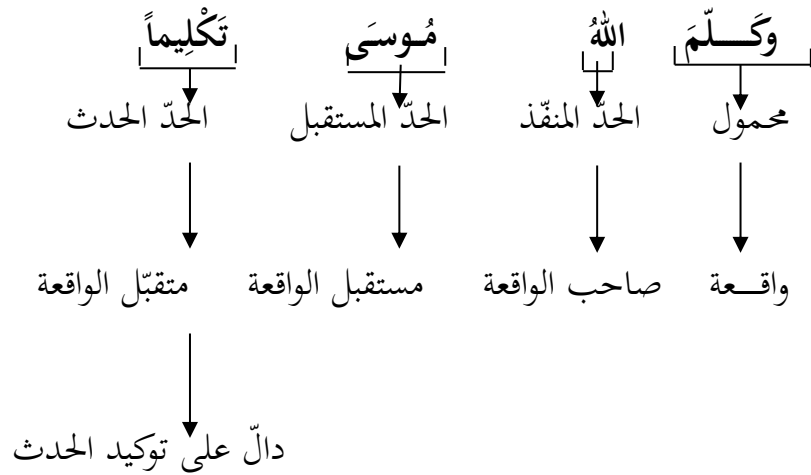
تمثل هذه الوظائف التي ترصدها السلمية، أهم الوظائف التي تقوم بها الحدود بالنسبة للواقعة التي تعتبر محمول البنية الحملية، حيث يرد كلّ حدّ له وظيفة دلالية تلعب دوراً في بناء الواقعة. فالحدّ الحامل للوظيفة الدلالية (المنفذ أو القوة أو الموضوع أو الحائل)، يدلّ على صاحب الواقعة، وهو أولى بالنسبة للحدّ الحامل للوظيفة الدلالية (المستقبل)، وهو يدلّ على مستقبل الواقعة، وأما الحدّ الحامل للوظيفة الدلالية (المتقبل) يدلّ على متقبل الواقعة، والحدّ الحامل للوظيفة الدلالية (الحدث) يدلّ إما على تأكيد الواقعة أو هيئة الواقعة أو تحديد عدد مرات الواقعة... ومثاله:

¹ ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية (الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، ص24.

أ- قول الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾¹

فقوله (تكليماً): مصدر للتوكيد، أُسند إلى الفعل كَلَّمَ، فالتكليم تعلق لصفة الكلام بالمخاطب على جعل الكلام صفة مستقلة، أو تعلق العلم بإيصال المعلوم إلى المخاطب، أو تعلق الإرادة بإبلاغ المراد إلى المخاطب².

والتوكيد بالمصدر يرجع إلى توكيد النسبة وتحقيقها، مثل: قد وإن، ومعنى أنه يؤكد، أي يُحقق حصول الفعل المؤكّد على ما هو عليه من المعنى قبل التوكيد.



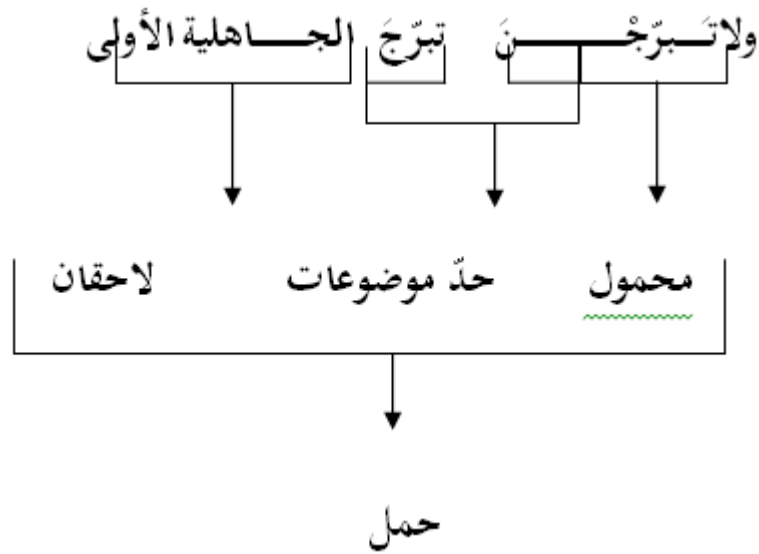
ب- وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾³.

فانتصب المصدر (تَبَرُّج) على المفعول المطلق، الموضح لحدود الواقعة، فنجد فيها حدّ موضوعات وحدّ لواحق نمثلها بالرسم الآتي:

¹ سورة النساء، الآية 164.

² محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 6، ص 38.

³ سورة الأحزاب، الآية 33.



في هذه الآية يدلّ المحمول الفعل ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ على واقعة معيّنة، وهي التبرّج، ويعني إظهار المرأة محاسن ذاتها وثيابها وحليّتها بمرأى الرجال. ولكنه جاء على صيغة النهي من جهة الاستعلاء لله تبارك وتعالى، فهو خطاب موجّه إلى ذات متقبّلة و (هنّ) نساء النبي - صلى الله عليه وسلّم - أو غيرهن من نساء المسلمين، فهو حدّ موضّح بالوصف والهيئة، و (تَبَرَّجْ الْجَاهِلِيَّة) أُريد به التنفير من التبرّج، وجاء مصدراً مضافاً لـ (الأولى) فيكون مبيّناً لنوع فعله.

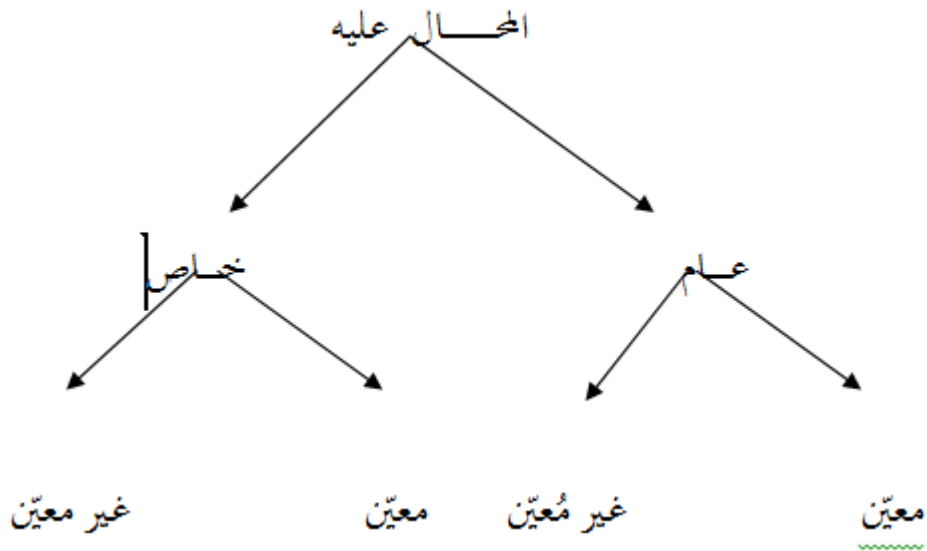
- وقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾¹. فالحدّ الحامل للوظيفة الدلالية في هذه الآية (الحدث) يدلّ على تحديد عدد مرات الواقعة. والمحمول (وَحُمِلَتِ) بنيّ للمجهول؛ لأنّ الغرض متعلّق ببيان المفعول لا الفاعل، والحدّ المنقذ للحدث إما ملائكة أو ما أودعه الله من أسباب تلك الأفعال، والكل بإذن الله وقدرته².

والمصدر المنصوب (دَكَّةً) منعوت بـ (واحدةً)، وهي بهذا العدد تظهر عظمة الخالق، وتقرب المعنى إلى الأفهام لزيادة الموعظة، كما ذكر ذلك في آيات أخرى.

¹ سورة الحاقة، الآية 14.

² محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 29، ص 125.

فالحدود وظيفتها الإحالة على ذوات في العالم المعني بالأمر، ويكون المحال عليه إما عاماً أو خاصاً، إما مجموعة من الذوات أو ذاتاً واحدة. ويكون في كلتا الحالتين، إما مُعَيَّنًا أو غير مُعَيَّنٍ. والرسم الآتي يوضح ذلك¹.



اعتماداً على هذا المخطط نقدم أمثلة توضيحية للأنماط الأربعة من الذوات المحال عليها:

أ-1 قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾²، المحال عليه (أسرى) عام غير مُعَيَّن.

أ-2 قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ﴾³، المحال عليه (الفواحش) عام مُعَيَّن.

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، منشورات عكاظ، الرباط-المغرب، (د.ط) 1993م، ص33.

² سورة الأنفال، الآية 67.

³ سورة الأعراف، الآية 33.

ب-1- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَمِيدٌ﴾¹، المحال عليه (طيبات) خاص غير معيّن.

ب-2- قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾²، المحال عليه هو (الذين) يدعون من دون الله) خاص معيّن.

فهذه الأسماء المحددة والتي هي محال عليها، أضفينا عليها صفات معينة (عام معيّن وعام غير معيّن/ خاص معيّن وخاص غير معيّن)، وهي بهذا التقسيم إذا قارناها بخصائص الأسماء في اللغة العربية لاحظنا أنّ تحقق الإفادة يتوجب البحث في مجموع الكفاءات التي تستوجب توفرها في هذه الأسماء المحال عليها كتضافر المقتضى المعجمي مع المقتضى الصّرفي وغيرها من العوامل كموقع الكلمة وسوابق ولواحق واردة خلال السياق كالحال أو الصفات مثلا. وأما الفاصل بينها وبين عناصر أخرى تحمل الوصف نفسه، فيعود إلى المدلول المعجمي الخاص الدافع على عملية الوضع

$$\left\{ \begin{array}{l} + \text{مباحا} \\ + \text{قليلا} \\ + \text{كثيرا} \end{array} \right\} * \text{مالا} \left\{ \begin{array}{l} + \text{مالا} \\ + \text{طعاما} \\ + \text{غنيمة} \end{array} \right\} * \text{طيبات} \left\{ \begin{array}{l} + \text{كلمة} \\ + \text{معنى} \\ - \text{زمان} \end{array} \right\} * \text{الاسم}$$

فالملاحظ من هذا التقسيم أن مدلول الثاني ليس مدلول الأول، بل هو مدلول آخر يتجاوب مع السمات الدلالية للأول، فلفظ (طيبات) تتشارك مع كلمات أخرى كالمال والطعام والغنيمة.. الخ، فيُشْتَبه على متلقي الخطاب التعرّف على المحال عليه، لذا لا يمكن فهم معنى اللفظ

¹ سورة البقرة، الآية 267.

² سورة الأنعام، الآية 108.

بمعزل عن سياقه الإسنادي في الآية، أو سياقه العام في آي القرآن الكريم، فيتهدي من غاب عليه الفهم الصحيح إلى ربط اللفظ بمعنى وارد في سورة أخرى، فقد فُتِل: إن القرآن يُفسّر بعضه بعضاً. ولنلاحظ هذه الأمثلة عن الآيات الواردة بها لفظ (طيبات).

- قال الله تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلَوىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾¹

- وقال تعالى: ﴿فِظْلِمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبَصَدَّهُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾²

- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾³

- وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُم قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَفَكَمُ النَّاسُ فَءَاوَدَكُم بِأَيْدِكُمْ بِصُرُوهٖ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَدَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁴

- وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁵

هذه الآيات تحتوي كلها على لفظ (طيبات) ممّا يمنح المفسّر أو القارئ للقرآن الكريم أن يتعرّف على معانيها اللغوية وضوابطها الشرعية، وفق محمولات مختلفة يُصنّف من خلالها نوع المكون المقصود بالتحليل، ثم يحيل عليه الوظيفة التي يأخذها داخل الحمل أو خارجه، بغرض إبراز دلالاته المعنوية وارتباطه الشديد بسياقه والوظائف الأخرى التي تحاقله.

وفي النص القرآني من الممكن ألا يظهر المعنى من خلال سياق الآيات، فيحتاج القارئ إلى العودة إلى مرجع آخر، ألا وهو "سبب النزول" لزيادة معلومة إضافية، والوصول إلى الدلالة الحقيقية، كما

¹ سورة البقرة، الآية 57.

² سورة النساء، الآية 160.

³ سورة المائدة، الآية 87.

⁴ سورة الأنفال، الآية 26.

⁵ سورة الأنفال، الآية 69.

يتبين ذلك من معرفة سبب نزول الآية السابقة. فقد ذكر البخاري في سبب نزولها: أن الأنصار إذا كان أيام جذاذ¹، والنخل أخرجت من حيطانها أقناء² البُسر، فعَلَّقُوهُ بين الأسطوانتين في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم فيأكل فقراء المهاجرين منه، فيعمد الرجل منهم إلى الحشف فيدخله مع أقناء البُسر³، يظن أن ذلك جائز، فأنزل الله تعالى فيمن فعل ذلك ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا⁴ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾⁴

نستنتج من هذا، أن الفعل الإحالي يرتبط بنجاحه بالمقام، ويتجلى هذا في كون الفعل الإحالي ينجح تارةً بتقديم معلومات متعددة، وتارةً دون إضافة أية معلومة؛ فالفعل الإحالي (طيبات) يختلف الدلالة، ولكنه في الآية أكثر تحديداً مدلوله فهو مما كَسَبْنَا بأيدينا ومما أخرج الله تعالى لنا من الأرض.

2-2- بنية الحد:

خاطب القراءان الكريم أهل العربية بكلام فصيح بيّن، واضح المبني مفهوم المعنى، محكم التركيب والبيان. لكل حدٍّ من حدوده اللغوية وظائف تواصلية، جاءت لمنع أو الإقرار أو التوجيه... الخ. لذلك عند تحديد دلالة نصٍّ فيه يُستفاد من كلِّ مُخَصَّصٍ يُضاف إلى الحدِّ، أو يتم بيان مقيّد أو مجموعة من المقيّدات، حسب النمط من التمثيل للحدود المعتمد في النحو الوظيفي، والذي تتكون بنية حدوده من العناصر الآتية:

أ- مخصص الحدّ أو مجموعة من المخصصات.

ب- مقيّد أو سلسلة من المقيّدات.

كما يتبين من البنية العامة للحدّ⁵:

¹ جذاذ النخل: قطع ثمره وجناه.

² الأقناء، جمع قنو، وهو العرجون بما فيه من البُسر.

³ بُسر: ثمر النخل قبل أن يربط.

⁴ اسماعيل بن كثير، صحيح البخاري، تح: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، ط1 2000م، ج2، ص467.

⁵ أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية، ص35.

ب (ω س ي φ، (س ي): φ، (س ي): φ... ن (س ي)).

حيث ω = مخصص حد (أو مجموعة من المخصصات).

حيث φ = مقيد باعتباره محمولا.

حيث س ي = المجموعة التي يحيل عليها الحد ككل.

للتمثيل لذلك، نأخذ الحدود التالية: (أمة) و (مُلة إبراهيم) و (صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ). المذكورة في الآيات التالية:

1- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹

2- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾²

3- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾³

التمثيلات الدلالية لهذه الحدود، هي على التوالي:

أ- (ن 1 م س ث) س ي: أمة (س ي)).

ب- (ع 1 م س ث) س ي: مُلة إبراهيم م س (س ي)).

ج- (ع 1 + ع 1 + ع 1 + ع 1 م س) س ي: صلاة، نسك، حياة، موت (س ي): لله م ح (س ي).

حيث أن: ن = نكرة، ع = معرفة، و = مؤنث، و 1 = مفرد، و م س = مركب إسمي، و م ح = مخصص الحدود.

ف (أمة) نكرة وصف بها إبراهيم —عليه السلام— بأنه «كان أمة وحده في الدين ؛ لأنه لم يكن في وقت بعثته موحد لله غيره. فهو الذي أحيا الله به التوحيد، وبثه في الأمم والأقطار، وبني له معلماً عظيماً، وهو الكعبة، ودعا الناس إلى حجّه لإشاعة ذكره...»⁴، وهي بهذه الدلالة

¹ سورة النحل، الآية 120.

² سورة الأنعام، الآية 161.

³ سورة الأنعام، الآية 162.

⁴ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 14، ص 316.

الجامعة تحتاج إلى زيادة تفصيل وبيان، لذلك نجدها في الآيات المدنية من سورة الأنعام حين خاطب القرآن أهل الإيمان مبيناً لهم دلالة (الأمّة) في خطاب مرتبط متماسك دلالياً، فقال: ﴿قُلْ

إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹

فقد دعاهم أولاً إلى اتباع هذا الدين القيم والصراط المستقيم الذي دعا إليه إبراهيم من قبل،

فزاد عن الدلالة الأولى (ملة) مجموعة من المخصصات منها:

- الاسناد الاسمي: ﴿إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

* إلى صراط: جار ومجرور على أنه مفعول به ثانٍ.

* ديناً: نُصب على البدل من محل (إلى صراط).

* قِيَمًا: صفة منصوبة.

وكّلها أوصاف لهذا الدين العظيم، الذي هو على صراط واحد مع ملة إبراهيم حنيفاً، لذلك

نجد في تركيب الآية (ملة) بدل من (دين)، والاستئناف الواقع بعدها ينزل منزلة التفرع عن الأول

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فهو تضمن معنى إخلاص العبادة لله

رب العالمين، وهو متفرّع عن التوحيد.²

- صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي = مقيد باعتباره محمولاً.

- لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ = المجموعة التي يحيل عليها الحد ككل (س ي).

حيث تظهر مجموعة من المقيدات كأثلة للعبادة التي تُصرف لله تبارك وتعالى وحده دون

سواه، وبواسطة الحصر هذا يجعل المخاطب يتعرّف بطريقة تدريجية على الذات، بمعنى أنه يتعرّف

على الأمة التي تأخذ معنى الملة في الآية الثانية، والتي بدورها تقتضي الإخلاص لله تبارك وتعالى

¹ سورة الأنعام، الآية 161.

² ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص200.

في كل شيء، وهو ما جاء تفصيله في الآية الثالثة لتغيّر الحال والأمة ف افْتُشِح هذا المقيد بحرف التوكيد للاهتمام بالخبر وتحقيقه¹.

3- مخصصات الحدود وأنواعها:

أشرنا من قبل إلى أن العبارة اللغوية تعكس إلى حدّ بعيد وظيفتها التواصلية، في بنية الحدود «يُعَدَّ مَخْصَصاً لِلْحَدِّ كُلِّ عَنصر يقوم بدور تعديد أو تسوير أو تعيين ما يُحِيل عليه الحدّ»² وتقوم بهذه الأدوار³ الثلاثة في اللغة العربية، المخصصات الآتية: المعدّات والأسوار وأداتا التعريف والتنكير والمشيريات.

- قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمَتْلُ حَظُّ الْأُنثَيَيْنِ إِن كَانَ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾⁴

أ- ﴿إِنْ كَانَ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾

ب- ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾

ج- ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾

د- ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾

أ- المعدّات:

وهي بنى منطقية تُشير إلى مفردات قائمة الذات كالأسماء الأعداد (ثلاثة) و (أربعة) و (خمسة) أو (مفرد) و (مثنى) و (جمع).. الخ ولواصق تلتحق بالإسم المعدّد كلاصقة المثنى ولاصقة

¹ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص201.

² أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية، ص36.

³ الأدوار: نقصد بها الوظائف التواصلية.

⁴ سورة النساء، الآية 11.

جمع المذكر السالم وجمع التكسير، تتكفل قواعد التعبير (قواعد صياغة المركبات) بالحاق اللاصقة الدالة والمناسبة للحصول على حدود مساعدة على تحقيق إسناد وظيفي، ولنحصل على حدود محققة تركيبياً، كما هو الحال في الآية الآتية التي انتقل بناؤها من التمثيل الحملي المجرد إلى التمثيل التركيبي المحقق.

فالبنية المكونية المحققة للحدود ([لذكر، الأنثيين]: [نساء، ثلثا]، [واحدة، النصف]، [أبويه، واحد، الثلث، السدس]، [أبواه، أمه، الثلث] .

كانت بنى مجردة على النحو الآتي:

المجموعة (أ)

أ- 1 [1 ن (ذكر) اسم = 1 ع 1 ال س 1 (ذكر) م س (س ي)]

أ- 2 [2 ن (أنثى) = 2 ع 2 ال س 2 (أنثى) (م ح)]

حيث أن (ع 1 ع 2) تُشير إلى (مفرد، مثنى)، و (س 1 س 2) تُشير إلى موضوعات المحمول الأساسية.

فقد أدمجت صرفة التعريف في هذه الجملة (أ) ال + ذكر، ال + أنثى، فأصبحت: الذكر والأنثى، وأضيفت صرفة المثنى (الياء والنون) للمؤنث فأصبحت (الأنثيين).

والحدّ هذا المخصص بمجموعة من المعدّات واللواحق يؤدي دلالة خاصة، وهي أنّ للأنثى نصف حظّ الذكر، أو حظّ أنثى نصف حظّ ذكر بالاسم المعدّد (أنثى) ومخصّص التعريف (ال)، متمثّل في لاصقة لحقت اللفظ الأصلي ((لذكر مثل حظ الأنثيين)).

لكن ذكر على هذا الشكل (إسناد إسمي) مقدّم فيه الخبر على المبتدأ للتنبيه من أول الأمر على الذّكر، صار له شريك في الإرث وهو الأنثى، لأنه لم يكن لهم به عهد من قبل¹. فيكون بذلك قاعدة أو عنواناً لما بعدها يُفسرها.

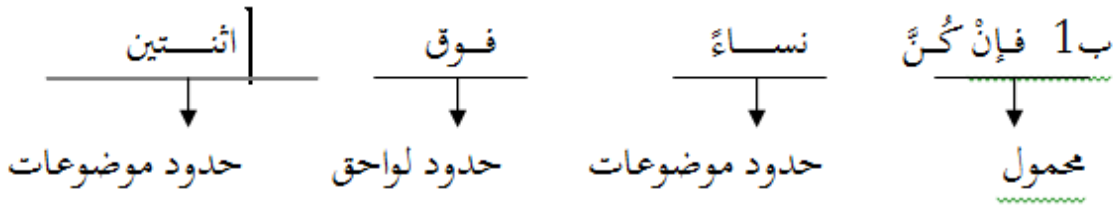
¹ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 4، ص 25.

ب- الأسوار:

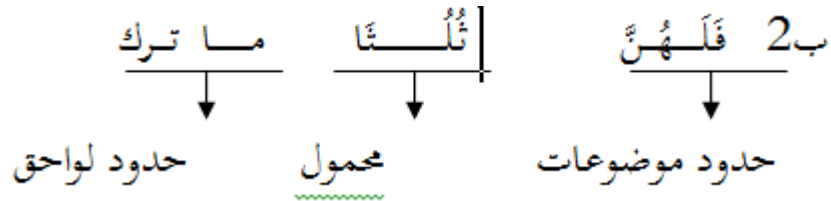
وهي نوع من المخصّصات التي تتحقق في شكل المفردات التي من قبيل (كلّ) و (جميع) و (بعض)، وتسمى: أسوار كلية، وأسوار بعضية.

المجموعة (ب)

[ك.ن (فعل غ.ت) ف] (ن س3:نساء) م س ث=م س (مك فوق) ن
[اثنين.اسم)+لاصق م] م س خ (س ي)
ولتدرّج في بيان هذا التمثيل كآتي:



فقد قام العنصر المعدّد (ظرف+ث+لاصقة المثني) ببيان وضع المحمول في الاحتمال (ب) من الآية الكريمة، وهو وضع يدل على جمع نساء (جمع معنوي)، وعليه يكون المحمول:



في هذه الحال تتكفّل قواعد صياغة المركبات بإلحاق لاصقة المثني (ألف التشية) على المحمول (ثلاث) يؤدي دور مخصّص الحدّ (نساء)، وهذا هو الدور المنوط بالمعدّات عموماً. فأصبح للنساء ثلاث زائد ثلاث وهنّ مجتمعات، ممّا يُفيد على أهنّ شريكات في الإرث وليس مجرد إرضاء.

ج- صرفة التعريف:

وهي الأداة المدرّج على اعتبارها أداة تعريف (في اللغة العربية)، وهي الألف واللام، وما يُقابلها من التنوين، اللذان يتعاقبان على نفس الاسم، ولا يصحّ الجمع بينهما في الاسم الواحد¹. ومنه أمكننا القول بأنّ التعيين بأداة التعريف وعكسه (التنكير) يُعبّر عنهما في اللغة العربية بواسطة

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية، ص37.

الألف واللام والتنوين، وبالتالي أصبح لدينا مخصصان هما: مخصص التعريف، ومخصص التنكير. ولزيادة التوضيح ندرج الأمثلة الآتية:

المجموعة (ج)

[ك.ن (فعل . غ تا) ن س 1 (واحدة) م س ث (س ي) = ع 1 م ح (النصف) لها (1 س ي)]
فأصبحت البنت بعد ذلك تأخذ النصف بعد أن أضيف لها مخصص العدد، وهو اسم عدد (واحدة)، ومُحَقَّقة في مركب (إن كانت البنت واحدة)، وأدبجت صرفة التعريف (ال) إلى (نصف) فكانت بذلك لفظ (النصف)، وهو مبتدأ مؤخر لبيان حقها المكفول لها. ولفظ (لها) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والجملة في محل جزم جواب الشرط.

د- الإشارة:

وهي إحالة على ذات (أو واقعة أو فكرة...) معيّنة لها وجود، إما في المقام التخاطبي أو في السياق¹. ويمثل لمفهوم الإشارة في النحو الوظيفي باعتباره أحد مخصصات الحدّ يتمّ تحقيقه في شكل مشير عن طريق قواعد التعبير، تحكمه قيود توارد المخصصات في الحدّ الواحد. فمخصص الإشارة يتوارد ومخصص التعريف، ويمتنع توارده ومخصص التنكير. وفيما يلي أمثلة للمقارنة:

ج1: قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾²

ج2: وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ فَتٍّ فِي قَرَارٍ فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا لَئِن كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾³

فالآية الأولى يُمثّل لها ب: (ن 1 ذ شا س ي: بيان (س ي))

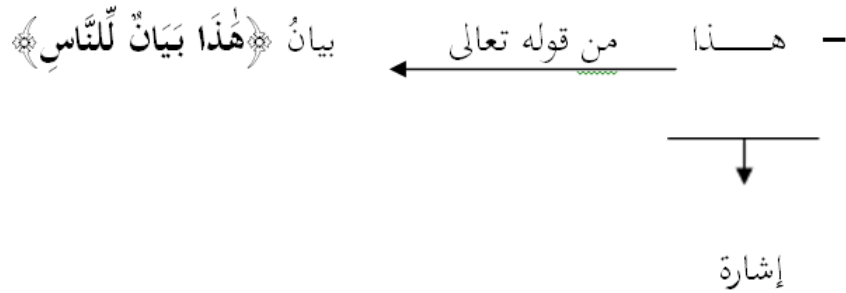
والآية الثانية يُمثّل لها ب: (ع 1 ذ شا س ي: القرآن (س ي))

¹ المرجع نفسه، ص 37.

² سورة آل عمران، الآية 138.

³ سورة الأنعام، الآية 7.

رغم الاختلاف الحاصل بين لفظ (بيان) و (القرآن) في التعريف والتذكير إلا أنّ الجملتين حافظتا على سلامتهما النحوية. ويصدق هذا القول على الأسوار الكلية حيث «لا يسوغ توارد سور كلي ومُخصّص تنكير إذا كان عددي جمعي»¹.
مثال ذلك قولنا²:



فلا يمكن أن يُعدّ قولنا (هذا بيان) جملة نحوية تامة إلا إذا أولت على أساس أن المشير (هذا)، يُشكل حداً قائم الذات في حملٍ كاملٍ محموله الاسم (بيان). وفي هذا يقترح "أحمد المتوكل" صوغ القيدتين الآتيتين:

- (ن .. شا س ي: α (س ي))

- (ن ... ∇ ... ج س ي: α (س ي))

حيث أن س ي المجموعة التي يُحِيل عليها الحدّ (هذا)، وهو قائم في حملٍ محموله الاسم (بيان) يُفسّره ما بعده أو ما قبله باعتباره مقيّد الحمل. قال صاحب التحرير والتنوير: «وهذا إشارة إلى ما تقدّم بتأويل المذكور، وإما إلى حاضر في الذّهن عند تلاوة الآية، وهو القرآن»³، لذلك يحتاج

¹ أحمد التوكل، الوظيفة والبنية، ص38.

² سورة البقرة، الآية 281.

³ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مج2، ص97.

المرتل إلى استحضار الآيات السابقة لاسم الإشارة، وهي، قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾¹

4- أنماط الحدود

انطلاقاً مما سبق يُمكن اعتبار أن البنية الداخلية للحدود يُحددها النص الذي ترد فيه؛ لأنّ بنية النص لا تختلف عن الحدّ. فالنص في الأصل سلسلة من الحدود المرصوفة بعضها جانب بعض، وحمول تشكّل وحدة تواصلية تربط بينها قوانين الاتساق والانسجام .
وتقوم حدود الحمول داخل البنية الحملية بوظائف غير محدودة، مثل: المنقذ والمتقبل والمستقبل والمكان والاتجاه. ثم يتمّ تحديد أو رصد هذه الوظائف داخل بنيتها الحملية بوصف طبيعتها البسيطة والمعقدة. ومنه يأتي تقسيم المتوكل للحدود بالنظر إلى عدد حمولها بسيطة ومعقدة.

1-4: الحدود البسيطة:

وهي الحدود التي تقوم على اسم جامد (غير مشتق)، يكون منفرداً أو مصحوباً بمقيّدات أخرى (حدوده ومخصّصات محموله وحمله)، ويتضمّن محولاً (فعلياً أو غير فعليّ). كما هو الحال في الجمل الفعلية والاسمية والرابطة، والتي تتضمّن حدوداً بسيطة.

1-4- (أ): **الجمل الفعلية:** وهي الجمل التي وقع في صدرها فعل، وتتضمّن علاقة إسناد واحدة (حملاً واحداً)، سواء اشتملت على متعلّقات بعنصري الإسناد الاثنين: المسند أو المسند إليه أو بأحدهما، أو لم تشمل². وقد تناولها "أحمد المتوكل" من حيث بنيتها التحتية والمكونية والمبادئ والقواعد التي تحكم الربط بينهما. ونمثّل لها بالجمل الآتية:

أ- قال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾³

¹ سورة آل عمران، الآية 133.

² ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، الجيزة-مصر، ط 1 1997م، ص 105.

³ سورة المطففين، الآية 24.

- ب- وقال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۝ خِتَمُهُ مَسْكٌ ۚ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ۝﴾¹
- ج- وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾²

فالحمْلُ في هذه الجمل أساسياً وثابتاً إلى جانب المكونات الخارجية، التي تضاف إلى الحمل على يمينه أو يساره، كما هو الحال في لفظ (خِتَامُهُ، السَّارِقُ)، ويتكوّن كل حمل من محمول وعدد معيّن من الحدود. فيعبّر المحمول عن واقعة، وتعبّر الحدود عن الذوات التي تُساهم في الواقعة من حيث تحقيقها والظروف المحيطة بها.

ويُمثّل للفعل (يُسْقَوْنَ) مبني للمجهول في الإطار الحملي:

- يُسْقَوْنَ: فعل، مبني للمجهول، حيّ، منقّذ، (متقبّل). يُمثّل له بالرموز الآتية:

ف (س:1:حيّ (س:1)) منف (س:2: سائل (س:2)) متق (س:3) ز م.

بمعنى فاعل هذا الفعل كائن حيّ يقوم بوظيفة المنقّذ، ولا بدّ له من سائل يقوم بوظيفة المتقبّل، وعليه فإنّ الآية وجّهت لأهل الإيمان من أجل حثهم على زيادة الفعل الخيري وعدم الإتكال على الرجاء، أي: أن يُجسّد الفعل في أرض الواقع، ثم الجزاء من جنس العمل. لذلك ذكر "بن كثير" في تفسيره لهذه الآية الحديث النبوي الذي يحثّ عن هذا الفعل. ذكر الإمام "أحمد" في مسنده عن "أبي سعيد الخدري" قال: قال -صلى الله عليه وسلم- : (أَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا شَرْبَةً عَلَى ظَمًا، سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ)³.

الإسناد الفعلي في الآية السابقة يدلّ بشكل واضح على أهمية فعل الخير وقضاء حوائج المسلمين، وبيان مدى أثره العميق على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

¹ سورة المطففين، الآية 26/25.

² سورة المائدة، الآية 38.

³ أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، المسند (مسند أبي سعيد الخدري)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1 2008م، ج 5، حديث 11399، ص 37.

كما تدلّ الحدود الفعلية على التجدد والحدوث [يُسقى (من سقى مؤمناً...) من رحيق مختوم]، فالسقى في الدنيا وقعت وانتهت، وكُتب لصاحبها في صحيفته الخير، ثم تتجدد له بعد ذلك عند مَنْ لا يظلم مثقال ذرة .

4-1- (ب): الجمل الاسمية:

في نحو الجملة العربية تقوم بين طرفي الجملة (المبتدأ والخبر) علاقة، نسميها في النحو الوظيفي علاقة ارتباط، تكون بين المبتدأ وخبره المفرد، سواء أكان الخبر اسماً مشتقاً، أم اسماً جامداً. نحو قوله تعالى في سورة الرحمان:

أ- قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُجْسَبَانِ﴾¹

ب- وقال تعالى: ﴿كِتَبٌ مَّرْقُومٌ﴾²

يظهر التقابل³ بين الآيات الكونية، بين نوعين مختلفين في الجرّم والحجم والطبيعة، فهي مقابلة بين نظيرين، بين الشمس والقمر.

يلاحظ أن الجملتين اسميتان؛ لأنّ محمولهما اسم، يتكون في المثال الأول من مركب حرفي جار ومحور (بحسبان)، ومن موضوعين (الشمس والقمر)، يحملان على التوالي وظيفة المتموضع. ويتكون في المثال الثاني من مركب اسمي (مرقوم)، ومن موضوع واحد (كتاب)، يؤدي الوظيفة الدلالية (الصفة).

¹ سورة الرحمان، الآية 5.

² سورة المطففين، الآية 9.

³ والعلاقات التقابلية: هي ما تربط بين طرفين أو موقفين أو حدثين متقابلين، وتتميز هذه العلاقة في الإنجليزية باستخدام تعبيرات رابطة (Conjunctive expressions)، مثل لكن (But)، ومع أن (However)، ومع ذلك (Nevertheless)، وعلى النقيض (On the contrary) وتتجلى علاقة التقابل في « فن المقابلة، ففيها يؤتى بمعينين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلها أو بتقابلها على الترتيب». ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1998م، ص: 145-151. ويتحقق الربط في النص بواسطة التقابل من خلال توقع القارئ للفظلة المقابلة، فيفاجئه أسلوب القرآن بالإبحار داخل النص، من خلال سلاسل مترابطة من الوحدات التي تخلق الاتساق في النص، وهذا غير محدود بأزواج الألفاظ في جمل متاخمة، ولكنه يحدث في سلاسل مترابطة طويلة قد تقع داخل حدود الجملة، أو خارج حدودها في جمل أخرى.

والشَّمْسُ كتلة ملتهبة بحرارتها ونشاطها تؤثر في غيرها، والقَمَرُ صخرٌ جامدٌ ببرودته وهدوءه متأثرٌ بها، وعليه فإنّ هذا التقابل يوحى بعلاقة بين المؤثّر والمتأثّر، والآية الكريمة في تعداد فضائل الله تعالى بدأت بالأكبر حجماً ثم الأصغر، كما بدأت بالأصل في الإضاءة ثم المضاء، الذي يتأثر بضوئها فيعكسه على غيره. والذي يجمع هذين المتضادين أنهما ﴿بِحُسْبَانٍ﴾، أي: «لحساب الناس مواقع سيرهما»¹، وهي كناية عن السير المنتظم الذي لا يختل.

وجُعِلَت الجملتان مفتحتان بالمسند إليه ليكون ما بعده من معنى معلق به، والمسند فعل مضارع للدلالة على تجلُّد السير والسجود، وتكرره على وجه لا ينقطع إلا بأمره سبحانه وتعالى مادام الامتنان قائماً والمخبر عنه موجوداً.

وعليه تبدو الآيتان متضامتان تربطهما علاقات دلالية بين مفرداتهما، وهي علاقة تعارض تشدُّ النَّسَقَ الجُملي لأداء غرض واحد، رغم أن هذه الوحدات توحى بالتنافر (بحسبان - مرقوم)، يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالسياق المقامي، الذي يحمل على سلوك طريق الحق.

ويُلاحَظ هنا أن الخبر وثيق الارتباط بالمبتدأ، ذلك أنه مجتمع به بواسطة مجموعة من القرائن اللفظية التي توفرها العربية لتكون معينة على إيضاح هذه العلاقة، كالعلامة الإعرابية والمطابقة والبنية الصرفية... الخ.

وترتبط الجملة في الحالة الثانية بعلاقة ارتباط: علاقة بين الاسم المشتق وفاعله الضمير المستتر، وعلاقة بين المبتدأ والخبر؛ وذلك لأن الخبر فيه دلالة على الحدث، وأما في حالة الخبر الجامد فلا ارتباط في الجملة إلا الارتباط بين المبتدأ والخبر. «ومن المميّزات العامة للغات السّامية، وجود الجملة الإسمية فيها، أي التي تقوم على مبتدأ وخبرٍ دون رابطةٍ لفظيةٍ بينهما، من فعلٍ مساعدٍ أو غيره، كما هي الحال في مجموعة اللغات الهندية الأوروبية»².

¹ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 27، ص: 234.

² حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم (تعريف بالقرايات اللغوية والحضارية عند العرب)، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط2 1990م، ص22.

4-2: الجمل المعقدة:

وفي مقابل الجمل البسيطة هناك جمل مركبة أو حدود معقدة كما يُسميها "المتوكل"، وهي الجمل التي تتضمن حملين فأكثر، ترتبط بينها ببعض الروابط البنيوية، أو تكون مستقلة¹. وهي أيضاً: الحدود التي تتوافر فيها إحدى الخاصيتين²:

أ- أن تُشكّل في ذاتها حملاً كاملاً.

ب- أن تتضمن حملاً قائم الذات.

وعني ذلك أنّ كل جملة كان أحد حدودها جملة، أو كان أحد حدودها يتضمن جملة، فهي من المنظور الوظيفي حدوداً معقدة. وبناءً على هذا التعريف تكون البنية العامة للجملة المركبة هي البنية التالية³:

- [ج [حمل1] [حمل2].. [حمل ن]].

ويمكن تقسيم الجمل المركبة بالنظر إلى طبيعة ترابط الحمول التي تتضمنها إلى قسمين: الحمول المستقلة والحمول المدججة.

4-2-1- الحمول المستقلة:

وهي التي تتضمن حمولاً لا تشكل حدوداً بالنسبة للحمل الرئيسي، أي: تتوارد فيه حمول الجملة المركبة مستقلة بعضها عن بعض⁴. ويمثّل هذا النوع من الجمل في النحو الوظيفي؛ الحمول الاعتراضية، والحمول المتعاطفة، المتضمنة لحمل مبتدأ، والمتضمنة لذيل.

4-2-1- (أ): الحمول الاعتراضية:

وهي الحمول الاعتراضية المتمثلة في الجمل المركبة، والتي ترتبط معنوياً مع باقي الجملة بروابط دلالية، ولا تظهر بينهما أيّ روابط بنيوية. مثل الجمل الموالية:

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط-المغرب، ط1 1988م، ص34.

² ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية، ص39.

³ ينظر: يحيى بعيطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، ص301.

⁴ ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص235.

أ- قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾¹

ب- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُنَجِّيكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْيَمِّ ۚ تَوَمُّونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾².

قال "السعدي" في تفسيره: «هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأجل مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم. وأتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل لبيب، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال: ﴿تَوَمُّونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾»³.

ج- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾⁴

د- وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾⁵

فجملته (ولن تفعلوا) معترضة بين الشرط وجوابه، فائدتها: بيان وتأكيد عجزهم عن الإتيان بمثل سورة من القرآن، وأن ذلك غير متاح لهم. قال "أبو حيان": «لما قال: (فإن لم تفعلوا)،

¹ سورة البقرة، الآية 111.

² سورة الصف، الآية 10-12.

³ عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1 2002م، ص860.

⁴ سورة محمد، الآية 2.

⁵ سورة البقرة، الآية 23-24.

وكان معناه نفي في المستقبل مخرجاً ذلك مخرج الممكن، أخبر أن ذلك لا يقع، وهو إخبار صدق، فكان في ذلك تأكيد أنهم لا يعارضونه، واقتزان الفعل بلن مميّز لجملة الاعتراض من جملة الحال»¹.

- وقال تعالى: ﴿مَا أَقَالَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَاءَ اتِّدْعُمُ الرِّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧﴾²

4- 2- 1- (ب): الحمول المتعاطفة:

ومن أمثلتها:

أ- قول الله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافٍ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣﴾³.

ب- وقوله تعالى: ﴿فَازِلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٤﴾⁴

فجملة (فأزلهما الشيطان...) لا محل لها استئنافية، وجملة (فأخرجهما) لا محل لها معطوفة على الاستئنافية، وجملة (كانا فيه) لا محل لها صلة الموصول (ما)، وجملة (وقلنا...) لا محل لها معطوفة على الاستئنافية، وجملة (اهبطوا...) لا محل لها مقول القول.

فالحمول المتعاطفة هي حمول مركبة تحتوي على حملين متعاطفين أو أكثر، يعمل العاطف فيها على ترابط التابع بمتبوعه، وذلك من ترابط العناصر غير الاسنادية في الجملة، «وهي غالباً ما تدور في فلك أحد عنصري الإسناد، ولا بدّ - لذلك - أن تترابط مع ما تدور في فلكه، وتكون

¹ محمد بن يوسف أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تح: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 1993م، ج1، ص249.

² سورة الحشر، الآية7.

³ سورة البقرة، الآية20.

⁴ سورة البقرة، الآية36.

علاقاتها بالجملة الأخرى من خلال علاقاتها النحوية بما ترتبط به؛ إذ إنّ العنصر غير الإسنادي قيد لما يُرتبط به»¹.

وتأتي أهمية العطف في الكفاءة إلى جانب التنصيص على وظيفة العطف الدلالية والنصية، وهي ربط الجمل بعضها ببعض، واشتراطه لتحقيق عملية العطف وجود جهة جامعة وحكم مشترك بين المعطوف والمعطوف عليه، والتناسب بينهما، وقد اعتمد النحاة على فكرة التناسب الذي يقوم على المعنى بين المتعاطفين في تفسير ظاهرة العطف، فليس العطف مجرد جمع بالواو بين عنصرين (مفردتين أو جملتين)، إنما هو نتيجة عن أمر آخر هو بالأساس أمر معنوي، يقوم على (جمع المجتمع) دون أن يبلغ ذلك درجة الاستواء²، والإخلال بهذا الشرط يفضي إلى فساد الكلام. ولذلك يقول عبد القاهر الجرجاني مؤكداً على ضرورة هذا الشرط: «ثم إن الذي يوجه النظر والتأمل أن يقال في ذلك: إنا وإن كنا إذا قلنا: زيد قائم وعمرو قاعد، فإننا لا نرى ههنا حكماً نزعاً أن (الواو) جاءت للجمع بين الجملتين فيه، فإننا نرى أمراً آخر نحصل معه على معنى الجمع، وذلك أننا لا نقول: "زيد قائم وعمرو قاعد"، حتى يكون عمرو بسبب من زيد، وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني. يذلل ذلك أنك إذا جئت فعطفت على الأول شيئاً ليس منه بسبب، ولا هو مما يُذكر بذكره ويتصل حديثه بحديثه لم يستقم. فلو قلت: خرجت اليوم من داري، ثم قلت: (وأحسن الذي يقول بيت كذا)، قلت: ما يضحك منه. ومن هنا عابوا "أبا تمام" في قوله:

لا والذي هو عالم أن النوى *** صَبَرُ وَأَنَّ أبا الحسين كريمُ

¹ محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، دار القلم، الكويت، ط 1 1982م، ص 178.

² ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، (د.ط) 2001م، ج 1، ص 484.

وذلك أنه لا مناسبة بين كرم "أبي الحسين" ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر، وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك»¹.

إنّ هذا النص يؤكد على ضرورة شرط التناسب والمعادلة بين المعطوف والمعطوف عليه حتى تتحقق عملية العطف، وهو شرط دلالي بالدرجة الأولى، يتمّ من خلاله بناء كفاءة الاسناد عن طريق فكرة توسيع بنية الحدّ بإضافة طبقة تأطيرية تنتقل بالجملة من المستوى التمثيلي إلى المستوى العلاقي ومنه إلى الطبقة الإنجازية. كذلك القول في قضية الحمول الاعتراضية. يقول "أحمد المتوكل" في هذا الموضوع: «اقترحنا توسيع بنية الحدّ من المستوى التمثيلي إلى المستوى العلاقي بإضافة طبقة رابعة تضطلع برصد السمات الوجهية، إما عن طريق مخصّص حدّ وجهي (إذا كانت هذه السمات تتحقق) أو بواسطة لاحق حدّ وجهي (في حال تحققها معجمياً).. ومنه إلى إمكانية الذهاب بتوسيع التماثل البنيوي بين الجملة والحدّ، إلى أبعد من ذلك بافتراض طبقة خامسة تكون الطبقة الإنجازية إذا صحّ أنّ يأخذ قوة إنجازية يتفرد بها»².

4-2-2- الحمول المدمجة:

تعدّ حمول مدمجة كلّ حمل يُشكّل بالنظر إلى الحمل الرئيسي حدّاً (موضوعاً ولاحقاً) أو جزءاً من الحدّ³. حيث تتوارد فيه حمول الجملة المركبة مدمجة بعضها في بعض، بحيث تتضمن حملين أو أكثر، بينها تداخل تركيبي⁴. قد تشكّل عنصراً من عناصر أحد حدود المحمول الرئيسي، حدوداً موضوعات وحدوداً لواحق⁵. ويشمل الأنماط الآتية:

¹ عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة-مصر، (د.ط) 1984م، ص224-225.

² أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط-المغرب، (د.ط) 1995م، ص215-216.

³ ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتدادات)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط-المغرب، ط1 2006م، ص103.

⁴ ينظر: يحيى بعبطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص323.

⁵ ينظر: أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، ص67.

4-2-2-1- الحمول الحدود:

يُعدّ حملاً حدّاً كلّ حمل يُشكّل بنفسه حدّاً من حدود المحمول الرئيسي¹. ويمكن رصد كفاءته الاسنادية من خلال تتبع الصياغة الأساسية للجملة، كأن تكون جواباً لتساؤل مثلاً، وهو ما يجعلنا أمام موضوعات ولواحق.

4-2-2-1- (أ) الحمول الموضوعات:

وهي الحمول التي تشكّل حدّاً موضوعاً مدمجاً في محمول رئيسي، بحيث يصبح حمل الجملة المركبة مشتملاً -على الأقل- على محمولين²:

- أحدهما: مدمج (بكسر الميم)، وهو المحمول الرئيسي.

- الآخر: مدمج (بفتح الميم)، وهو أحد الموضوعات الرئيسية.

وتأخذ الحمول الموضوعات هذه الوظائف التي تُستند إلى الحدود الأسماء، حيث يمكن أن يردّ الحمل الحدّ حاملاً للوظيفة الدلالية (القوة) أو (المنفذ) أو (المتقبل) أو (المستقبل)³. كما تمثله النماذج الآتية:

- قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾⁴

- وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾⁵

- وقال تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁶

¹ ينظر: يحيى بعبطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، ص 302.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 303.

³ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 239.

⁴ سورة الأحزاب، الآية 20.

⁵ سورة البقرة، الآية 165.

⁶ سورة آل عمران، الآية 171.

- وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾¹

4-2-1- (ب) الحمل اللواحق:

وهي الحمل التي تشكّل حدًّا لاحقاً مدججاً في محمول رئيسي، بحيث يصبح حمل الجملة المركبة مشتملاً -على الأقل- على محمولين²:

- أحدهما: مدمج (بكسر الميم)، وهو المحمول الرئيسي.

- الآخر: مدمج (بفتح الميم)، وهو محمول حد أحد اللواحق الرئيسية. كما تُمثله الجملة الموالية:

أ- قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾³

ب- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطْرَتْ مَطَرًا سَوًّا أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلًا كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾⁴

4-2-2- الحمل أجزاء الحدود:

الحمول الأجزاء هي كلّ حملٍ يحتاج إلى غيره ليشكّل حدًّا من حدود المحمول الرئيسي، ويتضافر مع عناصر الحدّ الأساسية (مخصّص) و (رأس) و (فضلة) ليشكّل حمولاً حدوداً، وهو بذلك يُعدّ نواة تتشكل البنية المركبة منه، حيث يُشكّل مخصّص الحدّ -بصفة عامة- أداة التعريف أو اسم الإشارة أو السور...، ويُشكّل رأس الحدّ اسم أو صفة، وأما الفضلة فيمكن أن تكون مضافاً إليه أو صفة أو جملة موصولة...⁵، كما تُبينه الأمثلة الآتية:

¹ سورة آل عمران، الآية 182.

² ينظر: يحيى بعبطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 303.

³ سورة آل عمران، الآية 24.

⁴ سورة الفرقان، الآية 40.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص 303.

أ- قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِّقًا تَقْتُلُونَ﴾¹

ب- وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾²

ج- وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾³ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾³

فالآيتان: (الأولى) تتضمن حداً مركباً تركيب إضافة، و (الثانية) تتضمن حداً مركباً تركيب صفة، والآية (الثالثة) تتضمن حداً مركباً تركيباً موصولياً، والذي يُعدُّ مثلاً للحمول الموصولية. والحمول الموصولية ثلاثة أنماط:

جمل موصولية حرّة، وجمل موصولية تقييدية، وجمل موصولية غير تقييدية. والأمثلة الآتية توضح ذلك:

المجموعة الأولى:

أ- قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمِلَ حَقَّهُ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾⁴

ب- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁵

¹ سورة البقرة، الآية 87.

² سورة البقرة، الآية 256.

³ سورة المجادلة، الآية 1.

⁴ سورة البقرة، الآية 282.

⁵ سورة النور، الآية 11.

ج- وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ^ط
كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ^ط
وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٥﴾¹

د- وقال تعالى: ﴿يَبْقَىٰ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُونَ أَمْ عَمِيَ الَّذِي نِعَمْتَ عَلَيْهِمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥٦﴾
وَأَمْنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ^ط وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٥٧﴾²
هـ- وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ^ط قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾³

و- وقال تعالى: وقال رجلان من الذين أنعم الله عليهما

تشكل كل هذه الجمل الموصولة جملاً حرّة لا رأس لها، لأنها تشكل حدّاً من حدود الحمل المدحجة فيه، وتشكل أيضاً كل واحدة منها وظيفة نحوية إسنادية:

- حدّ الفاعل في الآية (أ- ب).
- حدّ المفعول في الآية (ج- د).
- حدّ المستقبل في الآية (هـ).
- الجملة الموصولة الرابطة في الآية (أ).
- الجملة الاسمية في الآية (ب).
- الحمل الفعلية في الآية (ج- د- هـ).

¹ سورة البقرة، الآية 25.

² سورة البقرة، الآية 40-41.

³ سورة البقرة، الآية 30.

- المجموعة الثانية:

أ- قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾¹.

ب- وقال تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾².

ج- وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾³.

د- وقال تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِنْ شِئَ لَكَ أَنْ تَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِلَيَّ فَارْهَبُون﴾⁴.

هـ- وقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾⁵.

و- وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾⁶.

ز- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْوَاغَى الْقَرْيَةَ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرُ السَّوءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾⁷.

¹ سورة النساء، الآية 27.

² سورة النساء، الآية 16.

³ سورة النساء، الآية 24.

⁴ سورة البقرة، الآية 40.

⁵ سورة النساء، الآية 5.

⁶ سورة آل عمران، الآية 24.

⁷ سورة الفرقان، الآية 40.

وتُشكل هذه المجموعة (أ-ز) جملاً موصولة مقيّدة داخل حدّ من حدود الجملة التي تتضمنها، فقد قيّدت رأس المركب (الذين) و (ربائبكم) الفاعل الآية (أ) و (ج)، ورأس المركب (للذان) المبتدأ في الآية (ب)، ورأس المركب (نعمتي) المفعول به في الآية (د)، ورأس المركب (أموالكم) المستفيد في الآية (هـ)، ورأس المركب (دينهم) و (القرية) كحدين لاحقين في الآية (و- ز). ولنأخذ الآية (د) كمثال للإسناد الموصولي المرتبط بوظيفة المتقبّل، وهو أحد عناصر الحد الأساسية المشاركة في الواقعة (أعمال)، ونقصد بها هنا لفظ (نعمتي)، فقد وصفت بالجملة التي تحوي الاسم الموصول ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، قال "محمد الطاهر بن عاشور": «وصف أشير به إلى وجوب شكر النعم لما يؤذن الموصول وصلته من التعليل»¹، أي من أجل أن تدوم تلك النعم عليهم أوجب ذكرها.

فالإسناد هنا يُظهر كفاءته من خلال الدلالة الحاصلة بين الاسم وموصوفه (نعمتي- التي أنعمت عليكم)، وبين الاسم الموصول وصلة الموصول، وقد جاء فعلها ماضٍ لتدلّ على أن الانعام قد حصل وتم، وعليهم أن يتّعظوا ويتذكروا من فضله سبحانه وتعالى، فربّ العالمين يريد منهم أن ينتبهوا إلى حالهم، وأن لا ينسوا هذه النعم العظيمة، وأن لا يُهمّلوها حتى لا يعمهم عذاب منه سبحانه².

والجملة الموصولية ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بعد المسند ﴿نَعَمْتِي﴾ علة للشكر ومختصة بهم، لم يُشاركهم بها أحد، وهي اختصاص تلك النعمة بهم، وأنهم مقصودون بها، أي: اذكروا نعمتي التي جعلتها خاصة لكم، لأنه أنعم عليهم نعماً كثيرة، وذكرهم بما اختصاصهم به منها دون ما شاركهم الغير فيه³.

¹ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص452.

² محمد بن محمد العمادي (أبو السعود)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (د. ط \ د.ت)، ج1، ص94.

³ ينظر: محمد بن محمد ابن عرفة، تفسير بن عرفة المالكي، تح: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس-تونس، ط1 1986م، ج1، ص274.

ولا يستفاد هذا المعنى الدلالي الا بوجود الاتلاف الدلالي الحاصل بين عناصر الاسناد في الآية. فعبارة ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، والمنادى المقصود بالفعل في قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾¹ تجمع بينهما علاقة ارتباط نحوية إسنادية يدل عليها الاسم الموصول.

المجموعة الثالثة:

أ- قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾² الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ³

ب- وقال تعالى: ﴿وَيَلْلُ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُمَزَةٍ﴾⁴ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَهُ⁵

ج- وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ هَذَا عَارِضٌ مُمِطٌّ نَابِلٌ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ

فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁶

وأما هذه المجموعة (أ- ج) تضم جملاً غير تقييدية، تمتاز باستقلالها بالنظر إلى الجمل التي تنتمي إليها، فهي جملة ذيلية كالجمل الواردة في الآية (أ)، وجملة بدلية كما في الآية (ب)، وجملة معترضة كما في الآية (ج).

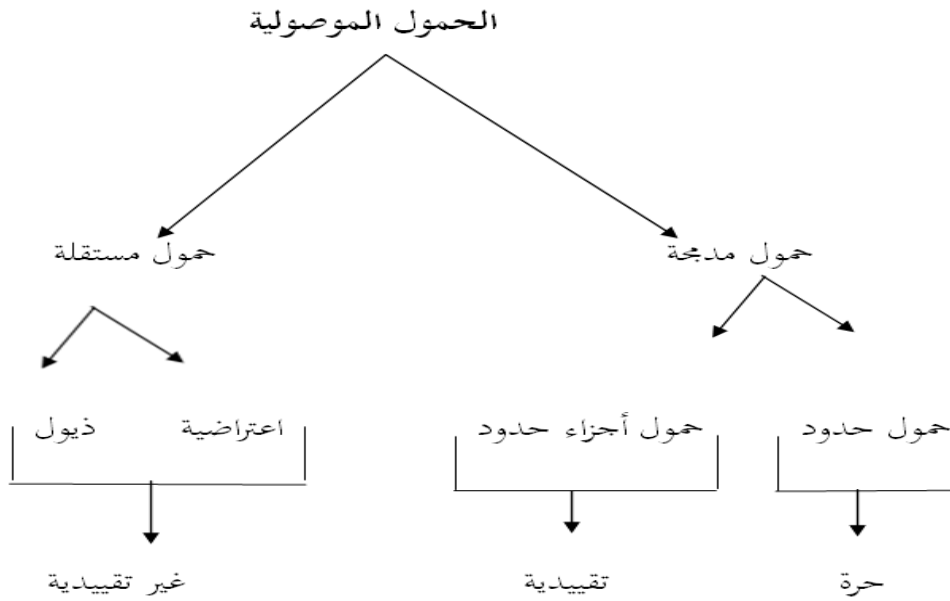
¹ سورة البقرة، الآية 40.

² سورة المؤمنون، الآية 1-2.

³ سورة الهمزة، الآية 1-2.

⁴ سورة الأحقاف، الآية 24.

ويمكن إجمال الحمول الموصولة في السلم الآتي¹:



وهذا النوع من الجمل شأنه شأن لغة العرب عموماً، تقوم بغرضٍ بياني مهم؛ وبالتالي هي ليست وسيلة لتحسين الكلام فحسب، بل إنها من مقتضيات النظم القرآني، تمنح الاسناد قوةً وسداداً، ولو أسقطت من سياقها لسقط معها جزء أصيل من المعنى، فهي بجانب كونها جزءاً من المعنى الأصلي، إلا أنها تحمل معانٍ فرعية، تلتحم جميعاً في تكوين معنى كلي.

¹ ينظر: يحيى بعبطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، ص326.

خلاصة الفصل:

وبهذه الأمثلة المقتضبة يمكن أن نستنتج:

- الوظائف الدلالية قد تتجاوز استثناء طبقات المستوى التمثيلي، لكن توزيعها الطبيعي لا يتعدى غالبا ذلك المستوى، حيث تواكب الوظائف الأساسية المنفذ وما يحاقله والمتقبل والمستفيد (طبقة الوصف أو المحمول، هو الوظائف الفرعية الأخرى، تتوزع على طبقتي التسوير(الحمل المركزي)، والتأطير) الحمل الموسع.
- تشكل البنية التحتية حملا تحدد فيه كل الخصائص الدلالية المؤشر لها في شكل خصائص وسمات و (جهية، زمنية ...) ووظائف دلالية، ويُنقل الحمل الى بنية وظيفية تامة التحديد عن طريق إسناد الوظائف الدلالية الأخرى كالمنفذ والمتقبل والمستقبل والأداة وغيرها.
- تتنوع المحولات بين الأصلية منها والتي تأتي على الأوزان الأربعة (فَعَلَ) و (فَعِلَ) و (فَعُلَ) و (فَعَّلَ)، والمشتقة منها التي تشتق من هذه الأوزان الأصلية.
- يكمن دور المحمول باعتباره دالا على واقعه مسندة إلى الحدود المساوقة له في بيان نوع هذه الواقعة (عمل، حدث، حالة، وضع).
- يتمثل دور الحدود المساوقة للمحمول الدال على الواقعة في تحديد الأدوار الدلالية للحدود المسندة إليها هذه الواقعة.
- تعتبر الحدود الموضوعات أكثر الحدود المركزية بالنسبة للواقعة، كونها تلعب الأدوار الدلالية التي تساهم في بناءها.
- يستعين النص في سبيل اتساقه وتماسك أجزائه بوسائل لغوية شتى، ومن هذه الوسائل التي يسلكها النص لتحقيق تماسكه ظاهرة الاعتراض والعطف..
- بنية العبارة اللغوية تعكس الى حد بعيد وظيفتها التواصلية، وذلك من خلال تكوين بنية الحدود في شكل سلسلة من المخصصات أو المقيدّات تقوم بدور الحصر التدريجي للمجموعة المحال عليها، بواسطة مجموعة من العلاقات كعلاقة التابع وعلاقة العطف وعلاقة الادمج.

- ومما تجدر الإشارة إليه في آخر هذا الفصل، أن الوظائف الدلالية من السمات التي تتحدد بدءاً في الإطار الحملي ذاته داخل المعجم؛ إذا كانت المفردة مفردة أصلية أو مشتقة، ويُتخذ ذلك مادة أولية لصياغة البنية التحتية للعبارة اللغوية. ثم يُنقل الحمل إلى بنية وظيفية تامة التحديد عن طريق إسناد وظيفتي الفاعل والمفعول، وهما وظيفتان تركيبيتان نتبع أثرهما في المبحث الثاني.

الفصل الثاني

الوظائف التركيبية للارتباطات الإسنادية

– تمهيد

أولاً– التعريف بالوظائف التركيبية

ثانياً– خصائص الوظيفتين: الفاعل والمفعول

ثالثاً– إسناد الوظيفتين: الفاعل والمفعول في السور المدنية

– خلاصة الفصل

تمهيد:

يدخل هذا المبحث ضمن ما يسمى بالنظام النحوي عند النحاة العرب، والذي يُبنى على الأسس الآتية¹:

- 1- طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الجمل أو الأساليب.
 - 2- مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية أو المفعولية أو الإضافة.
 - 3- مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة، حتى تكون صالحة عند تركيبها، لبيان المراد منها كعلاقة الإسناد.
 - 4- ما يُقدمه علم الصوتيات وعلم الصرف، لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية كالحركات والحروف ومباني التقسيم ومباني التصريف.
 - 5- القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق، وبين بقية أفرادها.
- ولقد تأكد للنحاة العرب أنه من الصعب الفصل بين الصرف والنحو، ذلك أن «النحو لا يتخذ لمعانيه مباني من أي نوع، إلا ما يُقدمه له الصرف من المباني»² عبر وسائل مختلفة مثل الإشتقاق والإلصاق والزيادة والتصريف والنبر، ومنه يكتسب النظام النحوي أولى عمليات التركيب العلائقي تأثراً بما ينتجه الصرف والصوت من تغيرات، وتأثيراً جذرياً أو هامشياً في نوعية التركيب.
- وما علاقة الإسناد إلا واحدة من بين تلك العمليات التركيبية التي يتم بها تحديد المعنى، كونها القرينة الأصل، التي تركز عليها التراكيب النحوية المختلفة؛ إذ يمكن الكشف عن الوظائف التي تؤديها لتحقيق الكفاءة الوظيفية أثناء عملية التواصل، بإبراز العلاقة الرابطة بين طرفي الإسناد، وهي العلاقة بين المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل أو نائبه، والوصف المعتمد بفاعله أو نائب فاعله أو بعض الخوالف بضمائها. ولكن قد تكون غير كافية، فلجأ إلى مباني التقسيم أو إلى مباني

¹ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص178.

² المرجع نفسه، ص178.

التصريف أو العلامة الإعرابية أو الرتبة أو المطابقة أو غير ذلك مما يعتبر قرائن لفظية¹. وذلك مما يسمى بظاهرة تضافر القرائن، وهي ظاهرة هامة جدا في إيضاح المعنى .

واللافت للانتباه، أنّ الاتجاه الوظيفي إنما يقوم على توحي المعاني النحوية، ذلك أن الاكتفاء بالقول في لفظ (ذلك) مثلا من قوله تعالى: ﴿الَّذِي كَتَبَ لِرَبِّهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾²، أنه اسم إشارة، لا يفصح عن الوظيفة النحوية التي يؤديها على الوجه الموضوع له. يؤيد ذلك قول "ابن هشام": «وأما قول كثير من المعربين مضاف أو موصول أو اسم إشارة فليس بشيء.. فالاقتصار في الكلام عليها على هذا القدر لا يعلم به موقعها من الإعراب»³، لذلك لم يهمل أهل اللغة والتفسير التحليل الوظيفي للمسند إليه والمسند، في مثل هذه الآية حين أعربوا ﴿الَّذِي كَتَبَ﴾ اسم إشارة للبعيد، يدلّ على رفعة شأن القرآن الكريم، بعد أن اعتبروا ﴿الَّذِي﴾ آية منفصلة عن الثانية. قال صاحب "التحرير والتنوير": «فلا جرم أن كانت الإشارة في الآية باستعمال اسم الإشارة للبعيد لإظهار رفعة شأن هذا القرآن لجعله بعيد المنزلة، وقد شاع في الكلام البليغ تمثيل الأمر الشريف بالشيء المرفوع في عزة المنال»⁴.

والملاحظ أن النحاة كانوا يلمحون قرينة الإسناد بين طرفي الجملة الاسمية والفعلية والوصفية، كما كانوا يلمحونه أيضا بين المعاني النحوية في داخل الجملة الواحدة، وهذا هو الأساس الذي به يتم الإعراب، إذ نجد لقرينة الإسناد اعتبارا في عملية الإعراب طبقا لما تسمح به نمطية اللغة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾⁵ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ⁶ حين نعرب "ما" مفعولا به للفعل "أنفقتم"، وهي متقدمة عليه، واقعة في أول الكلام، وبالنظر في دلالتها من الخطاب العام نجدها تأخذ الدور نفسه؛ إذ تكون «تذييلا للكلام السابق للأمر بالإنفاق وصفاته المقبولة، والتحذير من المثبطات عنه»⁶. لأنها واقعة مما ألزم الله عباده من الإنفاق

¹ ينظر: تمام حسان، المرجع السابق، ص 192.

² سورة البقرة، الآية 1-2.

³ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 874.

⁴ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 220.

⁵ سورة البقرة، الآية 270.

⁶ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 3، ص 65.

والصدقة في قوله السابق: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَمِيدٌ﴾¹.

والخلاصة هنا، أن مراعاة الأمر والمأمورية هي الاعتبار الذي تم إعراب المفعول طبقاً له، بعد إدراك ما بينه وبين مسنده من علاقة، وهو اعتبار من قبيل قرينة الإسناد. التي يبحث النحو الوظيفي في قواعدها لإثرائها وهي القواعد التي تتكفل بنقل الحدود باعتبارها بنيات منطقية دلالية إلى مركبات باعتبار هذه البنيات بنيات تركيبية صرفية.

- فماهي القواعد اللازمة لعمليات النقل التركيبي ؟ وماهي طريقة صياغتها؟
- وكيف يتم انتاج الكفاءة الاسنادية عن طريق إسناد الوظيفتين التركيبيتين (الفاعل) و (المفعول) داخل العبارة اللغوية ؟

أولاً: تعريف الوظائف التركيبية

- يتم اشتقاق الجملة -حسب النحو الوظيفي- عبر بناء ثلاث بنيات رئيسية مرتبة كالآتي:-
- بنية حملية - بنية وظيفية - بنية مكوّنية.
- حيث، إن البنية المكوّنية هي البنية التركيبية- الصرفية الأخيرة، التي تُشكل المستوى الأخير في الاشتقاق العاكس للخصائص الدلالية والتداولية، والممثلة في البنية الحملية والوظيفية². هذه العملية تتم عبر قواعد التعبير التي تضطلع بنقل الحدّ باعتباره البنية الدلالية- تداولية إلى مركب.
- أي إلى بنية صرفية تركيبية³. ويتم هذا النقل اعتماداً على المسطرة العامة المعتمدة في إطار النحو الوظيفي، والتي تضم خمس مجموعات من القواعد⁴:
- قواعد الصيغة المركبة.
 - قواعد صياغة المحمول.

¹ سورة البقرة، الآية 267.

² ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، ص11.

³ أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط-المغرب، (د.ط) 1995م، ص123.

⁴ ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، ص52.

- قواعد إدماج المعلقات (وأدوات أخرى)

- قواعد الموقعة.

- قواعد إسناد النبر والتنغيم.

وتعمل هذه القواعد على مستوى الحدود، ولقد بينا سابقاً أنّ الحدّ بنية منطقية دلالية تتضمن مخصّصاً (أو مخصّصات) وسلسلة من المقيّدات، التي تقوم بدور تقييد مجموعة من الذوات التي يُحِيل عليها الحدّ، وأن هذه البنية تحمل وظيفة دلالية تحدّد دور المحال عليه في الواقعة الدال عليها المحمول، ووظيفة تركيبية ووظيفة تداولية إذا اقتضى الحال، وأن هذه الوظائف يمكن أن تُسند داخل البنية إلى أحد المقيّدات¹. ولكي يُصبح الحدّ مركّباً يجب أن تتمّ العمليات الآتية²:

- أن يُنتقى من بين المقيّدات المتواجدة في الحدّ المقيّد، الذي يُشكّل رأساً للمركب، في حين تأخذ المقيّدات الأخرى وضع الفضلة.

- أن تتحقق مخصّصات الحدّ في شكل محدّدات، أي في شكل أدوات تعريف وأسماء إشارة وأسوار وغير ذلك.

- أن يتحقق العاطف الجردّ في شكل أداة عطف، حين يتعلق الأمر بالحدود المتضمنة لعطف.

- أن يتمّ ترتيب عناصر المركب (أي المحدّدات والفضلات) بالنظر إلى الرأس، وترتيب الفضلات فيما بينها حين تتعدّد.

- أن يتمّ إسناد حالات إعرابية إلى عناصر المركب (رأسه وفضلاته)، وإلى المركب باعتباره كلاً³.

ويتضح من هذه المراحل، أن عملية التخاطب تنطلق من ثلاثة أنساق من القواعد، هي: - قواعد الأساس و- قواعد الوظائف و- قواعد التعبير.

فالأساس هو عبارة عن خزان للمفردات، يمدّ باقي قواعد النحو بمصدر الاشتقاق، وهو مدخل معجمي (أصل أو مشتق) ممثّل له في شكل إطار محمولي، يرصد توزيع محلات محمول

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، ص52.

² المرجع نفسه، ص52.

³ هذه العمليات التي يجب مراعاتها في دراسة التراكيب وظيفياً.

المفردة الأساس، وخصائصها الدلالية، وينقل هذا الإطار المحمولى إلى بنية حملية تامة التحديد، عبر إجراءات التوسيع بإضافة الحدود اللواحق، ومخصّصات السمات الجهمية والزمنية للمحمول¹.

كما يُوضح ذلك الرسم التفصيلي الآتي للجهاز الواصف للجملة²:



رسم تخطيطي للجهاز الواصف للجملة في النحو الوظيفي للغة العربية

بعد إدماج الحدود في محلاتها طبقاً للخطوات السابقة، تُنقل البنية الناتجة عن هذا الإدماج (البنية الحملية) إلى بنية وظيفية، عن طريق إسناد الوظيفتين التركيبيتين (الفاعل والمفعول)، ثم الوظائف التداولية (المحور وبؤرة الجديد وبؤرة المقابلة) في البنية الحملية، ليُحصّل على ناتج البنية الوظيفية³.

¹ ينظر: يحيى بعبطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، ص 142.

² أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص 07.

³ ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونة (الوظيفة المفعول للنحو العربي)، ص 142.

وبهذا، نحن بصدد التعرّف - في هذا المطلب - علىوظيفتين التركيبيتين (الفاعل والمفعول) وطبيعتهما.

وحسب نظرية النحو الوظيفي، فإن الوظيفتان التركيبيتان (أو الوجهيتان) الفاعل والمفعول، هما: الحدّان الوجهيّان اللذان يشكّلان حدوداً خارجية عن مجال الوجهة، داخل حدود الحمل¹. ويُشكّل الأول (الوظيفة الفاعل) منظور الوجهة الرئيسي، ويُشكّل الثاني (الوظيفة المفعول) منظور الوجهة الثانوي².

وموضوع الوجهة الوظيفية يرجع تاريخها إلى العلماء اللغويين الألمان وعلى رأسهم "ويل" (H, weil) خلال القرن الماضي، حين درسوا الجملة من منظور نفسي، خاصة مفهوم الفاعل النفسي، ثم واصل اللغوي التشيكوسلوفاكي "ماتزيوس" هذا النوع من الدراسات، حين اقترح تقسيماً جديداً للجملة، يعتمد على معيار ربط الجملة بالسياق أو الموقف الكلامي³، كأحد المفاهيم المتحكممة في ترتيب مكونات الجملة، لتحديد الوجهة الأولى أو الثانوية للتركيب، «ولا يكون ذلك إلا بالتمييز بين العنصر الأساسي (وما يرتبط به من كلمات)، الذي يكون قبل كل شيء نقطة ابتداء الكلام، أو أساس الكلام الذي يكون معلوماً، أو على الأقل بادياً للعيان وينطلق منه المتكلم، وبين نواة الكلام؛ أي ما يحدث به المتكلم عن نقطة الابتداء أو بخصوصها»⁴ فينطلق من ذكر الموضوع أولاً، وذكر المحمول بعده، وهو المنظور أو الوجهة الوظيفية الموضوعية للجملة⁵. قال الله تعالى:

- ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁶

ويمكن توضيح البنية العامة للحمل هذا بواسطة الرسم الآتي:

موضوع (1) ... موضوع (ن) + محمول + لاحق (1) ... لاحق (ن)

¹ وحدود الحمل، لها حدود أخرى تدخل في مجال الوجهة المنطلق في تقديم الواقعة الدال عليها المحمول.

² ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية (الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، ص 16.

³ ينظر: يحيى بعبطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، ص 50.

⁴ جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط 1980م، ص 7.

⁵ المرجع نفسه، ص 117.

⁶ سورة المائدة، الآية 38.

ومنه الجملة تؤول حملياً إلى البنية:

السَّارِقُ + السَّارِقَةُ + اقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا + جَزَاءً (بِمَا كَسَبَا) + نَكَالًا (مِّنَ اللَّهِ)

موضوع (1) + موضوع (ن) + محمول + لاحق (1) ... لاحق (ن)

وبناءً عليه، يكون الترتيب العادي للكلمات في هذه الجملة الخبرية، ينطلق من ذكر الموضوعات المشاركة في الواقعة أولاً؛ وهما ذواتان منفذتان (السارق) (السارقة) على التوالي، «وبدأ بالرجل لأنَّ السرقة من الجراءة، وهي في الرجال أكثر»¹، ثم ورد ذكر المحمول الفعل ﴿اقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ ثانياً، ويدل على واقعة معينة - بعد مشاركة الذوات في الحدث المشين - وهي الجزاء من جنس العمل، أي: قطع اليد، وقطعها «لأنها آلة السرقة»²، على سبيل جواب الشرط لدخول الفاء عليه.

لكن قد تبرز ضرورة ذاتية انفعالية للمتكلم، تجعله يعكس الترتيب فيبدأ بالمحمول، ثم يُضيف بعده الموضوع، وهذا من إرادة توكيد الخبر في اللغة العربية، كتقديم الخبر على المبتدأ، وبفضل انطباق أفكار الوجهة الوظيفية على اللغة العربية، تبنى "أحمد المتوكل" المقاربة التحليلية للجملة، وفق ثلاث مستويات، هي: المستوى الدلالي والمستوى النحوي والمستوى الوظيفي³. وبذلك تصبح المعادلة التحليلية كالآتي:

حدث	منفذ	متقبل	هدف
فعل	فاعل	مفعول	\
فاعل	فعل	مفعول	\
موضوع	محمول		

ويُفهم من هذه المعادلة أن ترتيب المكونات داخل الجملة، آيل إلى وظيفتي الموضوع والمحمول؛ أي أن الترتيب الطبيعي لمكونات الجملة طبقاً لمنظور الوجهة الوظيفية، هو الترتيب: (الموضوع ← المحمول)، حيث يتطابق مع المكونات الأساسية للجملة التي تقتضيها الوظائف التركيبية، وهي: (الفاعل ← المفعول)، والليذان يمكن صوغ تعريف لهما على هذا الأساس.

¹ عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تفسير النسفي (المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ط1 2009م، ج1، ص287.

² عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، المرجع نفسه، ج1، ص287.

³ ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص107.

1- تعريف الفاعل:

هو أحد العناصر الأساسية المكونة للأسس التي يُبنى عليها النظام النحوي، لا حكماً يُطلق خارج التركيب على المنقذ فحسب، بل «وظيفة واردة في اللغة العربية تلعب دوراً في الربط بين البنية الحملية والبنية المكونية»¹، ويمكن إسناده إلى الموضوع المتقبل والموضوع المستقبل، والحدود اللواحق كالحادث أو الحدّ الزمان أو الحدّ المكان، اعتماداً على المنظور الرئيسي للوجهة التي تُقدّم انطلاقاً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل²، وهو بهذا المعنى أعمّ من المفهوم الذي نعتقده عن الفاعل.

إلا أنّ إسناد هذه الوظيفة بذاك الشكل، إنما يخضع لسلمية دلالية تقوم على الوظائف الدلالية التي تحملها الموضوعات واللواحق، أي: وفق ترتيب معين، فالفاعل يُسند بالدرجة الأولى إلى الحدّ المنقذ (أو أحد الحدود المحافلة له)، ويُسند بالدرجة الثانية إلى الحدّ المتقبل إذا لم يكن في الحمل حدّ مستقبل، أما إذا وارد الحدّ المتقبل حدّ مستقبل، فإن هذا الحدّ هو الذي يأخذ الوظيفة الفاعل³، كما يمكن أن تُسند الفاعلية إلى الحدود اللواحق إذا لم يكن في الحمل متقبل، ويُتفنى ذلك إذا متقبل وارد في الحمل حسب الأولوية. ومن خلال المقارنة بين الأمثلة الآتية يمكن ملاحظة الكفاءة الوظيفية بين تلك الأولويات الإسنادية:

- قال الله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁴

تُسند الوظيفة الفاعل في هذا المثال إلى لفظ الجلالة (اللَّهُ)، وهو الموضوع (وظيفياً) سبق بذكر المحمول (يُعَذِّبُ) بعد لام التعليل، وقد جاء أولاً في الترتيب تعليلاً على ما سبق من عدم الوفاء بالأمانة التي تحملها الانسان وفَرَطَ فيها المنافقون والمشركون⁵، ومن منظور الوجهة الوظيفية فإن

¹ المرجع نفسه، ص 210.

² ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية (الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، ص 19.

³ ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 211.

⁴ سورة الأحزاب، الآية 73.

⁵ الحسين بن مسعود البغوي (أبو محمد)، معالم التنزيل (المسمى بتفسير البغوي)، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة السعودية، ط 1 (1409هـ-1989م)، ج 1، ص 382.

هذا المحمول إنما هو متعلق بالذات الإلاهية، فهو يعلم زمانه ومكانه وحاله. لذلك يلجأ المتلقي إلى البنيات الموقعية التي تترتب طبقاً لها المكونات داخل الجملة، من أجل أن يعي أنّ التفريط في الأمانة جزاؤه العذاب (وهو وارد بعده في الترتيب)، وذلك وفق قانون ترتيب المكونات داخل الجمل التعليلية في النحو الوظيفي¹:

- م4، م2، م1 م0 Ø ف (م2) فا (مف) (ص)، م3

ويحتلّ المكون المعلّل الموقع (فا)، بمقتضى وظيفته التركيبية (الفاعل)، لا يجوز أن يتقدّم هذا المكوّن على الفعل (في الجمل التعليلية)، شأنه في ذلك شأن أي مكون فاعل في جملة فعلية، إذ بتقدّمه على الفعل يصبح (مبتدأ) محتلاً للموقع الخارجي (م2) رابطاً إحصائياً لاصقة الفعلية باعتبارها ضميراً فاعلاً²، وعليه فإن هذا الترتيب للمكونات الذي جاءت به الآية يُراعي شكل الإطار الحملي، وفق قيود الانتقاء والوظائف الدلالية وموضوع الوجهة الوظيفية.

- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذْكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾³

تُسند الوظيفة الفاعل في هذا المثال إلى:

أ- نائب الفاعل (سُورَةٌ)، استناداً للمنظور الرئيسي للوجهة، وهو بموجب الوظيفة الدلالية الموضوع المتقبل، وهو الحدّ المسند إليه المحمول (أَنْزَلَتْ) وهو فعل لم يُسمّ فاعله، وبالرغم من أن الوظيفة الفاعل تُنسب إلى (سُورَةٌ)، إلا أنّ الغرض متعلّق ببيان المفعول (أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ)، وهو الفعل الناتج عن المحمول الأول ويدعو إليه.

ب- كما تُسند الوظيفة الفاعل في هذه الآية إلى قوله: (عَلَى قُلُوبِهِمْ) بعد المحمول، وهو جازّ وجرور في محلّ رفع نائب الفاعل، بالنسبة لمحموله الدال على (الحدث).

¹ ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص214.

² ينظر: المرجع نفسه، ص214.

³ سورة التوبة، الآية 86-87.

- قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُهَا أَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۖ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّبُرُءِ أَعْمَالِهِمْ ۖ﴾¹

تُسند الوظيفة الفاعل في هذا المثال إلى:

أ- الأرض (الأولى والثانية): وهي متقبل دلاليًا بالنسبة إلى المحمول الحدث (زُلْزِلَتْ \ أَخْرِجَتْ) لعدم وجود المستقبل، وقد أسندت إليها الوظيفة الفاعل ولم تُسند إلى الحدّ الحدث المذكور بعده (زُلْزَالَهَا \ أَثْقَالَهَا) لكون الوظيفة المتقبل أولى من الوظيفة الحدث في الترتيب.

ب- الإنسان: وهو المنقذ للواقعة العمل (قَالَ)؛ إذ هو الحدّ الرئيسي الذي يُشكّل المنظور الرئيسي للوجهة المنطلق منها المحمول (فعل القول) الناتج عن المحمولات الأولى.

- قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ أَلْمُوتُ ۖ بَلْ لَدَيْهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۖ﴾².

تُسند الوظيفة الفاعل في هذا المثال إلى:

- الجبال والأرض: وهي تدل على المكان، ومن خلاله أسندت الفاعلية إلى الحدود اللواحق (وهي المكان) طبقاً للمنظور الرئيسي للوجهة، وذلك لعدم وجود الحدود التي لها أسبقية الإسناد، فأذهبت الجبال عن وجه الأرض ونقلت عن أماكنها، والأرض شققت وقطعت أو شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً³.

والفاعل عند "أحمد المتوكل" يشمل الفاعل في النحو العربي ونائب الفاعل، والمبتدأ الذي خبره مفرد أو شبه جملة، ويتعلّق بفعله وفق ترتيب معين بحسب الوظيفة المنوطة به، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال جمع آراء النحاة العرب القدماء حول مفهوم الفاعل، وبغض النظر عن الخلافات الحاصل بينهم، فإنهم يتفقون على أنه لا يرد إلا بوجود فعل يقيده، أي أنّ الفاعل يحدّد

¹ سورة الزلزلة، الآية 1-6.

² سورة الرعد، الآية 31.

³ جلال الدين المحمّي وجمال الدين السيوطي، تفسير الجلالين الميسّر، تح: فخر الدين قباوة، دار نوبار للطباعة، القاهرة-مصر، ط 1 2003م، ج 1، ص 253.

بتقييده بالفعل. يقول "ابن هشام الأنصاري" في تعريف الفاعل: «اسم أو ما تأويله، أُسند إليه فعل أو ما في تأويله، مقدّم أصلي المحلّ والصيغة»¹.

يركز "ابن هشام" في هذا التعريف على أنّ الفاعل هو أساس تحديد أركان الجملة، من حيث أنه تعتريه علامة تميّزه عن الوظائف الأخرى. وأجاز الكوفيون تقديم الفاعل على الفعل، والشاهد بينهما الجز المنسوب إلى الزّباء وهو²:

ما للجمال مشيهاً وئيداً *** أجندلاً يحملن أم حديداً؟

والشاهد فيه هو: مشيهاً: فاعل مقدّم لـ "وئيداً" على مذهب الكوفيين، ومبتدأ على مذهب البصريين وخبره جملة فعلية محذوفة، "وئيداً" حال من فاعلها، والتقدير في نظر البصريين هو: "ما للجمال مشيهاً يبدو وئيداً".

2- تعريف المفعول:

المفعول هو: العنصر الثاني المكوّن للأسس التي يُبنى عليها النظام النحوي، وهو الوظيفة الثانية - إلى جانب الوظيفة الفاعل - التي من خلالها يتم الربط بين البنية الحملية (البنية الدلالية) والبنية المكونية، وطبيعة هذا الربط الذي يمكن وصفه في اللغة العربية عبر قاعدة اسناد الفاعل والمفعول هو ربط مباشر؛ لأنه ربط بين معنى الجمل ومبناها على أساس من التمييز بين البنيتين: بنية دلالية - منطقية وبين بنية تركيبية - صرفية، إذ يُحدّد إعراب وموقع المكون الذي تُسند إليه الوظيفة المفعول. ومن خصائص المكون "المفعول" أنه يحتل الموقع الموالي لموقع الفاعل في الجمل الفعلية، والموقع الموالي لموقع المحمول غير الفعلي في الجمل الاسمية والرابطية³. كما يأخذ المفعول الحالة الاعرابية النصب داخل الجملة الفعلية، وقد يأخذ الحالة الاعرابية غير النصب في الجمل غير الفعلية.

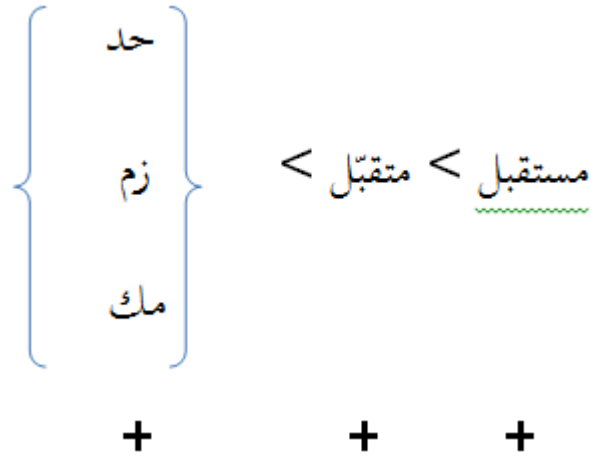
ويتمّ إسناد الوظيفة المفعول إلى الموضوع المتقبّل والموضوع المستقبل، والحدود اللواحق، كالحادث أو الحدّ الزمان أو الحدّ المكان، اعتماداً على المنظور الرئيسي للوجهة التي تُقدّم انطلاقاً

¹ ابن هشام الأنصاري، الأصول في النحو، تح: عبد المحسن الفتلي، مؤسسة دار الرسالة، ط 3 1417هـ \ 1996م، ج1، ص72.

² ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص52\53.

³ ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية (الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، ص28.

منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل¹، ويتم إسناد الوظيفة المفعول إلى هذه الحدود طبقاً للسلمية الآتية:



ومن أمثلة إسناد هذه الوظيفة إلى الموضوع المتقبل والموضوع المستقبل الآيات الآتية:

- قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾²

تُسند الوظيفة المفعول في هذا المثال إلى الموضوع "المتقبل" (أَعْمَالُهُمْ)، الذي يدلّ محموله على عمل.

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾³

وتُسند الوظيفة المفعول في هذا المثال إلى الموضوع "المستقبل" (آلَ إِبْرَاهِيمَ).

ومن أمثلة إسناد هذه الوظيفة إلى حدود لواحق الأمثلة الآتية:

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾⁴

في هذه الآية يدلّ المحمول الفعل ﴿وَقُولُوا﴾ على واقعة معيّنة، وهي (القول)، وتُسند الوظيفة المفعول إلى الحدّ الحدث (قَوْلًا).

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

² سورة البقرة، الآية 167.

³ سورة النساء، الآية 54.

⁴ سورة الأحزاب، الآية 70.

- وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾¹

وفي هذه الآية يدلّ المحمول الفعل ﴿وَاتَّقُوا﴾ على واقعة معيّنة، وهي (التقوى) بمعنى الخشية، وتسند الوظيفة المفعول إلى الحدّ اللاحق الزمان (يَوْمًا).

- وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾²

وفي هذه الآية يدلّ المحمول الفعل ﴿اسْكُنْ﴾ على واقعة معيّنة، وهي (السكن)، وتسند الوظيفة المفعول إلى الحدّ اللاحق المكان (الجنة).

نستنتج من خلال هذه الأمثلة، أنه يتمّ إسناد الوظيفة المفعول إلى الموضوع الأولى دلاليًا وهو (المستقبل)، في التراكيب المتضمنة لموضوع مستقبل ومتقبل معاً (التراكيب ذات المحمول الثلاثي)، وأما التراكيب التي لا تتضمن موضوعاً مستقبلاً (التراكيب ذات المحمول الثنائي) فتُسند فيه الوظيفة المفعول إلى الموضوع المتقبل، ولعلّ ما يُفسّر استقطاب الموضوع المستقبل للوظيفة المفعول دون الموضوع المتقبل أن المكونات الدالة على الكائنات العاقلة أولى بأن تدخل في حيز الوجهة من المكونات الدالة على الكائنات الحية غير العاقلة، وأن هذه المكونات أولى بأن تدخل في حيز الوجهة من المكونات الدالة على الكائنات غير الحية³.

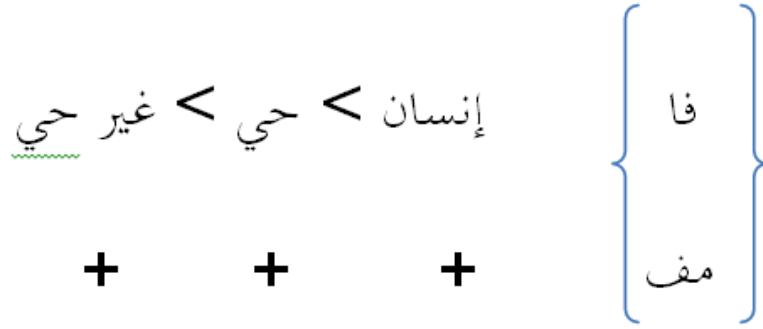
كما أن اسناد الوظيفة المفعول إلى الموضوع المتقبل أولى من إسنادها إلى الحدود اللواحق الحدث والزمان والمكان، وأن هذه الحدود لا تفاضل بينهما في أخذ هذه الوظيفة، ويصاغ إلى ذلك السّلمية الآتية⁴:

¹ سورة البقرة، الآية 281.

² سورة البقرة، الآية 35.

³ ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 216.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 216.



ثانياً: خصائص الوظيفتين، الفاعل والمفعول

تُقَدَّم الواقعة الدال عليها محمول الحمل حسب وجهة نظر معينة، حتى وإن تشابكتا في التعبير عن الواقعة، تمايزتا من حيث وجهة النظر المنطلق منها في تقديم الواقعة، مثل:

- أخذ الأستاذ القلم

- أُخِذَ القلم

ففي الجملة الأولى تُقَدَّم الواقعة من منظور (الأستاذ)، لكنها في الجملة الثانية تُقَدَّم من منظور (القلم)، وكما أسلفنا الذكر فإن هذه المنظورات تُسمى من المنظور الوظيفي (منظور رئيسي) و (منظور ثانوي)، وإذا كان الموضوع الرئيسي للوجهة يُسهم في تحديد الوظيفة الفاعل في العملية الاسنادية، فإن تحديد الفاعل هي الخطوة الأولى للربط بين البنية الحملية والبنية المكونية، فيُصبح للفاعل خاصيتان تُميّزه بالنسبة للحدّ المسند إليه، وهما¹:

- الخصائص الإعرابية

- الخصائص الرتبة

وبناءً عليه، فإن الفاعل يأخذ الحالة الإعرابية الرفع سواءً أتلّق الأمر بفاعل الجملة الفعلية أم تلّق الأمر بفاعل الجملة غير الفعلية (الجملة الاسمية) أو (الجملة الربطية)، وسواء تتطابق حالته الاعرابية المجردة (العميقة) مع حركته الخارجية أم لم تتطابق، وسواء أكان ضمن حمل كامل قائم الذات أم ضمن جملتين مدججتين². كما يتبيّن من الأمثلة الآتية:

¹ ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص212.

² ينظر: أحمد المتوكل، المرجع نفسه، ص213\214.

- قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝﴾¹.

ولفظ الجلالة الحد المنقذ، وتُسنَدُ إليه وظيفة الفاعل. فقد أدرك هذا القول، أي سمعه سماعاً، وأكد الله هذا الخبر بثلاثة مؤكدات، الأول: القسم المقدر، لأن اللام هنا واقعة في جواب القسم، والثاني: قد، والثالث: اللام في قوله: (لقد سمع)، وإنما أكده سبحانه وتعالى للمبالغة في تهديد هؤلاء².

- قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾³.

لفظ الجلالة المتصدر للجملة الاسمية، الحامل للعلامة الاعرابية التي تطابق الحالة الاسنادية للتركيب السابقة، أخبر عباده أنه وليُّ المؤمنين، وهو نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه⁴.

- قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾⁵.

ولفظة (الناس) في جملة يتصدرها الدامج تُسنَدُ إليها وظيفة الفاعل من منظور الوجهة الوظيفية، والحمول الدامج دليل على حالة خاصة بهم؛ لذلك وصفهم الله بأنهم: كانوا أمة واحدة. فقال بعض المفسرين: هم الذين كانوا بين آدم ونوح، وهم عشرة قرون، كلهم كانوا على شريعة من الحق، فاختلَفوا بعد ذلك، فبعث الله إليهم نوحاً - عليه السلام -⁶.

¹ سورة آل عمران، الآية 181.

² ينظر: محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط 3 1435هـ، مج 2، ص 494.

³ سورة البقرة، الآية 257.

⁴ ينظر: محمد بن جرير الطبري (أبو جعفر)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط 1 1415هـ\1994م، ج 2، ص 136\187.

⁵ سورة البقرة، الآية 213.

⁶ ينظر: جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مركز هجر للبحوث للدراسات العربية والاسلامية، القاهرة-مصر، ط 1 1424هـ\2003م، ج 2، ص 760.

- قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾¹

والفعل (كُتِبَ) ماضٍ لم يُسمى فاعله، (عَلَيْهِ) متعلقان بالفعل (كتب)، (أَنَّهُ) أَنَّ واسمها: في تأويل مصدر في محل رفع نائب فاعل للفعل (كتب)، ونائب الفاعل إليه تُسند الوظيفة الفاعل حتى مع عدم تطابق موقعه الاعرابي مع حالته الاعرابية المجردة (العميقة).

- قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۖ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾²

وتُسند الوظيفة الفاعل إلى (اللَّهُ) و (رَسُولُهُ) مع اختلاف في العلامة الاعرابية، واختلاف في الموقع، ومنظور الوجهة الوظيفية يُبقي العلامة الاعرابية نفسها، ويُعلّق المحمول (بَرِيءٌ) بالله ورسوله حتى مع وجود الدامج داخل الحمل. وتفصيله كما يلي: فيه حذف والتقدير (وأذن من الله ورسوله بأن الله بريء من المشركين)، وإنما حذفت الباء لدلالة الكلام عليها، وفي رفع رسوله وجوه: الأول أنه رفع بالابتداء وخبره مضمّر، والتقدير (أن الله بريء من المشركين ورسوله أيضاً بريء)، والثاني تقديره: (بريء الله ورسوله من المشركين)، والثالث: إن الله في محل الرفع بالابتداء وبرئ خبره، ورسوله عطف على المبتدأ³.

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝﴾⁴

لفظ الجلالة تُسند إليه وظيفة الفاعل مع حركة النصب، في جملة يتصدّرها الدامج، والغرض الذي سيقت له بهذه الصورة هو: توطين نفوس المؤمنين ببيان أنهم في حماية الله عز وجل، والإذن بقتال الكافرين، والبشارة بالنصر والتمكين⁵.

¹ سورة الحج، الآية 4/3.

² سورة التوبة، الآية 3.

³ ينظر: علاء الدين علي بن محمد البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1 1425هـ-2004م، ج 2، 336.

⁴ سورة الحج، الآية 38.

⁵ ينظر: عبد القادر شيبه الحمد، تفسير آيات الأحكام، مكتبة العبيكان، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط 1 1427هـ-2006م، ص 187.

وهذه القيم الاعرابية التي تعرفنا عليها، تُلصق عادة بالمركبات الإسمية، والسبب في ذلك «أنّ المعلومات الإعرابية المرتبطة بالاسم لا تصدر فقط عن القواعد المركبة وحدها، بل إن المعجم يُساهم في توافر هذه المعلومات»¹، فهذه الخاصية المحايثة للاسم تجعله يستجيب لتقبّل حالة إعرابية، باعتبار أنّ قابلية الإعراب جزء من صورته المعجمية.

وقياساً على هذه المكانة التي يضطلع بها الاسم، فإنّ الحرف الرابط -وكما رأينا في المثال الرابع- قد يدخل في مركّب اسمي أو حرفي تبعاً لعلاقاته التركيبية، ولكنه لا يتّخذ حالة إعرابية لوحده مجرداً عن مركّبه، ولا يمكن له إسناد حالة إعرابية.

ومنه نستنتج، أنه إذا كان المركّب الاسمي يتّخذ سمة الرفع أو النصب، وهذه السمة الاعرابية الظاهرة في آخر الاسم، تتغيّر بتغيّر العامل الداخل عليه، فإنّ الوظيفة الفاعل لا تتغيّر بتغيّر الصورة المعجمية للاسم المسندة إليه هذه الصفة، بل بفعل المنظور الرئيسي للوجهة المنطلق منها في تقديم الواقعة الدال عليها المحمول.

كما يأخذ الفاعل الخاصية الثانية، وهي (الرُتبة)، وتعني: الموقع الموالي لموقع الفعل في الجملة الفعلية، والموقع المتقدّم على موقع المحمول في كلّ من الجملة الاسمية والجملة الرباطية، طبقاً للبنيات الموقعية الثلاث الآتية²:

1- م4، م2، م1، م0 ف (م أ) (مف) (ص)، م3

2- م4، م2، م1، م0 فا Ø (مف) (ص)، م3

3- م4، م2، م1، م0 ط فا Ø (مف) (ص)، م3

- قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾³

- قال الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝

۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْءَدَةُ سُيِّتَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ

¹ عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، ج2، ص101.

² ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص214.

³ سورة البقرة، الآية37.

قُتِلَتْ ① وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ② وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ③ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ④ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑥¹

- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾²

وتُستند الوظيفة الفاعل في هذه الآية إلى الضمير الذي يعود على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فالضمير (أنتم) ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ، ويمثل العنصر المنفذ في الوظائف الدلالية، وباقي العناصر تابعة له:

- (الأعلون) خبر مرفوع وعلامة الرفع الواو.

- (كنتم) فعل ماضٍ ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط... و(ثم) ضمير اسم كان وهو الضمير المقصود بالوظيفة الفاعل. (مؤمنين) خبر كان منصوب وعلامة النصب الياء.

- ويحثهم على قتال عدوهم، وينهاهم عن العجز والوهن في طلب عدوهم في سبيل الله، فيوصيهم بأن يدفعوا عنها الحزن وأن يتصلبوا على قتال عدوكم³.

ولتمام الوصف التركيبي الاسنادي، يعدُّ النحو الوظيفي اللغة العربية من اللغات التي يستلزم وصفها استخدام قاعدة اسناد الوظيفة المفعول، وهي الخطوة الثانية للربط بين البنية الحملية والبنية المكونية إلى جانب الوظيفة الفاعل، فيُصبح للمفعول خصائص تُميّزه بالنسبة للحدّ المسند إليه الوظيفة الفاعل حسب نوع الاسناد، وهي⁴:

- تُسندُ الوظيفة المفعول إلى حدٍّ آخر غير الحدّ الحامل للوظيفة الدلالية "المتقبّل".

- توافر التراكيب التي يلي فيها الفعل والفاعل مركبان اسميان غير مسبوقين بحرف

"Prepositionless Noun Phrases".

- توافر البنيات التعليلية المسماة بـ (البنيات التعليلية) "Cousative structures".

¹ سورة التكوين، الآية 1-14.

² سورة آل عمران، الآية 139.

³ عبد الرحمان بن ناصر السّعدى، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المتّان، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، (د.ط) 1426هـ-2005م، ج4، ص136.

⁴ ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية (الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، ص63.

- توافر البنيات الناتجة عن ما يُسمى في الأنحاء التحويلية بـ (تصعيد الفاعل إلى المفعول)
"Subject- to- object Raising".

- تحديد الوظيفة المفعول لموقع المكون المسندة إليه وحالته الاعرابية.

وقد تم التفصيل في الخاصيتين الأولى والثانية في المطلب الأول، وأما ما يتعلق بالبنيات التعليلية في اللغة العربية، ليست متوافرة فحسب بل «هي بنيات ناتجة عن قاعدة ذات انتاجية كبرى؛ إذ تشتق عن طريق وسائل متعددة، كزيادة الهمزة في أول الفعل وتضعيف وسطه ..أو تلجأ اللغة حتى إلى استعمال الفعل (جعل) حين تستحيل التعدية عن طريق الوسيطتين الصرفيتين السابقتين»¹.
كما يتبين من الآيات الآتية:

- قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾²

وقوله: (وَأَحَلُّوا) عطف على (بَدَّلُوا) فعل وفاعل، و(قَوْمَهُمْ) مفعول به أول، و(دَارَ الْبَوَارِ) مفعول به ثان، وتُسند الوظيفة المفعول إلى المفعول به الأول (قَوْمَهُمْ) من منظور الوجهة الوظيفية الثانية.

- قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَذَكَرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾³

وقوله: (أَلَّا تُكَلِّمَ) المصدر المؤول من أن المصدرية والفعل خبر للمبتدأ والتقدير: آيتك عدم التكلم، و(النَّاسَ) مفعول به، (ثَلَاثَةَ) ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و(أَيَّامٍ) مضاف إليه، وتُسند الوظيفة المفعول إلى المفعول به الأول (النَّاسَ) من منظور الوجهة الوظيفية الثانية.

- قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوْلُ الْبَاطِلُ﴾⁴

¹ أحمد المتوكل، المرجع السابق، ص 63.

² سورة إبراهيم، الآية 28.

³ سورة آل عمران، الآية 41.

⁴ سورة النساء، الآية 90.

وقوله: (فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) ما: نافية، فعل ماض وفاعله، تعلق به الجار والمجرور (لَكُمْ) وهما المفعول الأول، وسببها المفعول به الثاني، و (عَلَيْهِمْ) متعلقان بمحذوف حال من سببها، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وتُسنَد الوظيفة المفعول إلى المفعول به الثاني (سَبِيلًا) من منظور الوجهة الوظيفية الثانوية، وهو المركب الحامل للوظيفة الدلالية (المتقبل).

هذه الخاصة، تطرح إشكالية تعدد المفعولات داخل الحمل الواحد (الجملة البسيطة) التي تتكون من المحمول وحدوده، موضوعات ولواحق، بالإضافة إلى اشتماله على فاعل، فيُسمى الأول "المفعول المباشر" ويسمى الثاني "المفعول غير المباشر"، وتُميّز اللغة العربية بين المفعولين كما يلي¹:

1- يشكّل مفعولاً مباشراً المركب الاسمي الحامل للوظيفة الدلالية (المستقبل)، ويشكّل مفعولاً غير مباشر المركب الحامل للوظيفة الدلالية (المتقبل) أو (المستفيد).

2- المفعول المباشر والمفعول غير المباشر يمكن أن يكونا مركباً اسماً غير مسبوق بحرف أو مركباً اسماً مسبوقاً بحرف، بخلاف اللغات الأجنبية².

3- يحتلّ المفعول غير المباشر، حين لا يكون مسبوقاً بحرف، الموقع الذي يلي موقع الفاعل، ويسمى هذا الترتيب بالبنية الرُتبية في اللغة العربية (ف فا مف).

4- لا تأثير لحذف المفعول غير المباشر في سلامة الجملة، على العكس من حذف المفعول المباشر.

5- يمكن أن يُعوّض المفعول المسبوق بحرف، بمركب اسمي مسبوق بحرف.

6- يحتلّ الوظيفة التركيبية المفعول أحد المركبين الاسميّين دون الآخر.

وفي ختام هذا العرض المختصر لخصائص المفعولات نشيرُ إلى أننا توصلنا إلى فرضيات ثلاث، وهي:

أ- فرضية المفعول الواحد.

ب- فرضية المفعول غير المباشر.

¹ ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية (الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، ص 93.

² يكون فيها المفعول المباشر غير مسبوق بحرف.

ج- فرضية المفعول المزدوج.

في الفرضية الأولى يتم اسناد الوظيفة المفعول للمكون الذات المساهمة في الحمل، والتي تلي الفاعل ومستقبل للحدث أو متقبلة له أو ...، أما الفرضية الثانية فيؤكد "أحمد المتوكل" أن معطيات اللغة العربية توحى بعدم ورود هذه الفرضية؛ إذ لا وجود في هذه اللغة لما يطابق المركب الحرفي الآتي:

أ- أعطى زيد الكتاب لعمير

ب- وهب خالد الخزانة لزيد

ج- وهبت هند مالا لزيد

أما الفرضية الثالثة القائمة على أخذ بعض الأفعال مفعولين: مفعولاً أولاً ومفعولاً ثانياً، فيؤكد المتوكل أيضاً أنها فرضية غير واردة في اللغة العربية، إذ إن الموضوع الثاني في التركيب ذات المحمول الثلاثي كالمحمولات (أعطى ومنح وهب...) أي الموضوع المستقبل هو الذي يستقطب الوظيفة المفعول؛ لأنه الدال على الكائن الحي العاقل بموجب سلمية التوجيه¹:

إنسان < حي < غير حي
+ + +
{ فا
مف }

وأما الموضوع الثالث (المتقبل) في المحمولات الثلاثية لا يُعدّ مفعولاً؛ لأنه لا يحمل أي خاصية من الخصائص العامة التي يتميز بها المفعول عامة، فهو لا يحتل الموقع الموالي لموقع الفاعل. وقد استنتج من هذه الفرضيات أن الفرضية الأورد بالنسبة إلى اللغة العربية هي فرضية المفعول الواحد، القائمة على فكرة أن المفعول وظيفة واحدة تُسند إلى موضوع واحد في الحمل الواحد².

وترد في اللغة العربية أيضاً بنيات أخرى تسمى "البنيات التصعيدية"، وهي التي يصبح فيها فاعل الجملة المدحجة (بفتح الميم) مفعولاً لفعل الجملة المدحجة (بكسر الميم)، وهي بمعنى آخر:

¹ ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص 220-221.

² ينظر: أحمد المتوكل، المرجع نفسه، ص 221.

البنيات الناتجة حسب الأنحاء التوليدية ذات الطابع التحويلي عن تحويل التصعيد الذي ينقل بمقتضاه فاعل الجملة المدججة (بفتح الميم) إلى موقع فاعل أو مفعول الجملة الرئيسية¹. ويحصل هذا في التراكيب العربية التي يكون محمولها الرئيسي فعلاً من أفعال "الاعتقاد" كالفعلين (حسب وظن):

- قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾²

وقوله: (حَسِبْتَ) ماض وفاعله والجملة مستأنفة، (أَنَّ أَصْحَابَ) أَنَّ واسمها، (الْكَهْفِ) مضاف إليه، (وَالرَّقِيمِ) معطوف على الكهف، والمصدر المؤول سد مسد مفعولي حسب.

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾³

وقوله: (تَحْسَبَنَّ) مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والجملة في محل جزم بلا وفاعله مستتر، (اللَّهُ غَافِلًا) مفعولا تحسبن.

- قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾⁴

وقوله: (ظَنَنْتُمْ) فعل ماض وفاعل، والجملة معطوفة على ما قبلها، (أَنَّ اللَّهَ) أن ولفظ الجلالة اسمها (لا) نافية (يَعْلَمُ) مضارع مرفوع فاعله مستتر والجملة خبر أن والمصدر المؤول من أن وما بعدها سد مسد مفعولي ظننتم (كثيراً) مفعول به.

- وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُبًّا سَاحِشًا طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَقَاتِلْنَا هَذَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾⁵

¹ ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية (الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، ص 64\155.

² سورة الكهف، الآية 9.

³ سورة إبراهيم، الآية 42.

⁴ سورة فصلت، الآية 22.

⁵ سورة آل عمران، الآية 154.

قوله: (يُظُنُّونَ بِاللَّهِ) فعل مضارع والواو فاعله، (باللَّهِ) متعلقان بـ (يظنون)، والجملة في محل نصب حال، (غَيْرَ) نائب مفعول مطلق، والتقدير: يظنون غير الظن الحق، (الحَقُّ) مضاف إليه، (ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) بدل من غير منصوب بالفتحة، وتُسند الوظيفة المفعول إلى (ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) من منظور الوجهة الوظيفية الثانوية، وهو المركب الحامل للوظيفة الدلالية (المتقبل).

ومن خلاله هذين النمطين (البنيات التعليلية) و(البنيات التصعيدية) نستنتج أن الوظيفة المفعول تأخذ نمطاً جديداً، بعد أن كانت تُسند إلى موضوع (المتفد) في البنية مصدر الاشتقاق، كما أن عصا التوجيه يمكن أن تشتغل بأرجية أكثر لبروز العناصر المشاركة في الواقعة، وأخذ الموقع الطبيعي للمكون المسند إليه الوظيفة المفعول (موالي لموقع الفاعل)، والحالة الاعرابية المناسبة وهي: النصب. فإذا توافرت هذه الخصائص في حالاتها التي ذكرنا أو في حالات أخرى لا يتسع المقام لذكرها جاز أن نطلق على اللغة العربية أنها من اللغات التي يستلزم وصفها استخدام قاعدة اسناد هذه الوظيفة.

ثالثاً: إسناد الوظيفتين التركيبيتين، الفاعل والمفعول

يقوم البناء العام للصورة النموذجية للجملة في اللغة العربية على الربط بين البنية الحملية والبنية المكونية في قالب نحوي وظيفي يستجيب للترتيب التسلسلي للكلمات ترتيباً موضوعياً:

أ- صورة المحمول المجردة.

ب- عدد محلات حدوده.

ج- مقولته التركيبية (اسم، فعل (أو فعل وبعده اسم)، مفعول له، بدل).

د- قيود الانتقاء التي يفرضها المحمول على محلات حدوده الموضوعات.

هـ- الوظائف الدلالية التي تحملها محلات الحدود بالنظر إلى دورها في الواقعة الدال عليها المحمول.

و- موضوع الوجهة الوظيفية، الذي يعتمد على الترتيب في ربط الجملة بالسياق أو الموقف الكلامي، في تحديد وجهة الحدّ نحو الوظيفتين التركيبيتين الفاعل والمفعول.

وعليه، تُسند الوظيفتان التركيبيتان (الفاعل والمفعول) وفقاً للوجهة التي يتخذها المتكلم بالنظر إلى الواقعة الدال عليها المحمول، وفي هذا المجال - حسب اللغة العربية- وخلال عملية الاسناد يجب مراعاة الشرط الآتي:

- لا يمكن حصر إسناد هاتين الوظيفتين في مجال الموضوعات (المنفذ والمستقبل والمتقبل) فحسب، بل يجب أن تتجاوز ذلك إلى حيز اللواحق كالزمان والمكان... الخ¹، وبذلك تتجاوز عملية الإسناد الوظائف في اللغة العربية طبقة الوصف إلى طبقتي التسوير والتأطير.

1- سلمية إسناد الوظيفة التركيبية الفاعل:

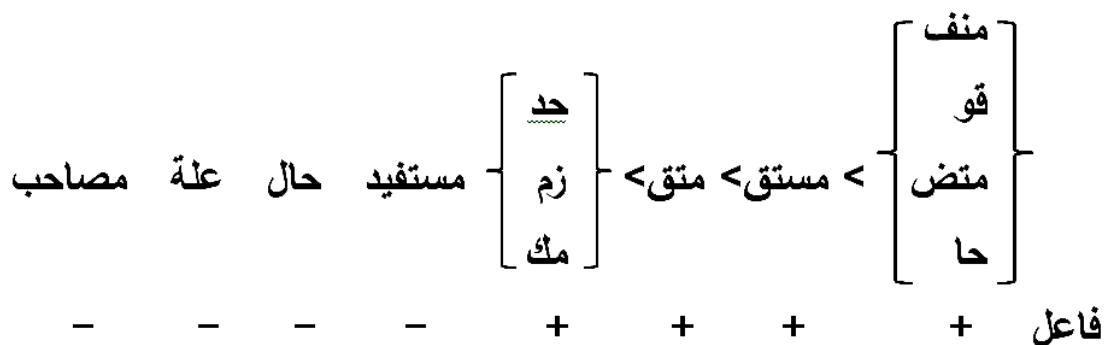
تتعدد صور الفاعل في التراكيب العربية مثل ما نجده عند النحاة العرب ونجد صداه في اللسانيات الوظيفية، يقول "المخزومي": «الفاعل في الجملة الفعلية نوعان: فاعل يفعل الفعل اختياريّاً نحو: خرج خالدٌ من داره... وفاعل يقوم به الفعل ... أو يتلقى الفعل وينفعل به، ولا اختيار له في أن يفعل الفعل أو لا يفعله، نحو: نزل المطرُ شديداً، وانكسر الإبريقُ... وغفا بكرٌ... ويُعربُ كل من المرفوعات في هذه الأمثلة فاعلاً؛ لأنه مسند إليه ولا يمنع من ذلك كون بعضها ممّا ليس من اختيار، أو ممّا يمتنع عقلاً صدور الفعل عنه؛ لأن المسألة تعالج لغوياً لا فلسفياً»².

والناظر في سياق هذا القول يفهم المعالجة اللغوية، بالفهم الوظيفي لمسألة الاسناد والوظيفة التركيبية (الفاعل)، إذ يمكن أن نأخذها من بين الحدود الحاملة للوظائف الدلالية، الحدّ (المنفذ أو القوة أو المتموضع أو الحائل) في حالة بناء الفعل للمعلوم، والحدّ (المستقبل والمتقبل، والمكان، أو الزمان، أو الحدث) في حالة بنائه للمجهول، وأمّا الحدود الحاملة للوظائف الدلالية (المستفيد، والحال، والعلة والمصاحب) ليس لها إمكانية أخذ هذه الوظيفة، وقد صاغ "المتوكل" سلمية تضبط وظيفة الفاعل في اللغة العربية، تبعاً للوظائف الدلالية التي لها إمكانية أخذ هذه الوظيفة التركيبية، والحركة الإعرابية الخاصة به (الرفع)³

¹ ينظر: يحيى بعيطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، ص 429.

² مهدي مخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ط2 1406هـ\1986م، ص 65.

³ ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية (الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، ص 24.



وفقاً لهذه السُّلَمِيَّة يمكننا رصد التراكيب الآتية:

- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ ۚ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ﴾¹

وقوله (وَقَالَتِ الْيَهُودُ): الواو استئنافية، قال: فعل ماض والتاء للتأنيث، الْيَهُودُ: فاعل. وإليه تُسندُ الوظيفة الفاعل بموجب المنظور الرئيسي للوجهة المنطلق منها في تقديم الواقعة الدال عليها المحمول المبني للمعلوم، وموقع الفاعل هذا موقع يلي موقع المحمول في الجملة الفعلية، وبموجب الواقعة الدالة على الوضع، فإن الذات الفاعلة تؤدي وظيفته الدلالية (المنقّذ).

- وقال الله تعالى ﴿فَأَمَّا يَاسِرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ^١ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ ^٢ وَلِلْكَاهِنِينَ

وقوله: (دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أي: هلكها وندمر عليها منازلها ونحرّبها³، يقال: دمره تدميرا، ودمر عليه بمعنى: حطّمه وأباده، بدّدّه وضيّعه⁴. لذلك يدلّ المحمول على حدث، والفاعل يؤدي الوظيفة الدلالية (القوة) وهي من الأدوار المحاقة للدور (المنفذ)، وبموجب هذه الوجهة تُسند إلى لفظ الجلالة الوظيفة التركيبية (الفاعل)، وموقع الفاعل هذا موقع يلي موقع المحمول في الجملة الفعلية،

¹ سورة البقرة، الآية 113.

² سورة محمد، الآية 10.

³ ينظر: محمد بن جرير الطبري (أبو جعفر)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 7، ص 36.

⁴ ينظر: كايد محمد عثمان شحادة، المعجم الجامع، إشراف: أحمد حامد، رسالة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، (د.ط) 1423هـ\2002م، حرف الدال، مادة: دَمَر، ص504.

وحركته الاعرابية المناسبة لموقعه (الرفع)، فبرز الفاعل في الاسناد الفعلي، لإتمام الخطاب الإقناعي، وأنه المسؤول عن نوع العذاب وزمانه ومكانه، لذلك هو خطاب مباشر للمتلقين وتحذير لهم من خالقهم، يقول «غاية الخطاب القرآني كانت بقصد الإقناع والحصول على استجابة المتلقي، دون عنفٍ أو إكراه...»¹، لذلك تصدرت الآية قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

- وقال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذِنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾²

وقوله: (الَّذِينَ كَذَبُوا)، الذين: فاعل، وكذبوا: صلة الذين، ولفظ الجلالة مفعول كذبوا³. وتُسند الوظيفة الفاعل لاسم الموصول (الذين) بموجب المنظور الرئيسي للوجهة المنطلق منها في تقديم الواقعة الدال عليها المحمول، وموقع الفاعل هذا موقع يلي موقع المحمول في الجملة الفعلية. وبموجب الواقعة الدالة على الوضع، فإن الذات الفاعلة تدلُّ وظيفته الدلالية (المتوضع)، وما يؤيد ذلك قول الإمام "ابن كثير": «يَبَيِّنُ اللَّهُ - تعالى - حال ذوى الأعذار في ترك الجهاد، وهم الذين جاءوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعتذرون إليه، ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج، وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة»⁴.

- وقال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِيدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁵

وقوله: (قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ): قطع: وتعني أجزاء من بقاع من الأرض على اختلاف ألوانها، فهذه بصفتها، وهذه بصفتها الأخرى⁶، وتُسند إليها الوظيفة الفاعل بموجب المنظور الرئيسي

¹ لطفي فكري محمد الجودي، جماليات الخطاب في النص القرآني (قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط 1 1435هـ\2014م، ص104.

² سورة التوبة، الآية 90.

³ محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط 7 1420هـ\1999م، ج3، ص258.

⁴ اسماعيل ابن كثير (الحافظ أبو الفداء)، تفسير القرآن العظيم، ص901.

⁵ سورة الرعد، الآية 4.

⁶ ينظر: اسماعيل ابن كثير (الحافظ أبو الفداء)، تفسير القرآن العظيم، ص1002.

للوجهة المنطلق منها في تقديم الواقعة الدال عليها المحمول الأصلي للجملة، وبموجب وظيفته الدلالية (الحائل)، وموقع الفاعل هذا موقع متقدّم على موقع المحمول في الجملة الاسمية. كما يأخذ الحالة الاعرابية الرفع، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

- وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾¹

وقوله: (قُرِئَ الْقُرْآنُ) فعل ماضٍ لم يسم فاعله ونائب فاعله، وتُسند الوظيفة الفاعل لـ للاسم (الْقُرْآنُ) بموجب المنظور الرئيسي للوجهة المنطلق منها في تقديم الواقعة الدال عليها المحمول، وموقع الفاعل هذا موقع يلي موقع المحمول في الجملة الفعلية التي فعلها لم يسم فاعله، وبموجب الواقعة الدالة على الوضع، فإن الذات الفاعلة تؤدي وظيفته الدلالية (الحدث).

- وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتُ﴾²

تُسند الوظيفة الفاعل في هذا المثال إلى الْجِبَالُ وَالْأَرْضُ: وهي متقبل دلاليًا بالنسبة إلى المحمول الحدث (سُيِّرَتْ \ قُطِّعَتْ) لعدم وجود المستقبل، وقد أسندت إليها الوظيفة الفاعل،

- وقال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾³

وقوله: (أَحْصَرُوا) فعل ماضٍ لم يُسم فاعله ونائب فاعله، وتُسند الوظيفة الفاعل لـ للضمير الذي يعود على (الْفُقَرَاءِ) بموجب المنظور الرئيسي للوجهة المنطلق منها في تقديم الواقعة الدال عليها المحمول، وموقع الفاعل هذا موقع يلي موقع المحمول في الجملة الفعلية التي فعلها لم يسم فاعله، وبموجب الواقعة الدالة على الوضع، فإن الذات الفاعلة تؤدي وظيفته الدلالية (المستقبل).

- وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ مَئِذٍ يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا أَلْسُنُورَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ

حَدِيثًا﴾⁴

¹ سورة الأعراف، الآية 204.

² سورة الرعد، الآية 31.

³ سورة البقرة، الآية 273.

⁴ سورة النساء، الآية 42.

وقوله (لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ): فعل مضارع لم يسم فاعله تعلق به الجار والمجرور و (الْأَرْضُ): نائب فاعله، وإليه تُسندُ الوظيفة الفاعل بموجب المنظور الرئيسي للوجهة المنطلق منها في تقديم الواقعة الدال عليها المحمول، وموقع الفاعل هذا موقع يلي موقع المحمول في الجملة التي فعلها لم يسم فاعله، وبموجب الواقعة الدالة على الوضع، فإن الذات الفاعلة تؤدي وظيفته الدلالية (المكان).

في هذه الأمثلة وحسب نظرية النحو العربي، فإنّ لفظ:

- (الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى) ولفظ الجلالة اللَّهُ واسم الموصول الَّذِينَ) فواعل.

- أما (قَطَعَ) فمبتدأ.

- وأما (الْجِبَالُ وَالْضَمِيرُ) الدال الفقراء والأَرْضُ) نائب فاعل.

ولكن حسب نظرية النحو الوظيفي أخذت الوظيفة "الفاعل" لسببين:

أ- أنها تشكّل الوجهة الرئيسية للواقعة.

ب- بمقتضى العلامة الاعرابية الرفع، والتي تسندُ وظيفياً للمكون الحامل للوظيفة الفاعل.

أي إنّ الوظيفة التي يتخذها الفاعل هي التي تحدّد نوعه وصورته، وهذا التنوع إنّما هو ترجمة للمنجز الذي يقوم به ذلك الفاعل، فالفاعل إذن متعدد بتعدد البنية الحملية التي هو في سياقها، والوظيفة التركيبية التي ينتمي إليها والمتساندة مع بقية الوظائف في البنية الوظيفية¹، فالفاعلية يمكن أن تكون تنفيذاً للحدث أو استقبالا له وما إلى ذلك، على وفق ما تبيحه اللغة من استعمال لأجل التواصل، وكذا لربط أجزاء الجملة التي يقع فعل الفعل على هذا العنصر المهم فيها، والتي تعطي معنى معيّن من خلال تنوعها السياقي، وبهذا يُعدّ الفاعل أحد أهم الأعمدة في بناء الجملة العربية.

¹ ينظر: لطيف عبد السادة سرحان، ملامح اللسانيات الوظيفية في مقولات المخرومي (كتابه: في النحو العربي قواعد وتطبيق أنموذجاً)، مقال ضمن مجلة الميختر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري)، جامعة بسكرة-الجزائر، العدد الثالث عشر، 2017م، ص11.

2- سلمية إسناد الوظيفة التركيبية المفعول:

تسند الوظيفة المفعول إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة التي تُقدّم انطلاقاً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل¹. ويُنتقى من هذا المفهوم في النحو الوظيفي بشكل عام، أن المفعول هو ذلك الحد الذي يُشكل نهاية المشاركين في تقديم الواقعة، بمعنى²:

واقعة ← حد 1 ← حد 2

وقد اقترح "أحمد المتوكل" سلمية لتعيين مختلف الأدوار الدلالية، التي لها إمكانية أخذ الوظيفة التركيبية (المفعول) إلى جانب حركتها الإعرابية (النصب أو ما ينوب عنه)، والوظائف التي يتمتع أن تُسند إليها هذه الوظيفة، في قواعد اللغة العربية³:

مستقبل	<	متقبل	<	مستفيد	حال	علة	مصاحب	$\left\{ \begin{array}{l} \text{مكان} \\ \text{زمان} \\ \text{حدث} \end{array} \right\}$
								مفعول

مفاد هذه السلمية أن الوظيفة "المفعول" يجوز إسنادها حسب درجات الأولوية إلى الحد المستقبل، والحد المتقبل، وغني عن البيان أن الوظيفة المفعول لا تسند إلى الوظيفة الدلالية المنفذ وما يحاقلها، كما يلاحظ أن الوظائف غير الأساسية كـ "الأداة" و "المكان" و "الزمان" و "الحدث"، لا تقوم بينها سلمية، إذ يمكن إسناد وظيفتي الفاعل والمفعول إلى أيها، حين لا يوجد في الحمل حد آخر من الحدود ذات الأسبقية⁴، والمفعول يحتل الموقع الموالي لموقع الفاعل في الجمل الفعلية، والموقع الموالي لموقع المحمول غير الفعلي في الجمل الاسمية والرابطية، كما يتبين من الجمل الآتية:

¹ أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية (الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، ص 19-20

² ينظر: فيصل بنور، البعد الوظيفي في النحو العربي، إشراف: شاعر لقمان، رسالة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر، تخصص: علوم اللغة العربية، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 1433هـ\2012م، ص 88.

³ ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية (الوظيفة المفعول في اللغة العربية)، ص 25.

⁴ نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية، مطبعة المعارف الجديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الرباط-المغرب، (د. ط.) 1997 م، ص 226.

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَاذْكُرُونَهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَانُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ¹﴾

والشاهد من الآية: مجيء الفعل متعدٍ لمفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر (من أفعال اليقين)، وجاء معنى (عَلِمْتُمُوهُنَّ) في الآية (اعتقد)، فنصب مفعولين الأول جاء ضميراً متصلاً (الهاء) يعود على (المؤمنات) في بداية الآية، والثاني اسماً ظاهراً بصيغة جمع المؤنث السالم، مؤمنات: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة، عوض عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم²، وتُسند الوظيفة المفعول إلى الضمير المتصل (الهاء)، الذي يعود على (المؤمنات) بموجب المنظور الوظيفي للوجهة الثانوية، التي تقدّم انطلاقاً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل، وهو مفعول حامل للدور الدلالي (المستقبل).

- قال الله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا³﴾

وقوله: (الْمُنَافِقِينَ) مفعول به منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم، ولفظ (وَالْمُنَافِقَاتِ) معطوفة، (وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) معطوفة على ما قبلها، وإليه تُسند الوظيفة المفعول بموجب المنظور الوظيفي للوجهة الثانوية، التي تقدّم انطلاقاً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل، وهو مفعول حامل للدور الدلالي (المستقبل).

¹ سورة الممتحنة، الآية 10.

² مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، تح: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط 30 1414هـ\1994م،

ج 1، ص 37.

³ سورة الأحزاب، الآية 73.

- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَكُفِّرُ بِنَاكُمْ يُكْفِّرُ اللَّهُ وَكَيْفَ يَكْفِرُ بِالْعَصَىٰ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ¹
 الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا
 مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَصُرِيتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
 يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بْنَ بَغْيٍ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ²

وقوله: (مَصْرًا) مفعول به، وإليه تُسند الوظيفة المفعول بموجب المنظور الوظيفي للوجهة
 الثانوية، التي تقدم انطلاقةً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل، وهو مفعول حامل للدور الدال
 على المكان، لأنه لا يوجد في الحمل حد آخر من الحدود ذات الأسبقية.

- قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ²
 وقوله: (اشْتَرُوا) فعل ماضٍ وفاعل والجملة صلة الموصول، و (الحياة) مفعول به، وإليه تُسند
 الوظيفة المفعول بموجب المنظور الوظيفي للوجهة الثانوية، التي تقدم انطلاقةً منها الواقعة الدال
 عليها محمول الحمل، وهو مفعول حامل للدور الدال على الزمان، لأنه لا يوجد في الحمل حد
 آخر من الحدود ذات الأسبقية.

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ³
 وقوله: (تَسْلِيمًا) مفعول مطلق، وهو مصدر الفعل المؤكد له، وإليه تُسند الوظيفة المفعول
 بموجب المنظور الوظيفي للوجهة الثانوية، التي تقدم انطلاقةً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل،
 وهو مفعول حامل للدور الدلالي (الحدث).

- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَاتَلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ⁴
 وقوله: (وَاللَّهُ مُخْرِجٌ) الواو واو الاعتراض، و (اللَّهُ) لفظ الجلالة مبتدأ و (مخرج) خبر،
 والجملة معترضة، (ما كنتم) ما اسم موصول مفعول به لاسم الفاعل مخرج، والمقصود ب (ما) قال

¹ سورة البقرة، الآية 61.

² سورة البقرة، الآية 86.

³ سورة الأحزاب، الآية 56.

⁴ سورة البقرة، الآية 72.

"ابن كثير": ما تُعَيَّنون¹، أي أن يكتُم الانسان شيئاً لا يرضاه الله - عز وجل - فيظهره الله فيطلع عليه الخلائق²، ويأخذ المكون المفعول هذا الوظيفة التركيبية المفعول بموجب المنظور الوظيفي للوجهة الثانوية، التي تقدّم انطلاقاً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل، وهو مفعول يحتل الموقع الموالي لموقع المحمول غير الفعلي؛ لأن الجملة اسمية.

- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۚ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾³

وقوله: (إِنِّي) إن حرف مشبه بالفعل والياء اسمها، و (جَاعِلٌ) خبرها، و (فِي الْأَرْضِ) جار ومجرور متعلقان باسم الفاعل جاعل، و (خَلِيفَةً) مفعول به لاسم الفاعل جاعل، وإليه تُسند الوظيفة المفعول بموجب المنظور الوظيفي للوجهة الثانوية، التي تقدّم انطلاقاً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل، وهو مفعول يحتل الموقع الموالي لموقع المحمول غير الفعلي؛ لأن الجملة رابطة.

- قال الله تعالى: ﴿فَيَسْخَرُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ﴾⁴.

وقوله: (وَأَنَّ اللَّهَ) أنّ أداة نصب، ولفظ الجلالة اسمها، (مُحْزِي) خبرها مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء للثقل، (الْكَافِرِينَ) مضاف إليه، والمصدر المؤول من أن واسمها وخبرها معطوف وسد مسد مفعولي (علم)، وإليه تُسند الوظيفة المفعول بموجب المنظور الوظيفي للوجهة الثانوية، التي تقدّم انطلاقاً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل.

والملاحظ من هذه الأمثلة، أنّ موضوعات المشتق (5- 6- 7- 8) تأخذ نفس الوظائف التي تأخذها موضوعات الفعل الأصل كما تبينه القواعد المسؤولة عن اشتقاق المصدر واسم الفاعل، وهي⁵:

¹ ينظر: اسماعيل ابن كثير (الحافظ أبو الفداء)، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 148.

² ينظر: محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ج 1، ص 245.

³ سورة البقرة، الآية 30.

⁴ سورة التوبة، الآية 02.

⁵ ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية المكونات أو التمثيل الصرعي التركيبي)، ص 129.

- أ- دخل: س ل م {سَلَّمَ} ف (س1) منف (س2) متق
 - سَلَّمَ: س ل م {سُلِّمَ} ف (س2) متق
 - المعنى: يتحمَّل (س2) تحقيق الواقعة الدال عليها الإطار الحملّي الدخّل.
- ب- دَخَلَ: خ ر ج {أَفْعَلَ} ف (س0) منف (س1) متق
 - خَرَجَ: خ ر ج {خُجِرَ} س (س0) منف (س1) متق
 - المعنى: يتسم (س0) بالخاصية الدال عليها الإطار الحملّي الدخّل.
- ج- دخل: ج ع ل {جَعَلَ} ف (س1) منف (س2) متق
 - جَعَلَ: ج ع ل {فَاعَلَ} س (س1) منف (س2) متق
 - المعنى: (يَتَّسِم (س1) بالخاصية الدال عليها الإطار الحملّي دخل)
- د- دخل: ض ر ب {فَعَلَ} ف (س1) منف (س2) متق
 - خَرَجَ: ض ر ب {فَعَّلَ} س (س1) منف (س2) متق
 - المعنى: تُنسب إلى (س1) الواقعة الدال عليها الإطار الحملّي - الدخّل في عمومها.
- هـ- دخل: خ ر ج {أَفْعَلَ} ف (س0) منف (س1) متق
 - خَرَجَ: خ ر ج {إِفْعَالَ} ف (س0) منف (س1) متق
 - المعنى: تنسب إلى (س0) الواقعة الدال عليها الإطار الحملّي الدخّل في عمومها.
- فتأخذ المكونات: (تَسْلِيماً) و (ما) و (خَلِيفَةً) و (الْكَافِرِينَ) الوظيفة المفعول تبعاً لمشتقاتها
 المسندة إليها (سَلَّمُوا) و (خُجِرَ) و (جَاعِلَ) و (خُزِيَ)، وتنتقل إلى هذه المشتقات عمل أفعالها
 الأصلية، وإن كانت تحدث تغييراً في المقولة المعجمية، حيث تنقل الفعل إلى اسم.
- وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية اللغة العربية في تفعيل عملية التواصل وتوسيعها، وذلك من خلال
 بناء الكفاءة الاسنادية ومساهمة الوظيفتين التركيبيتين "الفاعل" و"المفعول" في بناء البنية المكوّنة
 للجملة، وبناء وصفها الوظيفي عبر تحديد وظيفة المكوّن، آخذة موقعيهما الاعرابيّ بعين الاعتبار.
- يتّم بناء ذلك الوصف بتركيب (تطبيق) المعلومات المضمّنة في التحشّيات التركيبية والمعجمية،
 والتي تولد العجر غير النهائية، بعد إدخال الوحدات المعجمية في البنية المكوّنة قبل النهاية (قبل

الوصول إلى البنية الوظيفية)، وكلّ عجرة في البنية المكونية يجب أن يُوافقها تخصيص وظيفي لتكون المتوالية قابلة للتأويل، والوصف الوظيفي يقوم — في هذه المرحلة — بربط كل عجرة مقولية بمتغيّر يوجّه طبيعة الوظيفة داخل التركيب باستعمال الوسائل الصورية، كما يسهّل استنتاج خصائص البنية الوظيفية، وذلك بملاء البنية الوظيفية بقيم الوظائف وسماتها الداخلية، وتسمى هذه المرحلة بعمليات الإدماج¹، وبعدها تُلحق البنية الوظيفية بالجملة في بنى أكبر وتفاعلات أكثر، ومن ثمّ يقدّم الوصف ذاك إلى الوظائف التداولية.

¹ ينظر: عبد القادر القاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، ط 1 1985م، ص 87-92.

خلاصة الفصل:

- يتمّ الربط بين البنية الحملية والبنية المكونية عبر الوظيفتين الوجهيتين التركيبيتين (الفاعل) و(المفعول)، أو الوظائف الأخرى غير الوجهية مثل: الحدّ الحدث أو الحدّ الزمان أو الحدّ المكان... الخ

- إذا كان المركّب الاسمي يتّخذ سمة الرفع أو النصب، وهذه السمة الاعرابية الظاهرة في آخر الاسم، تتغيّر بتغيّر العامل الداخل عليه، فإنّ الوظيفة الفاعل لا تتغيّر بتغيّر الصورة المعجمية للاسم المسندة إليه هذه الصفة، بل بفعل المنظور الرئيسي للوجهة المنطلق منها في تقديم الواقعة الدال عليها المحمول.

- يتمّ إسناد الوظيفة المفعول إلى الموضوع الأوّل دلاليّاً وهو (المستقبل)، في التراكيب المتضمنة لموضوع مستقبل ومتقبل معاً (التراكيب ذات المحمول الثلاثي)، وأما التراكيب التي لا تتضمن موضوعاً مستقبلاً (التراكيب ذات المحمول الثنائي) فتُسند فيه الوظيفة المفعول إلى الموضوع المتقبل، ذلك أن المكونات الدالة على الكائنات العاقلة أولى من المكونات الدالة على الكائنات غير العاقلة، والمكونات الدالة الكائنات الحية أولى من المكونات الدالة على الكائنات غير الحية.

- تمنحُ البنيات التعليلية والبنيات التصعيدية للعملية الوظيفية كفاءة أكثر، من خلال توسيع تواصل العناصر المشاركة والفاعلة؛ فالوظيفة المفعول أصبحت تأخذ نمطاً جديداً، بعد أن كانت تُسند إلى موضوع (المنقذ) في البنية مصدر الاشتقاق، كما أنّ عصا التوجيه يمكن أن تشتغل بأرجية أكثر لبروز العناصر المشاركة في الواقعة، وأخذ الموقع الطبيعي للمكون المسند إليه الوظيفة المفعول (موالي لموقع الفاعل)، والحالات الاعرابية المناسبة لكل من الفاعل والمفعول.

- تظهر أهمية الاسناد في اللغة العربية أثناء تفعيل عملية التواصل وتوسيعها، وذلك من خلال بناء الكفاءة الوظيفية ومساهمة الوظيفتين التركيبيتين "الفاعل" و"المفعول" في بناء البنية المكوّنة للجملة، وبناء وصفها الوظيفي عبر تحديد وظيفة المكوّن، آخذة موقعيهما الاعرابيّ بعين الاعتبار.

- ترتيب المكونات داخل الجمل الاسمية والجمل الفعلية، يُراعى فيه شكل الإطار الحملي، وفق قيود الانتقاء والوظائف الدلالية وموضوع الوجهة الوظيفية.

- للوظيفة التركيبية الفاعل والمفعول في اللغة العربية الدور الكبير في تحوير الكفاءة الوظيفية في الاسناد من خلال:

أ) أن اللغة العربية بهاتين الوظيفتين تصبح خصائصها اللغوية معربة ومتغيرة حسب السياق، أي: أكثر مرونة.

ب) للموقع (الرتبة) والمطابقة الاعرابية إلى جانب السياق الدور البارز في تحديد بنية الجملة وتوجيهها.

- للوظائف التركيبية الأولوية في تحديد الحالات الإعرابية على الوظائف الدلالية، وهذه الأخيرة لها الغلبة على الوظائف التداولية، وتبعاً لذلك تسند الحالات الإعرابية الرفع والنصب إلى المكونات الداخلية (الفاعل والمفعول)، وتأخذ حالتها الإعرابية بمقتضى الوظيفة الدلالية، إذا لم تكن حاملة للوظيفة التركيبية، وفي هذه الحالة يكون منصوباً، إذا لم يسبقه جار. وأما إذا كان المكون خارجياً فإنه يأخذ حالته الإعرابية بمقتضى وظيفته التداولية، وهو ما سنوضحه في المبحث الموالي.

الفصل الثالث

التمثيل للوظائف التداولية في السور المدنية

– تمهيد

أولاً: التمثيل للوظائف التداولية الداخلية في السور المدنية

ثانياً: التمثيل للوظائف التداولية الخارجية في السور المدنية

– خلاصة الفصل

– خاتمة الباب

تمهيد:

اهتمّ علم الدلالة منذ نشأة اللسانيّات بخصائص نظام اللغة، سواء في التراكيب والمفردات اللغوية أو في بنية الذهن، كما هو الحال عند البنيويّين والتوليديّين، فتمحور التركيز على علاقة المعنى بالشكل اللغويّ (تركيب/مفردة)، لكنّ جانباً محدّداً من تلك العلاقة يتعلّق بعلاقة اللغة بالاستعمال بقي دون الاهتمام النظريّ المطلوب قبل سبعينيات القرن الماضي. فدلالة الكلمات والتراكيب اللغويّة ليست فقط نظاماً بنيويّاً يربط الشكل بالمعنى، ويقبل الوصف والتحديد ضمن قواعد بنيويّة وقواعد توليديّة، بل هي متفاعلة مع معطيات المقام من متكلّم وسماع وظروف محيطية بهما، ولذلك نلاحظ أنّ نفس القول يمكن أن تكون له دلالات مختلفة بين مقامين مختلفين. وهذا الاختصاص الذي يربط دلالات اللغة بالاستعمال ضمن مقام محدّد هو ما بات يعرف في الدراسات اللغوية المعاصرة بالتداولية (pragmatics/pragmatique).

ويظهر هذا التيار كمذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة. هذا وقد استفاد المنحى الوظيفي من هذه تصوّرات التداولية البديلة عن التيار البنيوي والتوليدي، لتبلور ضمن مبادئ وإجراءات وظيفية أثرت بقوة في مسار الدراسات اللسانية المعاصرة تحت مسمى الوظائف التداولية. ولذلك يمكن أن نميّز إضافة إلى الوظائف الدلالية للألفاظ، التي تحدّد دور موضوعات المحمول ولواحقه في الواقعة، والوظائف التركيبيّة للإسناد، التي تحدّد الوجهة المعتمدة في تقديم الواقعة، ضرباً ثالثاً من الوظائف نسّميه "الوظائف التداوليّة" كمستوى ثالث من مستويات التحليل الوظيفي، خاصة إذا تعلّق الأمر بتراكيب القرآن الكريم فقد دُرّس جانب آخر من الخطاب ومكونات اللغة وآلياتها بطرق جديدة، موليةً الأهمية للعناصر المصاحبة له، منها: السياق والسماع...، ليتحوّل هذا الأخير إلى سامع مؤول ومتسائل، يقوّي المعنى المراد من القرآن الكريم، أو يظهر إعجازه من نظمه، بدلاً من مستمع قابل للمعنى أو رافض له.

وما قضية الإسناد إلا واحدة من بين الظواهر اللغوية التي يظهر فيها الجانب النحوي متضامناً مع الظروف السياقية والمقامية؛ إذ يُركّز في استعمال الخطاب على تجسيد العلاقة التواصلية بين أجزائه ومسانيده، وبين أفراد المتخاطبة، وتجسيد الاحترام بينها في الاستعمال تأثراً وتأثيراً. يقول "ابن خلدون" في الكلام الخبري ما يلي: «ألا ترى أن قولهم: (زيد جاءني) مغاير لقولهم: (جاءني زيد) من قبل أن المتقدم منها هو الأهم عند المتكلم، فمن قال: جاءني زيد، أفاد أن اهتمامه بالجيء قبل الشخص المسند إليه، ومن قال: (زيد جاءني) (أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل الجيء المسند. وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام، من موصول أو مبهم أو معرفة، وكذا تأكيد الإسناد على الجملة، كقولهم: (زيد قائم) و(إن زيدا قائم) و(إن زيدا لقائم)، متغايرة كلها في الدلالة، وإن استوت عن طريق الإعراب»¹.

إنّ ما عرضه "ابن خلدون" من قضايا في هذه المقولة ترتبط بما لخطاب المتكلمين من علاقة بحال الخطاب والمقام، فالكلام في مجمله تتحكم فيه اعتبارات نحوية وعناصر تداولية، وهو مراعاة للخلفيات المشتركة بين المتخاطبين، يتمّ تفعيلها وفق وظائفها اللغوية، مسايرة بذلك للدور الذي تؤديه عناصر السياق المشتركة بينها، فيكون الإعراب به أصلاً للوظائف التداولية.

إن ما يؤكد علاقة الخطاب بالسياق إيراد "ابن خلدون" لعناصر لغوية لا يمكن معرفة دلالاتها ومرجعياتها إلا بالرجوع إلى حال الخطاب الذي قيلت فيه، وقد أكد أنه أيّا كانت المعلومات المفهوميّة التي يحتويها الخطاب، فإنه يتضمن سلسلة متكاملة من العناصر تشير إلى درجة حضور المتكلم والصورة التي يكوّنها عن المخاطب، فينشئ خطابه وفق تلك الصورة وبما يناسبها من عناصر الخطاب اختياراً وترتيباً..، وتأتي عناصر الحمل مجزأة بحسب ذلك أيضاً، لذلك قسّم علماء البلاغة العربية الخبر باعتبار تلقيه إلى ثلاثة أقسام:

- فإن الأول المجانب للتوكيد: إنما يفيد الخالي الذهن (عن المخاطب).

- والثاني المؤكد بـ"إن": يفيد المتردد والشاك.

¹ عبد الرحمان بن محمد (ابن خلدون)، المقدمة (من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط3 1967م، ج1، ص1065.

- والثالث المؤكد بمؤكدات: يفيد المخاطب المنكر.

وهو ما يدفعنا إلى التطبيق على النصوص المدنية من القرآن الكريم، المستعملة للجمل المخبرة عن أحكام الدين الإسلامي والمفصلة له، والآيات منها النازلة بسبب بعض الحوادث بين الناس أو تصحيح لتصرف خاطئ أو جواب عن تساؤل أو إخبار عن نفاق أو غير ذلك مما يعرض حال المتلقي المتقبل أو المتردد أو المنكر، وكل ذلك بغرض دراسة المعاني الوظيفية لتلك النصوص، وهي المعاني التي تطرأ على القول، وتتغير من مقام إلى مقام آخر، ونستجلي قوة اللغة واستيعابها لمقاصد الشريعة ومقامات المتلقين، وفق ما تقتضيه من تشريعات اجتماعية وسياسية وتعبدية مختلفة وشروطها وأحكامها...

ومن المعلوم، أن المستوى التداولي طبقات ثلاث، استرعائية وإنجازية ووجهية، حيث تُسند الوظائف التداولية على مستوى هذه الطبقات (المستوى العلاقي)، وفي الخطاب القرآني حيث تتجاوز اللغة وظيفتها التواصلية وتبأر حول نفسها في أبعاد تداولية تربط الإنسان بخالقه وتربطه بتاريخه وواقعه وهدفه..، في وظيفة سامية، تتكئ فيه اللغة على مشاكلة الخطاب السابق (للأمم السابقة وأنبيائها) باللاحق، ونقله عبر آلية حوارية، تعتمد أساساً على النقلات التي قد تكون طويلة أو قصيرة، تحكي مع الإنسان أينما حلّ ومتى كان، تقوم هذه الدورة الحوارية على أساس من التفاعل في قبول الحق أو التردد فيه أو رده وإنكاره وعدم قبول، والله سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾¹، ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾²، وتتميز علاقة المتلقي بمخاطبه في هذه الحال بالميزات الآتية:

- تكون الطبقة الاسترعائية كثيفة في بعض الأحيان، بسبب نزوع اللغة إلى العناصر التي يفترض فيها أن تؤدي وظيفتين في آنٍ واحدٍ؛ الأولى هي لفت انتباه المخاطب المباشر (وهو النبي صلى الله عليه وسلم أو من عاصره من المتخاطبين، والثاني لفت انتباه القارئ أو المتلقي (في أيّ زمانٍ ومكان) لحكم ما.

¹ سورة غافر، الآية 19.

² سورة غافر، الآية 20.

- تكون الطبقة الإنجازية غنية، نظراً للحضور المكثف لإواليات الاستلزام الحواري، وتعدد مظاهر الإنجاز، فبالإضافة إلى الإخبار، يرد الاستفهام، والأمر، والنهي، في مواطن الحجاج والجدل اللذان يخدمان الهدف من النص.

- تتبع الطبقة الوجهية الإنجاز، فتكون غنية وجهياً، حيث يحضر الانفعال النابع من الحوار المؤثر في القارئ، كما نجد السمات المعرفية والإرادية حاضرة بقوة من خلال (الدعاء والتمني والترجي، ...)، لأجل إغناء المستوى العلاقي الذي يفترض فيه مع نمط الخطاب القرآني أن يؤدي دوره في صناعة الحجة، من خلال إدخال المتلقي في فضاء روحي.

ويوازي التشبع العلاقي في هذه الطبقات الحضور المكثف للوظائف التداولية، حيث تنحصر الوظائف التداولية في النحو الوظيفي في خمس وظائف، وتضطلع الوظائف بتحديد وضعية مكونات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية (أو البنية المعلوماتية) في علاقة الجملة بالطبقات المقامية المحتمل أن تُنجز فيها، وتنقسم الوظائف التداولية الخمس إلى قسمين:

- وظائف داخلية: مسندة إلى مكونات داخل الحمل، وهي: "البؤرة"، و"المحور".

- وظائف خارجية: مسندة إلى مكونات خارج الحمل، وهي: المبتدأ، و"الذيل"، و"المنادى".

أولاً: التمثيل للوظائف التداولية الداخلية في السور المدنية

تسندُ إلى حدود الحمل ذاته، وهي: "البؤرة"، و"المحور".

1- الوظيفة البؤرة

نقدّم فيه ثلاثة فروع: تعريف البؤرة ووظيفتها، وإسناد وظيفة البؤرة، وإعراب المكون البؤرة.

1-1- تعريف البؤرة ووظيفتها

نجد في أصول التراث العربي مفهوماً للبؤرة، يقترب إلى حدّ قريب من منظور المنحى الوظيفي، يقول السكاكي: «اعلم أنّ علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من

الاستحسان وغيره، ليحتز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»¹ وقد وجاء هذا النص مراعيًا لخواص الكلام، وهي المكونات ذات الأهمية في عملية التواصل.

ومن هذا الباب نشأت فكرة تقسيم الكلام عند العرب على أساس من النحو والبلاغة والتواصل، فقد جاءت مشتركة بين البلاغيين وعلماء الأصول والنحاة والفلاسفة... ممن ساهموا في دراسة وبحث هذه الظاهرة من أمثال: أبو نصر الفارابي والقاضي عبد الجبار وابن سينا وعبد القاهر الجرجاني ونجم الدين الكاتبي القزويني وأبي يعقوب السكاكي وسيف الدين الآمدي وشهاب الدين القرآني ورزي الدين الإستراباذي ومحمد بن علي الجرجاني وجلال الدين الخطيب القزويني وغيرهم، وقد تمحورت هذه النظرية حول مفهوم الإفادة.

ونجد من العلماء المعاصرين اللساني "أحمد المتوكل" الذي استقرأ نظرية المعنى عند العرب، بشكل من الدقة والصرامة العلميتين، في سبيل إعادة قراءة للتراث العربي معتمدا في ذلك على نظريات لغوية وسيميائية، منها ما يتصل بالمدرسة التوليدية، والنظرية الوظيفية الشاملة، واقتراحات مدرسة هاليداي، ووظيفية حلقة براغ، والتيار الوظيفي الأمريكي بريادة سيمون ديك، ونظرية غريماس السيميائية². وقد خلص إلى أن القدماء في معالجتهم للظواهر التداولية يعتبرون أن البنية المنجزة هي بنيات مميزة للبنيات المعنية بالأمر انطلاقاً من أنماط المقامات التي تُنجز فيها³.

وعليه فإنه يُميّز في الجملة المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزاً، وهو ما ندعوه بالبؤرة⁴، ونقصد بها العلاقة التداولية التي يحملها المكون الحامل للمعلومة المجهولة أو المعلومة المتردد في ورودها أو المنكر ورودها⁵. وعلى هذا الأساس يُميّز المتوكل بين نوعين من البؤرة من حيث طبيعة

¹ يوسف بن أبي بكر السكاكي (أبو يعقوب)، مفتاح العلوم، تع، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2 1407هـ-1987م، ص: 161.

² Ahmed El Moutaouakkil (1982), Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique Arabe, Publications de la faculté des lettres et des sciences humaines, Rabat, P22.

³ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية (المقاربة المعيار)، دار الأمان، الرباط-المغرب، ط1 1437هـ\2016م، ص12.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص28.

⁵ ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص255.

وظيفتها، وهما: بؤرة الجديد، وبؤرة المقابلة، ومن حيث مجال الوظيفة يُميّز بين نوعين أيضاً: بؤرة المكوّن، وبؤرة الجملة¹.

1-1-1 - بؤرة الجديد، وبؤرة المقابلة:

يعرّف "أحمد المتوكّل" بؤرة الجديد بأنها المكوّن (أو الحمل برمته) الحامل للمعلومة غير المعروفة لدى المخاطب².

- أوهي: البؤرة المسندة إلى العنصر الحامل للمعلومة التي يجهلها المتكلم (المعلومة التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب)³.

- ويعرّف بؤرة المقابلة بأنها العنصر الدال على معلومة تقابل بشكل من الأشكال معلومة يملكها المخاطب⁴.

- أو هي: المكون الحامل للمعلومة التي يشكّ المخاطب في ورودها، أو المعلومة التي يُنكرُ المخاطب ورودها⁵.

وفائدة التمييز بين هاتين البؤرتين هو: تسهيل الوصف للبنيات المبارة في اللغة العربية. وتطابق كلتا البؤرتين (البؤرة الجديد والبؤرة المقابلة) ما يُسمى بأضرب الجملة الخبرية في البلاغة العربية، أي أنواع الخبر المنقول بين المتكلم والمخاطب، ويميّز فيه بين ثلاثة أنواع:

أ- الضرب الابتدائي:

وهو ما يجهل فيه المخاطب فحوى الخبر، فلا يلجأ المتكلم إلى مؤكّدات لتوكيد الخبر (خالٍ من المؤكّدات) لأن المخاطب غير شاكّ ولا منكر له. ويضيف إليه النحو الوظيفي مقاما آخر، وهو: جهل المتكلم للمعلومة التي يطلب من المخاطب إعطاءه إياها، أو يتظاهر بجهلها لأيّ غرض (في حالة

¹ ينظر: أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص28.

² ينظر: أحمد المتوكّل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص57.

³ ينظر: أحمد المتوكّل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص29.

⁴ ينظر: أحمد المتوكّل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص60.

⁵ ينظر: أحمد المتوكّل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص29.

الاستفهام)¹. وبذلك يراعى عنصر التفاعل بين المتخاطبين وإن تضمن عنصر الانشاء بين أنواع الخبر. وهذان مقامان نعتبرهما مقاما بؤرة الجديد.

ب- الضرب الطلبي \ ج- الضرب الانكاري:

فالأول ما يكون فيه المخاطب متردداً في قبول الخبر، فيؤكد له المتكلم بمؤكد واحد لإزالة الشك، والثاني ما يكون فيه المخاطب منكراً للخبر راداً له، فيؤكد له بمؤكدين فأكثر حتى يقتنع، فيدخل هذين النوعين ضمن بؤرة المقابلة، لكن يجعل لهما النحو الوظيفي ثلاث مقامات بإضافة مقام المتكلم²:

مقام 1: يتوفر المخاطب على مجموعة من المعلومات، ينتقي المتكلم للمخاطب المعلومة التي يعتبرها واردة.

مقام 2: يتوفر المتكلم على مجموعة من المعلومات، يطلب المتكلم من المخاطب أن ينتقي له المعلومة الواردة (في حالة الاستفهام).

مقام 3: يتوفر المخاطب على المعلومة التي يعتبرها المتكلم معلومة غير واردة، يصحح المتكلم معلومة المخاطب.

وتسهم كلاً من البؤرتين في إرساء عناصر الاسناد بين المتخاطبين أخذاً ورداً، من خلال مبدأ تحقيق الفائدة داخل المقامات الخمس المذكورة، وبالتالي: فإن ما ينجز من أقوال إسنادية يكون متعلقاً بالمتكلم منشئاً لها يوجهها في بنية القول (إضماراً وتصريحاً) إلى المخاطب نظراً للفعل المتضمن فيها، والأثر الذي تفترض حصوله لدى المخاطب، ويكون مرتبطاً بالقصد أو الغرض، الذي من أجله أنشئ القول بما فيه من كفاءة.

والقول (بما فيه من الكفاءة) تظهر فيه المعاني على أنها علاقات اسناد بين مواضيع وليست المواضيع ذاتها؛ فالاستفهام ب (هل) مثلاً لا معنى له في ذاته، وإنما يكتسب معناه من التعليق الواقع في القول، والذي يكسبه معنى بحسب ما يوجد المتكلم، بإيجاده تلك العلاقة الواقعة في القول والتي تحيل

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 29.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

إلى قصده، وذلك بتوجيه معاني النحو فيما بين الكلم¹. وعليه فإن بؤرة الحديد أو المقابلة تتألفان مع إحدى مقامات المتفاعلين في شكل تركيب لخلق كفاءة الاسناد، الذي يكون بهما أقرب إلى الذهن. ونقدم أمثلة لذلك:

أ- 1 | أ- 2- قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ فَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلَّمْتُ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾²

يشكل هذا المثال المقام الأول والثاني من بؤرة الحديد، وهو مقام الإخبار من دون تأكيد، لتقرير المتكلم خبراً للمخاطب، والثاني طلب المتكلم من المخاطب كشف الحال المخفي عليه في حالة الجدل. والآية التي بين أيدينا هي تلقين الله عز وجل رسوله أن يجب مجادلة وفد نجران له في عبادة الله وحده، بأنه ومن معه قالوا ما قاله الله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وأنتم معترفون بحقيقة ذلك، فأخلصت العبودية لله وحده لا أوجه وجهي إلى غيره، ثم أسألمهم على حالهم إن كانوا اقتنعوا واتبعوا ما أنت عليه ﴿أَأَسَلَّمْتُ﴾، والاستفهام هذا مستعمل في الاستبطاء والتحريض، وجيء بصيغة الماضي للتنبيه على أنه يرجو تحقق إسلامهم، حتى يكون كالحاصل في الماضي³. وهو استفهام على الإيمان المخفي - إن وجد - على الرسول صلى الله عليه وسلم في مقام الدعوة إلى دين الله وإقامة الحجة على المنكر.

فالمكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزاً في الآية، والذي عليه مدار الأمر كله هو الاسلام، وعليه يكون هو المكون البؤرة في عملية المجادلة بين النبي صلى الله عليه وسلم ووفد نجران، وهو الفاصل والفارق بين من اتبع طريق الحق ومن ضل عنه:

أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ أَسَلَّمْتُ

¹ خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة (دراسة نحوية تداولية)، جامعة منوبة-تونس، ط 1 2001م ص 389.

² سورة آل عمران، الآية 20.

³ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 201-202.

ب1 | ب2 | ب3- قال الله تعالى: ﴿أَوَكَلَّذِي مَرَعَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ۖ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ۖ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَاءَ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ۖ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ﴾¹

يشكل هذا المثال المقام الثالث والرابع والخامس من بؤرة الجديد، وهو مقام الإخبار الذي ينتقي فيه المتكلم للمخاطب المعلومة التي يعتبرها واردة، أو يطلب المتكلم من المخاطب أن ينتقي له المعلومة الواردة (في حالة الشك)، أو يصحح المتكلم معلومة للمخاطب. والآية التي بين أيدينا تحكي قصة "عزير بن شريحاً" في تفرد الله بالخلق والتدبير والإماتة والإحياء، فكان سؤاله ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، ف (أنّ) مجردة من الألف المقصورة حرف للتوكيد ونفي الإنكار والشك، و﴿أَنَّىٰ﴾ بمعنى (كيف) فتكون منصوبة على الحالية من اسم الإشارة، ويجوز أن تكون ﴿أَنَّىٰ﴾ هنا بمعنى (متى)، أى: متى يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فتكون منصوبة على الظرفية². وعليه يكون طلب المتكلم دفع الشك عنه والريب بأن يحضر ويرى هذا التغير في الخلق. ثم يقدم المولى عز وجل حججاً ودلائل مرئية ليزيل ذلك الشك، ويصحح بها بعض الاعتقادات، وفيها أبلغ دلالة على قدرة الله تعالى وعلى صحة البعث، قال "ابن كثير": «كان أول شيء أحيا الله فيه عينيه لينظر بهما إلى صنع الله فيه، كيف يحيي بدنه كله، ثم دعاه إلى النظر في باقي الحجج فقال: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، ﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾، ﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾. كل ذلك رأي العين وعلى مرأى منه»³.

فالمكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزاً في الآية، والذي عليه مدار الحوار كله هو الإحياء والإماتة (آية من آيات الله في الكون)، وعليه يكون هو المكون البؤرة في عملية المجادلة بين الخالق والمخلوق.

¹ سورة البقرة، الآية 259.

² مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4 1425هـ-2005م، باب: الهزمة، مادة: أنى، ص31.

³ اسماعيل ابن كثير (الحافظ أبو الفداء)، تفسير القرآن العظيم، ص324.

1- 1- 2- بؤرة المكوّن، وبؤرة الجملة:

يعرّف "أحمد المتوكّل" بؤرة المكوّن بأنها البؤرة المسندة إلى مكونات الحمل¹، ويقصد به أنّ مجال التبئير يشمل مكوناً من مكونات الجملة فقط وليس كلّها. ويُعرف بؤرة الجملة بأنها البؤرة المسندة إلى الحمل بأكمله، دون مكونات الجملة الخارجة عنه (المبتدأ والذيل والمنادي)². حيث تُسند فيها البؤرة الجديد أو المقابلة إلى الجملة برمتها وليس إلى أحد مكوناتها فقط. مثل:

أ- قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾³

تُسند وظيفة البؤرة المكوّن في هذا المثال إلى المكوّن ﴿شَطْرَ وَشَطْرُهُ﴾، فهو العلاقة التداولية التي يحملها المكوّن (شطر بمعنى اتجاه أو نحو) الحامل للمعلومة المجهولة لدى السامعين، فشطر المسجد الحرام لم يكن عليه أهل المدينة والمسلمون إلا بعد نزول هذه الآية، فالشطر له محامل: يكون الناحية والجهة، كما في هذه الآية، وهو ظرف مكان، كما تقول: تلقاء وجهته. وانتصب الظرف لأنه فضلة بمنزلة المفعول به، وأيضا فإن الفعل واقع فيه⁴.

ب- قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾⁵

ينظر في الآية التالية على أنها تحتوي على بؤرة الجملة، وهي:

- ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾

- ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾

- ﴿وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

¹ أحمد المتوكّل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص31.

² المرجع نفسه، ص31.

³ سورة البقرة، الآية144.

⁴ ينظر: محمد بن أحمد القرطبي (أبو عبد الله)، الجامع لأحكام القرآن (والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1 1427هـ\2006م، ج2، ص442.

⁵ سورة آل عمران، الآية52.

الجملة الأولى إسمية والثانية والثالثة فعليتان، فمن حيث مجال الوظيفة تسند الوظيفة البؤرة الجملة إلى الحمل كله، باعتباره بنية مميزة في مقام الحوار مع عيسى عليه السلام لإظهار الإيمان وانتمائهم لأهله، وقد تمّ توكيده في الحمل الأخير لإزالة الشكّ والريب.

إن التمييز بين بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة والتي يتداخل مفهومهما مع بؤرة المكون وبؤرة الجملة، والاكتفاء بهذا العدد من أنواع البؤر كافٍ لوصف البنيات المبارة في اللغة العربية (لتسهيل وضع نحو كلي) كما يذهب إلى ذلك أحمد المتوكل¹. ولإيضاح الفرق بين البؤرتين (الجديد \ المقابلة) قدّم المتوكل محاولات عديدة أرففها بأمثلة توضيحية، كرائز السؤال ورائز الجواب ورائز التعقيب، ألخص تلك الفروق بين البؤرتين في الجدول الآتي:

بؤرة المقابلة	بؤرة الجديد
يتصدّر فيها المكون المبأر الجملة	لا يتصدّر فيها المكون المبأر الجملة
تسند فيها البؤرة إلى الحمل كله	تسند فيها البؤرة إلى مكون داخل الحمل
تكون فيها المعلومات متاحة بين المتخاطبين أحياناً ورداً	تكون المعلومة المتداولة بين المتكلم والمخاطب جديدة غير متداولة من قبل.
يُشترط فيها أن تحتوي على مؤكد أو أكثر لتوكيد المعلومة ودفع الشكّ أو الإنكار	لا يُشترط أن تردف بمؤكدات للخبر إلا في حال طلبها
يكون فيها المخاطب شاكاً أو متردداً في قبول المعلومة أو حتى منكرها (مطلعاً على فحواها من قبل)	يكون فيها المخاطب خالي الذهن من المعلومة متقبلاً لها
تدخل أداة الاستفهام الهمزة على بؤرة المقابلة	لا تدخل أداة الاستفهام الهمزة على بؤرة الجديد
لا تدخل أداة الاستفهام (هل) على بؤرة المقابلة	تدخل أداة الاستفهام (هل) على بؤرة الجديد إذا كانت مسندة بدورها إلى جملة
تدخل أداة الحصر (إنما) على البؤرتين لتقوية الحكم سواء الحمل المبارة أحد مكوناتها، أو المبارة كلها.	
كما نستنتج أن كلا من البؤرتين المكون والجملة أعم من بؤرتي الجديد والمقابلة لاحتواء الأولى على خصائص الثانية.	

1 أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص36.

1-2- إسناد وظيفة البؤرة

يتمّ تطبيق قواعد إسناد الوظائف التداولية بمقتضى شروط مقامية محدّدة للحصول على البنية الوظيفية، ومن ثمّ يتمّ بناء بنية المكونات انطلاقاً من البنية الوظيفية لتصبح دخلاً للقواعد الصوتية، كما تأخذ الوظائف التداولية وظائفها داخل البنية المكونية من خلال تحديد نفسها وترتيب خصائصها في مقامات مختلفة.

1-2-1- إسناد بؤرة المكوّن: ونتاجها من خلال البؤرتين: الجديد والمقابلة.

أ- إسناد بؤرة الجديد:

يقترح "سيمون ديك" ¹ شروطاً لإسناد بؤرة الجديد لأحد مكونات الجملة الاستفهامية:

- يفترض المتكلم بالنسبة لحمل مفتوح في: س، (∅ ... (س ي) ...) أن ثمة موضوعاً إذا عوّضنا به (س ي) يكون الحمل (∅ ... (8) ...) صادقاً.
- يجهل المتكلم هوية الموضوع (أو نوعه أو شكله).
- يفترض المتكلم أن المخاطب يعرف هوية الموضوع.
- يرغب المتكلم فعلاً في معرفة هوية الموضوع (كي يكون الاستفهام استفهاماً حقيقياً).
- في حالة توفّر هذه الشروط المقامية يمكن للمتكلم أن يكون الحمل:
- (∅ ... (م \ س ي) بؤرة)، ولتوضيح ذلك سنضرب مثلاً يجمع شروط بؤرة الجديد وشروط بؤرة المقابلة.

ب- إسناد بؤرة المقابلة:

في البنية الحملية للجمل تُسند الوظيفتان التركيبيتان الفاعل والمفعول إلى الموضوعين (الأول والثاني)، فينتج عن ذلك البنية الوظيفية الجزئية، ثم يتمّ إسناد الوظيفتين التداوليتين بؤرة المقابلة والمحور إلى الموضوعين (الثاني ثم الأول) على التوالي، فنحصل على البنية الوظيفية، لكن في حالة توفر الشرطين الآتين ²:

¹ سيمون ديك (1978م)، نقلاً عن: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص43.

² ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص38.

- يعتقد المتكلم:

- أن المخاطب يعتقد أن قيمة موضوع الخبر حقيقية كما أوردها الحمل.
- أن المخاطب متردد بين قيمتين اثنتين.

- يعتقد المتكلم:

- أن القيمة الواردة عنده خلاف القيمة الواردة عند المخاطب.

ولتوضيح إسناد الوظيفتين بؤرة الحديد وبؤرة المقابلة من خلال الشروط والقيود الآنفه الذكر نضرب المثال الآتي:

- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٧٦﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرَعُونَ يَبْتَ دَلِكْ فَافْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ٧٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ٧٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ٧٩﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ٨٠﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ٨١﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٨٢﴾¹

هذا الحوار الذي دار بين النبي موسى عليه السلام وقومه تظهر فيه الشروط المقامية الآنفه الذكر، ولإسناد الوظيفتين بؤرة الحديد وبؤرة المقابلة للمكونات داخل الحمل نقسم الآية إلى مقاطع تعتبر مواقف لكلا الطرفين:

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾:

- تتكون البنية الحمالية لهذه الجملة من حمل موضوعات، والتي تشكل حداً موضوعاً مدمجاً في حمل رئيسي، تتضمن حداً إسمياً وهو (بَقَرَةً)، حاملاً للوظيفة الدلالية (المتقبل)، والوظيفة التركيبية

¹ سورة البقرة، الآية 67-73.

(المفعول) من منظور الوجهة الوظيفية الثانوية، وتُسند إلى هذا المكون (بَقَرَةً) الوظيفة التداولية بؤرة الحديد، وعلة ذلك أن الأمر لم يكن على عهدهم بأن يجتمع محمول الحمل ﴿أَنْ تَذْبَحُوا﴾ مع بؤرة الحمل (بَقَرَةً)؛ «لأنها من جنس ما عبده من العجل، ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه، وليعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته¹». لذلك يقدم المخاطب (بنو إسرائيل) استفهاماً (الذي سيرد في الآية الموالية) لأنه يعتقد أن القيمة الواردة عنده خلاف القيمة الواردة عند المستمع (موسى عليه السلام)، وذلك من شروط إسناد بؤرة المقابلة.

- ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾:

- المتكلم هنا شاك أو متردد في قبول المعلومة أو حتى منكر لها كما ورد في خصائص بؤرة المقابلة، كما أن قوم موسى استفهموا بأداة الاستفهام الهمزة، التي تدخل على الجملة المسندة إليها بؤرة المقابلة، وتكون بؤرة المقابلة (في هذه الحال) في الجملة المصدرة بأداة الاستفهام الهمزة، مسندة إلى الحمل برمته، وهذا ما قصده النحاة العرب حين قالوا: أن الهمزة تُستعمل لطلب التصوّر كما تُستعمل لطلب التصديق²، لأنهم لم يتحملوا فكرة ما جاءت به بؤرة الحديد، قال "ابن مالك" في المصباح: وما عدا الهمزة نائب عنها، ولكونه طلب ارتسام صورة ما في الخارج في الذهن، لزم أن لا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام، فإن غير الشاكي إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام³. فتقدم الاستفهام بالهمزة لمقابلة بؤرة الحديد بطلبٍ مؤكّد لإزالة التردد، وفتح باب للحوار من أجل التصديق وإيجاد المخرج من تهمة القتل.

¹ علي بن محمد بن حبيب الماوردي (أبو الحسن)، النكت والعيون، تع: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، (د ط) (د ت)، ج 1، ص 136.

² ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 33.

³ بدر الدين بن مالك (ابن الناطم)، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تع: حسني عبد الجليل يوسف، المطبعة النموذجية لمكتبة الآداب للطبع والنشر، مصر، ط 1 1409 هـ-1989 م، ص 83.

1-2-2- إسناد بؤرة الجملة:

ويُقصد بهذا النوع أن تُسند بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة إلى جملة برمتها دون مكوناتها الخارجية، ويمكننا أن نتعرف على طبيعة هذا الاسناد من خلال القيود الآتية¹:

أ- قيود عامة:

- تُسند إلى موضوعات البنية الحملية الوظائف الدلالية والوظائف التركيبية والوظائف التداولية شريطة أن لا يُسند لكل موضوع أكثر من وظائف ثلاث: دلالية وتركيبية وتداولية.
- لا يمكن أن يحمل مكّون واحد أكثر من وظيفة واحدة داخل النوع الواحد من أنواع الوظائف.

ب- قيود خاصة:

- لا موضوع يحمل أكثر من وظيفة واحدة من كل نوع من الوظائف في نفس الحمل.
- من الممكن أن تسند نفس الوظيفة التداولية بؤرة الجديد إلى أكثر من مكون واحد في نفس الحمل، بخلاف بؤرة المقابلة.
- لا يمكن أن يتواجد في نفس الجملة مكون مبأّر تبئير جديد ومكون مبأّر تبئير مقابلة.
- لا يمكن أن يتعدى عدد المكونات المبأّرة في الجملة الاستفهامية أكثر من ثلاث.
- مراعاة المكونات التي لها أسبقية في التبئير، مثل: المكونات الحاملة للوظائف الدلالية، الحال والعلة والزمان والمكان والمكونات المسورة بـ (بعض أو كل أو جميع) والمكونات الداخل عليها (حتى).
- نعود إلى حوار موسى مع قومه، حيث يتم إسناد بؤرة الجملة وفق القيود السالفة الذّكر:
- تحتوي هذه الحمول على بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة مجتمعة تُسند إلى موضوعات البنية الحملية، تحتوي على الوظائف الدلالية والوظائف التركيبية والوظائف التداولية:
- الحمول الموضوعات في هذه النماذج تأخذ الوظائف التي تُسند إلى الحدود الأسماء، حيث يرُدّ الحمل الحدّ حاملاً حدّاً موضوعاً مدججاً في محمول رئيسي، يتضمن حدّاً إسمياً وهو (بَقَرَةٌ)، حاملاً

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 40-44.

للوظيفة الدلالية (المتقبل)، والوظيفة التركيبية (المفعول) من منظور الوجهة الوظيفية الثانوية، ولفظ البقرة أُسند إليه وظيفة بؤرة الحديد في الحمل السابق، وأُسند إليه بؤرة المقابلة في الاستفهام عليه بالهمزة، وفي هذه الآيات تسند إلى الحمل كله (الحمل المدمج والحمل المدمج) ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ...﴾ الوظيفة بؤرة الجملة من حيث مجال الوظيفة، باعتباره بنية مميزة في مقام الحوار.

2- الوظيفة المحور

2-1- تعريف الوظيفة المحور

- المحور لغةً من الحَوْر، ويُقصد به الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، ويقال: حار إلى الشيء وعنه حوراً ومحاراً ومحارةً، أي: رجع عنه وإليه¹.
- والمحورُ الخشبةُ التي يُسَطُّ بها العجينُ، يُحَوَّرُ بها الخبزُ تحويراً، وقد سُمِّيَ محوراً لدورانه على العجين².
- وفي الاصطلاح يُعرِّفه "سيمون ديك" بأنه المكوّن الدال على ما يشكّل المحدّث عنه داخل الحمل³.
- ويُوافق هذا المعنى ما جاء به "المتوكّل" في تعريفه لوظيفة المحور، بأنه وظيفة تداولية تُسند إلى عنصر الخطاب الدال على الذات التي تُشكّل محطّ الحديث⁴. ينطلق منه الخطاب وإليه ينتهي، فمن الاستفهام حيث يكون محور الاستخبار، ثم يتحوّل إلى محور الإخبار في جملة الجواب. ولنأخذ مثلاً لتوضيح ذلك:

قال الله تعالى في حوار موسى مع قومه:

- ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ... يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ نُهَا... يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا...﴾⁵ استفهام قوم موسى عن البقرة، ثم ردّ موسى بعد وحي الله له:
- ﴿...إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾⁶

¹ محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، ج4، ص221.

² محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1 2001م، ج5، ص149.

³ سيمون ديك (1978م)، ص19.

⁴ ينظر: أحمد المتوكّل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص69.

⁵ سورة البقرة، الآية: 70/68.

⁶ سورة البقرة، الآية: 68.

- ﴿...إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾¹
- ﴿...إِنَّهَا بَقَرَةٌ أَذْلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا أَشْيَةَ فِيهَا...﴾²

يشكل المكون (بَقَرَةٌ) محور الجمل في الآيات السابقة لدلالته على العنصر المحمول عنه بقية العناصر في كل جملة ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا...﴾ مكررة في الآيات الثلاث، ثم الجواب ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا...﴾ مكررة أيضاً في الآيات الثلاث. ويأخذ هذا المكون وظيفة المحور بمقتضى الوضع التخابري القائم بين موسى وقومه في طبقة مقامية حوارية مؤكدة للرد على المتسائلين وإزالة الشك عنهم، وتحقيق كلام الله. يقول "صاحب التحرير والتنوير": «أكد هذا الإسناد مقول موسى ومقول الله تعالى بـ "إن" محاكاة ما اشتمل عليه كلام موسى من الاهتمام بحكاية قول الله تعالى فأكدّه، وما اشتمل عليه مدلول كلام الله تعالى من تحقيق إرادته، ذلك تنزيلاً لهم منزلة المنكرين لما بدا لهم تعنتهم وتنصلهم»³.

2-2- إسناد الوظيفة المحور

تسند الوظائف التركيبية ثم الوظائف التداولية داخل الحمل إلى موضوعات البنية الحملية التي تحمل على مستوى هذه البنية نفسها وظائف دلالية، ويتم إسناد الوظائف التركيبية والوظائف التداولية عن طريق تطبيق "قواعد إسناد الوظائف" التي تنقل البنية الحملية إلى بنية وظيفية كما أشارنا إلى ذلك سابقاً في القالب النحوي⁴.

وعليه تسند وظيفة المحور - طبقاً لهذا المبدأ العام- إلى أحد موضوعات البنية الحملية الحامل لوظيفة دلالية (منفذ، متقبل، مستقبل، مستفيد، زمان، مكان،..)، والمُسندة إليه أحياناً إحدى الوظيفتين التركيبيتين (الفاعل والمفعول)⁵.

لتمثيل إسناد وظيفة المحور في السور المدنية نذكر المثال الآتي:

¹ سورة البقرة، الآية: 69.

² سورة البقرة، الآية: 71.

³ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص549.

⁴ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص70-71.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص71.

- قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾¹.

يمكن تمثيل البنية الحملية لهذه الآية على النحو الآتي:

ع 1 (م س) س 1: نَصَرَ (س 1): الله م ح (س ي) منف

(س 2: قريب (س 2)) زم

حيث أن: ع = معرفة، 1 = مفرد، م س = مركب إسمي، م ح = مخصص الحدود، س 1 - س 2 = المكونان المحدد وظيفتهما في الحمل؛ فالوظيفة الدلالية (المنفذ) للمكون (نصر الله)، ووظيفة (الزمان) للمكون (قريب).

وتُشكل البنية الحملية لهذه الجملة دخلاً لقواعد إسناد الوظائف التركيبية التي تُسند إلى المكون (س 1) الوظيفة التركيبية الفاعل، باعتباره ذا أسبقية كمنفذ في أخذ هذه الوظيفة.

ع 1 (م س) س 1: نَصَرَ (س 1): الله م ح (س ي) منف فا

(س 2: قريب (س 2)) زم

وتُسند الوظيفتان التداوليتان المحور (مح)، وبؤرة الجديد (بؤجد) للموضوعين (س 1) و (س 2) على التوالي، باعتبار الأول دالاً على الشيء المتحدّث عنه، والثاني حاملاً للمعلومة التي لا تدخل في حيز المعلومة المشتركة بين المتكلم والمخاطب (المعلومة الجديدة بالنسبة للمخاطب)، وينتج عن إسناد الوظائف التركيبية والوظائف التداولية البنية الوظيفية الجديدة تمثلها على النحو الآتي:

ع 1 (م س) س 1: نَصَرَ (س 1): الله م ح (س ي) منف فا مح

(س 2: قريب (س 2)) زم بؤجد

وتظهر كفاءة الاسناد في البنية الوظيفية هذه من خلال استخدام وظيفة المحور بمقتضى الوضع التخابري المبني على الإستخبار ثم الإخبار:

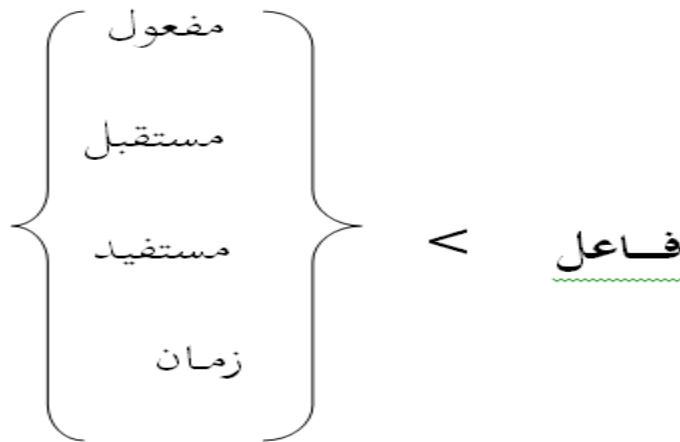
¹ سورة البقرة، الآية 214.

- مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟

- أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ.

يظهر المكون التداولي مقروناً بأداة الاستفهام (مَتَى) المتوقعة في صدر الجملة الاستخبارية، التي تجعل من المكون (نَصْرُ) محور البحث، مسندة إليه وظيفة الفاعل كأسبقيه في أخذ هذه الوظيفة من بقية المكونات، قال "أبو العباس": «رُفِعَ بفعله، أي: متى يقع نصرُ الله؟ و (قريب) خبر (إنَّ)»¹، حصرَ النحاة العرب القدماء العلاقة في قولهم الاسناد بين الفعل (وما يقوم مقامه) والفاعل (ونائبه)، مسنداً ومسنداً إليه كعمدتين داخل الحمل، تدور حول المسند إليه بقية مكونات الجملة، أو حتى يُظهر المَحذوف منها أو المستتر لتركيب أطراف الكلام، وجعله وحدة واحدة لها قدرة تواصلية في مقامات مختلفة تمكّن من التعبير عن مقاصد المتكلم في البنية الوظيفية.

والفاعل له أسبقيه أخذ الوظيفة التداولية المحور من غيره، حين وروده مع غيره من المكونات داخل الحمل الواحد، وفي ذلك يقترح "المتوكل" سلمية لإسناد وظيفة المحور²:



هذه البنية الوظيفية يتم الانتقال منها إلى البنية المكونية -حسب النحو الوظيفي- عن طريق تطبيق قواعد التعبير، التي تشمل قواعد إسناد الحالات الاعرابية، وقواعد الموقعة وقواعد إسناد النبر والتنغيم، ويتم تطبيق مجموعة القواعد هذه على أساس المعلومات الموجودة في البنية الوظيفية³.

¹ محمد بن أحمد القرطبي (أبو عبد الله)، الجامع لأحكام القرآن (والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان)، ج3، ص413.

² ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص74.

³ ينظر: أحمد المتوكل، المرجع نفسه، ص73.

2-3- إعراب المكون (البؤرة - المحور)

ينبغي التذكير بالنسبة لقواعد إسناد الحالات الإعرابية، بأن المكونات تأخذ حالتها الإعرابية - التي تتحقق صوتياً في شكل علامات إعرابية - بمقتضى الوظيفة التي تسند إليه في البنية الوظيفية. وفي الغالب الأعم يختلف إسناد الحالات الإعرابية إلى المكونات بحسب انتمائها أو عدم انتمائها إلى الحمل¹. ضمن هذا الإطار، تأخذ المكونات الداخلية (البؤرة، والمحور) حالتها الإعرابية بمقتضى وظيفتها الدلالية أو التركيبية وفق القيود الآتية²:

أ- إذا كان المكون مكتفياً بإحدى الوظائف الدلالية دون غيرها (متقبل، مستفيد، زمان، مكان،...)، فإنه يأخذ حتماً الحالة الإعرابية التي تخوله إياها هذه الوظيفة، وهي النصب في الغالب إذا لم يدخل عليه حرف الجر.

ب- أما إذا تعدى هذا المكون الوظيفة الدلالية إلى إحدى الوظيفتين التركيبيتين (الفاعل، المفعول)، فإنه يأخذ الحالة الإعرابية التي تقتضيها إحدى الوظيفتين: الرفع بالنسبة للفاعل، والنصب بالنسبة للمفعول.

ونستخلص من ذلك، أنّ الوظائف التداولية لا تأثير لها في تحديد الحالات الإعرابية بالنسبة للمكونات الداخلية ما دامت - هذه الأخيرة - تتمتع بوظائف دلالية وتركيبية، ومنه فإنّ المكون المسند إليه وظيفة (البؤرة - المحور) بوصفه مكوناً داخلياً يشكل إحدى موضوعات الحمل - يأخذ حالته الإعرابية (الرفع أو النصب) بمقتضى وظيفته الدلالية أو التركيبية. لتوضيح ذلك نقدم الأمثلة الآتية:

- قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِنَا لَنَنَاقُذَنَّ عَنْكُمْ يَوْمَئِذٍ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُ حَسَدُ وَنَبْلُ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾³.

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص75.

² ينظر: المرجع نفسه، ص75.

³ سورة الفتح، الآية 15.

2- قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾¹

3- قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ...﴾²

4- قال الله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾³

تسندُ الوظائفِتانِ التداوليتانِ المحورِ والبؤرةِ إلى المكوناتِ التي تحتها خط في هذه الآيات، وتأخذ حالات الرفع والنصب والرفع التي تقتضيها الوظيفة الفاعل والوظيفة المفعول والوظيفة المكان والوظيفة الفاعل على التوالي المسندة إليها. ويمكن أن نمثل تلك الجمل المحددة إعرابياً بالبنيات الوظيفية الآتية:

1- يقول ف (س1: المخلفون (س1)) منف فا مح (س2: ذرونا تتبعكم) مف بؤجم
الرفع

2- اذكر ف (س1: الضمير (س1)) منف فا مح (س2: اسم (س2)) متف مف
النصب

(س3: بكرة وأصيلًا) زم بؤجد
النصب

3- يوصي ف (س1: الله (س1)) منف فا (س2: فوق (س2)) مك بؤجد
الرفع
النصب

4- حا (أشد كفرا) ص بؤجد (س1: الأعراب (س1)) هـ فلامح
الرفع

تتفاعل -حسب النحو العربي الوظيفي- الوظائف الدلالية والوظائف التركيبية والوظائف التداولية في تحديد الحالات الاعرابية حسب السلمية الآتية⁴:

¹ سورة الإنسان، الآية 25.

² سورة النساء، الآية 11.

³ سورة التوبة، الآية 97.

⁴ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 74.

الوظائف التركيبية < الوظائف الدلالية < الوظائف التداولية

يستنتج من هذه السلمية ما يلي¹:

- أن المكون الحامل لوظيفة تركيبية (الفاعل أو المفعول) يأخذ الحالة الاعرابية بمقتضى هذه الوظيفة أيًا كانت وظيفته الدلالية أو وظيفته التداولية.

- أن المكون الحامل لوظيفة دلالية ووظيفة تداولية (لا وظيفة تركيبية له)، يأخذ حالته الاعرابية بمقتضى وظيفته الدلالية أيًا كانت وظيفته التداولية.

وللتفصيل أكثر في الحالات الاعرابية للمكونين (البؤرة والمحور) نأخذ أنواع المواقع التي تتمثل فيها المكونات حسب نوع الجملة، وتنقسم الجمل العربية حسب مقول المحمول التركيبي (كما رأينا في المبحث السابق) إلى: جمل فعلية وجمل إسمية وجمل رابطة. فأما النوع الأول فقد قدمنا الأمثلة السابقة عليه، وأقدم في هذا الموضع طائفة أخرى على النوعين الأخيرين، أي احتواء الجمل الاسمية والجمل الرابطة على الوظيفتين التداوليتين الداخليتين (البؤرة والمحور) وحالة إعرابهما:

- قال الله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنٍ فَلَا يَحِلُّ لَكُمَّ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾².

البنية الحمالية للجملة (الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ - تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ):

أ- مض مرتان ص (س1: الطلاق (س1)) منف

ب- مض حدود الله ص (س1: تلك (س1)) منف

يتم الانتقال من هذه البنية الحمالية إلى البنية الوظيفية عن طريق تطبيق قواعد إسناد الوظائف، التي تسند الوظيفة التركيبية الفاعل والوظيفة التداولية المحور إلى الموضوع (س1) كما تُسند الوظيفة التداولية بؤرة الجديد إلى المحمول:

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص74.

² سورة البقرة، الآية 229.

أ- حا مرتان ص بوجد (س1: الطلاق (س1)) Ø فا مح

ب- حا حدود الله ص بوجد (س1: تلك (س1)) Ø فا مح

- قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ۚ﴾¹

البنية الحملية للجملة (كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ): مض قانتون ص (س1: كلُّ (س1)) منف

ويتم الانتقال من هذه البنية الحملية إلى البنية الوظيفية عن طريق تطبيق قواعد إسناد الوظائف، التي تسند الوظيفة التركيبية الفاعل والوظيفة التداولية المحور إلى الموضوع (س1) كما تُسند الوظيفة التداولية بؤرة الجديد إلى المحمول:

- حا قانتون ص بوجد (س1: كلُّ (س1)) Ø فا مح

- قال الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ﴾²

البنية الحملية للجملة (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ):

- مض جعل ف (س1: الذي (س1)) منف

ويتم الانتقال من هذه البنية الحملية إلى البنية الوظيفية عن طريق تطبيق قواعد إسناد الوظائف، التي تسند الوظيفة التركيبية الفاعل والوظيفة التداولية المحور إلى الموضوع (س1) كما تُسند الوظيفة التداولية بؤرة الجديد إلى المحمول:

- مض جعل ف بوجد (س1: الذي (س1)) Ø منف فا مح

- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ﴾³

- قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا

فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۚ﴾⁴

¹ سورة البقرة، الآية 116.

² سورة البقرة، الآية 22.

³ سورة النساء، الآية 111.

⁴ سورة التوبة، الآية 122.

البنية الحملية للجملتين (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا - مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً):

أ- حا عليما حكيما ص (س1: الله (س1)) منف

ب- مض لينفروا ف (س1: المؤمنون (س1)) منف

ويتم الانتقال من هذه البنية الحملية إلى البنية الوظيفية عن طريق تطبيق قواعد إسناد الوظائف، التي تسند الوظيفة التركيبية الفاعل والوظيفة التداولية المحور إلى الموضوع (س1) كما تُسند الوظيفة التداولية بؤرة الجديد إلى المحمول:

أ- حا عليما حكيما ص بوجد (س1: الله (س1)) Ø فا مح

ب- مض لينفروا ف بؤمقا (س1: المؤمنون (س1)) Ø فا مح

ثم يتم إدماج الرابط (كان) لتوفر شرطين¹:

- كون مخصص المحمول الزمان الماضي.

- كون المحمول مركباً وصفيًا.

بعد تطبيق قاعدة إدماج الرابط، نحصل على البنية الآتية:

أ- مض كان ف عليما حكيما بوجد (س1: الله (س1)) منف فا مح

ب- مض كان لينفروا ف بؤمقا (س1: المؤمنون (س1)) منف فا مح

ثم تطبق باقي قواعد التعبير (قواعد إسناد الحالات الإعرابية، وقواعد الموقعة وقواعد إسناد النبر والتنغيم) التي تُبنى بواسطتها البنية المكونية في شكلها الأخير.

يحتلّ المكون المحور في الجمل الاسمية (1- 3) المسندة إليه وظيفة الفاعل الموقع (فا)، الوارد

مباشرة قبل موقع المحمول، وذلك وفق البنية الموقعية الآتية²:

¹ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص81.

² المرجع نفسه، ص88.

$$\left\{ \begin{array}{c} \text{م ص} \\ \text{م س} \\ \text{م ح} \\ \text{ظ} \end{array} \right\} \quad \text{م 4 ، م 2 ، م 1 ، م 0 فا} \quad \text{(مف) (ص) ، م 3.}$$

يعتبر النحو الوظيفي المكون (الطَّلَاقُ - تِلْكَ - كُلٌّ - الَّذِي) المتصدّر لهذا النوع من الجمل مكوناً داخلياً تُسندُ إليه وظيفة دلالية أو وظيفة تركيبية، وبالتالي يأخذ حالته الإعرابية الرفع بمقتضى الوظيفة التركيبية الفاعل المسندة إليه، ويأخذ الوظيفة التداولية المحور، بدل الوظيفة التداولية المبتدأ المرفوع بالابتداء، التي أقرها النحاة العرب القدماء، وذلك للأدلة الآتية:

- لا يمكن اعتبار فاعل الجملة الاسمية محتلاً للموقع م2 موقع خارجي، بل يحتل الموقع م0 كموقع داخلي للحمل متقدماً على محموله، تسند إليه وظيفة البؤرة أو وظيفة المحور.
- بإمكان أدوات الصدور (أداتي الاستفهام الهمزة وهل، إن، ما ...) أن تتقدم عليه في حال الاستفهام مثلاً، فلا يمكن اعتباره مبتدأ، ولو كان كذلك لما صحَّ أن يُسبق بمكون آخر.
- ارتباط محمول الجمل الاسمية بالفاعل المتقدم عليه ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ (الضمير المستتر يعود على الاسم الموصول) لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا، ولا يمكن أن يأخذ وظيفة تداولية (بؤرة مثلاً) إلا إذا أُحيل إلى فاعله الذي تقدم عليه.

ويمكن ملاحظة الفرق من خلال المثال الآتي:

- قال الله تعالى: ﴿الطَّلُوقَ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنِ...﴾¹
- قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾².

¹ سورة البقرة، الآية 229.

² سورة التوبة، الآية 71.

نجد كلاً من المكونات (الطَّلَاقُ \ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ) مكونات متحدث عنها، فالتشابه حاصل هنا بين المحور والمبتدأ، مما أفضى إلى ورود التباس بين الوظيفة الداخلية والخارجية لكل منهما بالنسبة للحمل، إلا أن الفرق واضح في الخصائص التركيبية والتداولية لكل منهما؛ فالمحور مكون متحدث عنه داخل الحمل بوصفه مكوناً داخلياً من مكونات الحمل، حيث يأخذ وظيفة دلالية ووظيفة تركيبية وفق النمط الإسنادي الآتي:

ج إ ← م إ + م، كما هي الحال بالنسبة للجملة (2)

ج ف ← م + م إ

أما المبتدأ فهو مكون متحدث عنه خارجي بالنسبة للحمل، حيث يأخذ وظيفة تداولية فحسب وفق النمط الإسنادي الآتي:

ج إسمية ← مبتدأ + (م إ + م)، كما هي الحال بالنسبة للمثال الأول.

ج إسمية ← مبتدأ + (م + م إ)، كما هي الحال بالنسبة للمثال الثاني.

وبالتالي يحتوي المثال الثاني على وظيفة خارجية، وهي: المبتدأ (الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ)، ووظيفة داخلية، وهي: المحور (بَعْضُ) المتحدث عنه بصفة أخرى، أي: مسوّر بلفظ (بعض)، ويأخذ الوظيفة الدلالية المنفذ.

ويحتلّ المكون المحور في الجمل الرباطية (4-5) المسندة إليه وظيفة الفاعل الموقع التي تُحوّله إياه وظيفته الدلالية أو وظيفته التركيبية، الوارد مباشرة قبل موقع المحمول، كما يمكن أن يحتلّ الموقع م Ø بمقتضى قاعدة الموقعة¹:

جوازاً

مح ← م Ø

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 100.

بعد تطبيق قاعدة إدماج الرابط - كما أسلفنا - نحصل على البنية الآتية في الأمثلة السابقة (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) و (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً):

1- مض كان ف عليما حكيما بوجد (س1: الله (س1)) منف فا مح

2- مض ما كان لينفروا ف بؤمقا (س1: المؤمنون (س1)) منف فا مح

ولتحديد الحالات الاعرابية للمكونين التداوليين الداخليين (البؤرة والمحور) في الجمل الربطية، يجب تطبيق قاعدة إدماج الرابط أولاً لقوة تأثيرها في الحالة الاعرابية التي يأخذها المحمول؛ لأنّ المحمول في الجمل الإسمية يأخذ الحالة الإعرابية الرفع، لكنها تتغير إلى النصب في الجمل الربطية. ولنقم بتطبيق قواعد إسناد الحالات الإعرابية على المثالين السابقين بعد أن قمنا بتطبيق قاعدة إدماج الرابط:

1- كان ط عليما حكيما ص بوجد (س1: الله (س1)) منف فا مح

2- ما كان ط لينفروا كافة ف بؤمقا (س1: المؤمنون (س1)) منف فا مح

تشكّل هذه البنية الوظيفية المحددة إعرابياً دخلاً لقواعد الموقعة التي ترتب المكونات داخل الجملة، ثم يتم تطبيق قواعد إسناد النبر والتنغيم عليها لنحصل على البنية المكونية التي تشكّل دخلاً للقواعد الصوتية.

ثانياً: التمثيل للوظائف التداولية الخارجية في السور المدنية

الوظائف التداولية الخارجية هي المكونات التي لا تنتمي إلى الحمل أو إلى موضوع الحمل، أي المكونات التي ليست حدوداً موضوعات ولا حدوداً لواحق بالنظر إلى المحمول¹. وتسند إلى الحدود: "المبتدأ"، و"الذيل" و"المنادى"، وهي مكونات لا تخضع لقيود الانتقاء التي تخضع لها مكونات الحمل الداخلية؛ لأنها لا تتوافق وعلاقاتها الوفاقية في الحمل الدلالي والتركيب.

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، ص 167.

1- الوظيفة المبتدأ

نقدّم فيه ثلاثة فروع: تعريف المبتدأ ووظيفته، وإسناد وظيفة المبتدأ، وإعراب المكون المبتدأ.

1-1- تعريف المبتدأ ووظيفته

نجد في أصول التراث العربي مفهوماً للمبتدأ، يقترب إلى حدٍّ قريب من وجهة المنظور الوظيفي، سواء الشقّ اللغوي منه أو الاصطلاحي:

أ- المعنى اللغوي، قال "ابن منظور" في مادة (بدأ):

- وَأَبْدَأْتُ بِالْأَمْرِ بَدْءًا: ابْتَدَأْتُ بِهِ.

- وبدأتُ الشيءَ: فعلته ابتداءً.

- والبَدْءُ والبَدْيُ: الأول؛ ومنه قولهم: افْعَلْهُ بَادِي بَدْءٍ.

- وبأدنى الرأي: أوله وابتدأؤه. وعند أهل التحقيق من الأوائل: ما أدرك قبل إنعام النظر؛ يقال:

فَعَلَهُ فِي بَادِيِ الرَّأْيِ¹.

فإذا دققنا النظر في هذه المعاني وجدناها لا تخرج عن عنصرين اثنين، هما:

أ- كون المبتدأ يقع في أول الكلام، وبه يُستفتح، وينطلق به المتكلم إلى المخاطب.

ب- كون المبتدأ قيمة معرفية أولية، نتعرّف من خلالها على نوع المتخاطبين، ثم يتم إدراك معناها

التام بتمام الإسناد بعدها، كما يتم تحيين معناه في التراكيب المتتالية باستعمال الإحالة. مثال ذلك

قولنا: زيدٌ، الذي تعرّفنا عليه في رحلتنا، والدّه توفي يوم أمس.

وقد ورد (اسم الفاعل) من الفعل (بدأ) في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَكُ

إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ تُتَّبَعُ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِآدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ

كُذِّبَتْ ﴿٢٧﴾². يقول صاحب "التحرير والتنوير" في لفظ (بَادِي): «وبادي: قرأه الجمهور - بياء

تحتية في آخره- على أنه مشتق من بدا المقصور إذا ظهر، وألفه منقلبة عن الواو لما تحركت وانفتح ما

¹ محمد بن مكرم أبو الفضل (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، (ط1)، 1300هـ، مادة: بدأ، ج1، ص27.

² سورة هود، الآية 27.

قبلها، فلما صيغ منه وزن فاعل وقعت الواو متطرفة فقلبت ياء. والمعنى: فيما يبدو لهم من الرأي دون بحث عن خفاياه ودقائقه»¹.

نستنتج من خلال ما تقدّم، أن المبتدأ ما سمي بهذا الاسم، إلا وله قيمة ورتبة أولية تُفهم وتؤخذ بعين الاعتبار، قبل اتّخاذ الخطاب بعده الوجهة البلاغية الجديدة.

ب- المعنى الاصطلاح:

المبتدأ: هو المتحدث عنه في الجملة الاسمية، ويعني: المحكوم عليه أو المخبر عنه أو المسند إليه، ويقع في أول الجملة لفظاً أو رتبة².

ومن وجهة المنظور الوظيفي فإنه يرى المبتدأ على أنه وحدة مستقلة يفصل بينها وبين الجملة فاصلة، يقول "سيمون ديك"³: «المبتدأ هو ما يحدّد مجال الخطاب، الذي يُعتبر الحملُ بالنسبة إليه وارداً»⁴. فيكون المكون المبتدأ إذن، متميّزاً بالنسبة إلى الوظائف التركيبية على أنه يتموقع خارج الحمل، ويكون الحمل نفسه تابعاً له، محدّداً مجال خطابه.

ونضرب هنا مثالا للتوضيح:

- البلادُ، يقوم عليها رجالها.

البلاد: مكون مبتدأ ووظيفة تداولية خارجية؛ لأنه يتموقع خارج الجملة متصدّر للتركيب كلّ، لا يستقلّ بمعناه لوحده بل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما أُسندَ إليه من حملٍ، فالحمل محمول معناه على المبتدأ الذي يحدّد مجاله كما يتّضح من الترسّيمة العامة التالية⁴:

- # à [محمول (س1) ... (سن) (ص1) ... (صن)] à #

- حيث à = مكون خارجي، و # = فاصل تطريزي

¹ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص48.

² أحمد مختار عمر (وآخرون)، النحو الأساسي، منشورات دار ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ط4 1414هـ\1994م، ص335.

³ سيمون ديك 1978م، ص19.

⁴ أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، دار الأمان، الرباط-المغرب، منشورات الاختلاف-الجزائر، منشورات ضفاف-بيروت، ط1 1437هـ\2016م، ص443.

من خلال التعريفات السابقة للمبتدأ (الغوية والاصطلاحية)، وحصر هذه الوظيفة خارج الحمل على أنها وظيفة متباينة بالنسبة إلى باقي الوظائف الأخرى، يمكن أن ألخص دوره أثناء العملية التخاطبية في كونه:

أ- يُحدّد مجال الخطاب لما يأتي بعده:

فيكون المبتدأ هو موضوع الخطاب، أو الموضوع الذي يركز عليه الخطاب، كونه يقع في أول الكلام، وبه يُستفتح، وينطلق به المخاطب إلى المخاطب. نقدّم مثلاً لذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾¹.

فالفعل (قل) فعل إنجازي ومنجزه جملة (هو الله أحد)، والضمير يعود على لفظ الجلالة الذي جاء بعد الضمير، وهذا الأخير يأخذ الوظيفة التداولية المبتدأ، يُحدّد مجال الخطاب على أنه ضمير شأن وموضع تعظيم، كأنك قلت: الشأن هو، وهو أن الله واحد لا ثاني له، والجملة بعده خبر مفسّرة له، وهذا الضمير (هو) هو المتحدث عنه فيما بعده، وهو المسؤول عنه في الواقع لما رُوي في الأسباب التي دعت إلى نزولها، أنهم قالوا للرسول - صلى الله عليه وسلم - : صف لنا ربك، وانسبه. فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فيحيل الضمير إلى الحمل (الله أحد) وهو الشأن الذي هو عبارة عنه².

ب- يُعتبر الحمل بالنسبة إليه وارداً: مع تموقعه خارج الجملة وتصدره التركيب واستقلاله عنه بنيوياً، إلا أن المبتدأ لا يكون للخطاب بعده معنى عند المتلقي إلا بالعودة إليه (الإحالة)، لما له من خصائص تأمله لأن يكون المخاطب قادراً على التعرّف على ما تُحيل عليه العبارة، فلو كانت الإحالة على شيء مجهول مثلاً سيكون لحناً تداولياً، والإحالة معيار تداولي، فمثلاً إذا قلنا: رجلٌ سافر أبوه. جملة لاحنة في مقابل: زيد سافر أبوه. والسبب في ذلك أنّ الإحالية ترتبط بالمقام أو المعرفة المشتركة بين المتكلم والمتلقي³.

¹ سورة الاخلاص، الآية 01.

² ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج 8، ص 446.

³ هاجر محمد إبراهيم الجويلي، الوظائف التداولية في التوجه النظري، مقال في مجلة كلية اللغات، جامعة طرابلس-ليبيا، العدد: 15 مارس 2017م، ص 25.

1-2- إسناد الوظيفة المبتدأ

تسند الوظيفة الخارجية المبتدأ إلى العنصر الخارج عن الحمل، الذي يشكل بداية تحديد مجال الجملة أو الخطاب، سواء أكان مفردة أم جملة، ويتميز بخصائص عن غيره من المكونات الخارجية تأهله لأن يتبوأ هذه الرتبة، ومن خلالها تسند إليه هذه الوظيفة، ومن هذا المنطلق نحدد أهم خصائص المبتدأ¹:

أ- يقوم المكون المبتدأ بدور تحديد مجال الخطاب أو النص الذي يليه، على أساس أن عملية التخاطبية عموماً تقوم على ركنين أساسيين: خطاب (ملفوظ\ مكتوب) ومجال لهذا الخطاب.

قال الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ هُوَ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ٢٧﴾².

- الزبد: مبتدأ يؤدي وظيفة تداولية خارجية تحدد مجال الخطاب عن الزبد، ويدل عليه أيضاً حرف الشرط والتفصيل "أما"، يكون تفصيله (فَيَذْهَبُ جُفَاءً).

ب- بروز خارجية المبتدأ بالنظر إلى الجملة التي تليه لأنه يُفعلت من حيز قوتها الإنجازية، بل إنه يمكن أن ينفرد بقوة إنجازية تخصّه، مباينة للقوة الإنجازية المواكبة للجملة. فهو بذلك لا يأخذ سوى الوظيفة التداولية (المبتدأ)، وليس له إمكانية أخذ وظيفة دلالية ولا وظيفة تركيبية؛ لأنه لا يُعتبر حداً من حدود البنية الحملية، بل هو خارجها ويختلف بذلك عن بقية المكونات الأخرى كالمحور، ولا يخضع لقيود الإنتقاء التي يضعها الفعل أو ما يشبهه؛ باعتباره محمولاً لا يشكل موضوعاً من موضوعاته³.

- قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَلَّمَآ عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٥٠﴾⁴.

¹ أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، ص 443.

² سورة الرعد، الآية 17.

³ ينظر: عبد الصمد لميش، بنية الخطاب في الحوار المسرحي (مسرح توفيق الحكيم أنموذجاً)، رسالة دكتوراه علوم، تخصص: اللسانيات وتحليل الخطاب، إشراف: يحي بعبطيش، كلية الآداب واللغات-قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة-الجزائر، ص 156.

⁴ سورة البقرة، الآية 100.

- **أَكْثَرُهُمْ**: مبتدأ يؤدي وظيفة تداولية خارجية، وله قوة إنجازية منفردة ومباينة للقوة الإنجازية المواكبة للجملة الخبرية التي بعده، فتقدير الكلام: أكثر هؤلاء الذين عاهدوا عهداً على أنفسهم ونبذوه، لا يؤمنون.

ج- يرد المكون المبتدأ في مستوى البنية التطريزية، مفصلاً بينه وبين الجملة التي تليه بوقف يرمز إليه خطأً بفاصلة.

د- يظلّ المبتدأ مرتبطاً بما يليه من الجملة بشرط الوجود وترادف المعاني، الذي إن خُرق أدى خرقه إلى جملة غير سليمة تداولياً، رغم أنه عنصر خارجي، لكن ارتباطه الدلالي الغير صالح لم يؤدّ الوظيفة التوجيهية لمجال الخطاب المنوطة به. مثل قولنا:

- بابُ الدارِ، جدرانُه ناعمةٌ

- وما تعارف عليه القوم أنّ للدار جدراناً، وليس للباب إلا دفتان ومصرعان. فاخترق شرط الوجود في المثال السابق للتحديث بصفات الدار عن الباب.

هـ- في الأغلب يتم الربط بين المبتدأ والجملة التي تليه بضمير يعود عليه، وهو ما ندعوه بالربط الإحالي.

يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾¹. لما ذكر الله تعالى أنّ المنافقين بعضهم أولياء بعض ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ووصفهم بضد ما وصف به المنافقين، فقال: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَي: ذكورهم وإناثهم بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ في المحبة والموالاتة، والانتماء والنصرة². فذكر المؤمنين والمؤمنات مفصلة على أنها مبتدأ (وظيفة تداولية خارجية)، ثم جمعهم على لفظ واحد (بَعْضُهُمْ)، ثم نُسب اللفظ إلى غيره لِيُشكّل جملة إسمية جديدة، تؤدي قوة إنجازية خاصة (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)، تحتوي على ضمير يربط القوة الداخلية بالقوة الخارجية، ويعلّق المعنى ببعضه بما يسمى الربط الإحالي.

¹ سورة التوبة، الآية 71.

² عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المآن، ص358.

و- المبتدأ مكون تداولي معرفي، مرتبط بالمقام عامة وعند استخدام الإحالة خاصة، أو على وجه التحديد مرتبط بالوضع التخاطبي بين المتكلم والمخاطب، أي أن يكون المتكلم والمخاطب على قدر من المعرفة المشتركة بالموضوع، وأن يتعرّف المخاطب على ما سيحدث عنه قبل أن يُحدث¹. وهذه الخاصية فرضها التوجه الوظيفي التداولي لظاهرة المبتدأ، ونجد مثله عند نخاة العربية الأكارم أمثال:

- "ابن منظور" في تعريفه اللغوي للمبتدأ حين قال: «.. وبادئ الرأي: أوله وابتداءؤه. وعند أهل التحقيق من الأوائل: ما أدرك قبل إتمام النظر؛ يُقال فعله في بادي الرأي»²

- و"سيبويه" حين قال: «ألا ترى أنك لو قلت: (ما زيد عاقلاً أبوه) نصبت وكان كلاماً ... ولو قلت: (ما زيد عاقلاً عمرو) لم يكن كلاماً لأنه ليس من سببه»³.

- ففي المثال الأول: الكلام بين المتكلم والمخاطب سببه والد زيد، فالمعرفة المشتركة بين المتخاطبين عن سبب الخطاب جعلت الجملة المنطوقة والمسموعة بينهما كلاماً.

وأما في المثال الثاني: لم يجعله كلاماً؛ لأنّ عمراً غير معلوم عند المخاطب فلا يجعله كلاماً حتى يُعرّف بعمرو، أو يسأل من هو عمرو؟ فيردّ عنه: زيد أبوه عمرو، فيتعرّف على عمر أنه أبو زيد حينها يربط الخطاب الأول بالثاني. فنعود بذلك إلى أصل كلامنا وهو: خاصية المعلومة المشتركة، وهي: «ألا يكون الحكم فيها عاماً غير مخصوص بشيء»⁴. كأن يكون مخصوصاً بالمقام والمناسبة التي نزل بها.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁵

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص120.

² محمد بن مكرم أبو الفضل (ابن منظور)، لسان العرب، مادة: بدأ، ج1، ص27.

³ عمر بن عثمان بن قنبر أبو بشر (سيبويه)، الكتاب، ج1، ص31.

⁴ فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1 1421هـ \ 2000م، ص7.

⁵ سورة البقرة، الآية237.

تشتمل هذه الآية على جملة اسمية مركبة، جاء فيها المسند إليه وحدة إسنادية فعلية مصدرية ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾، مؤلفة من فعل مضارع منصوب بالحرف المصدرى (أن). تُسندُ إليها الوظيفة التداولية الخارجية المبتدأ، كونها تؤول بمصدر صريح (عَفْوُكُمْ، أقربُ للتقوى)، وإن كانت تختلف في الدلالة مع المصدر المؤول، إلا أن بعض الباحثين ذهبوا إلى أن المصدر المؤول يعود إلى المصدر الصريح عوداً تاماً، يقول الباحث "محمد عيد": «أظن أنه من نافلة القول أن أشرح معنى المؤول، فإن الاسم نفسه يشعر بأنه قد تأول إلى مفرد فيقع موقعه الإعرابي»¹، يركّز هذا القول في فهم المصدر الصريح من المؤول على الجانب الموقعي، والمنتظر من المبتدأ أن يؤدي الوظيفة الخارجية بحسب موقعه، الذي من خلاله يضغ المتلقي كشريك في المعلومة، لذلك عند استبدال المصدر المؤول بالمفرد، فإنه تصوّر لفهم جوانب التركيب الاسنادي القائم على مجرد اتّضح تأويل ذلك التركيب بفرد².

و (العفو) لفظ طرح في الآية قبل هذا الاسناد، فقد أصبح معلوم لدى السامع، ولتكون مُفعلة أُسندت للتقوى، قال "ابن عباس": «أقربهما للتقوى الذي يعفو»³، ولكن عبّر بالمصدر المؤول بدل الصريح، ذلك أنها تضيف معنى آخر يأتي من الفعل المضارع المسند إلى واو الجماعة؛ إذ تفيد التجدد والحدوث والتكرار والمداومة، وأساس ذلك أن الفعل المضارع أقرب إلى الاسم⁴، لما فيه من معنى الاستمرار، وبخاصة حين اقتران هذا المضارع بحرف مصدرى، ذلك أن هذا الحرف يزيد الفعل قرباً من الاسم من حيث الدلالة تلك⁵.

¹ محمد عيد، المصادر واستعمالها في القرآن الكريم، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، (د.ط) 1979م، ج1، ص267.

² رابع بومعزة، تيسير تعليمية النحو (رؤية في أساليب تطوير العملية التعليمية من منظور النظرية اللغوية)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1 1430هـ\2009م، ص75.

³ اسماعيل ابن كثير (الحافظ أبو الفداء)، تفسير القرآن العظيم، ص303.

⁴ ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، (د.ط) 2006م، ص53.

⁵ محمد طاهر الحمصي، من نحو المباني إلى نحو المعاني (بحث في الجملة وأركانها)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، (د.ط) 2003م، ص29.

1-3- إعراب الوظيفة المبتدأ

1-3-1- موقع المبتدأ:

يحتلُّ المبتدأ الموقع (م2)، ويعدُّ هذا الموقع خارجياً في الوظائف التداولية بالنسبة للبنية الحمليّة للجملة، وحسب البنية الموقعية الآتية¹.

م4، م2، م1، هـ ف فا (مف) (ص)، م3

حيث إنّ :

- م4: تمثل الوظيفة الخارجية (المنادى).

- م2: تمثل الوظيفة الخارجية (المبتدأ).

- م3: تمثل الوظيفة الخارجية (الذيل).

فإن المبتدأ يقع خارج البنية الحمليّة، أي يُبتدأ به الخطاب، وعليه يأخذ الحالة الاعرابية الرفع بموجب الابتداء ويقدم المتوكّل لموقعه ذاك أدلة لخارجيته أجملها في النقاط الآتية²:

- لا يشكّل المبتدأ موضوعاً من موضوعات الفعل (أو ما يُشابهه)، باعتباره محمولاً.

- المبتدأ لا يخضع لقيود الانتقاء التي يضعها الفعل (أو ما يُشابهه) بالنسبة لموضوعاته.

- المبتدأ غير خاضع لمطابقة المحمول في التذكير والتأنيث أو التثنية والجمع...

- عدم دخول المبتدأ في القوة الإنجازية للجملة يجعله مكون خارجي، حيث تكون هذه القوة

منصّبة فقط على الحمل، وليس معنى أن يكون المبتدأ خارج بنية الحمل أن تليه أيّ جملة، وما يدعم

هذا ما قاله "سيمون ديك" في تعريف المبتدأ الذي يعتبر فيه الحمل بالنسبة إليه وارداً.

نضرب مثلاً لذلك، قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ

اللّٰهِ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾³.

¹ ينظر: أحمد المتوكّل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص116.

² ينظر: المرجع نفسه، ص117.

³ سورة المائدة، الآية38.

يشكّل كلاً من لفظ (السارق \ السارقة) وظيفة المبتدأ، وتأخذ الحالة الاعرابية الرفع، ويعدّ الحمل بعده معلّق به، وعند النظر في هذه الوظيفة نجدها:

- تحتل الموقع الخارجي (م2) من الوظائف التداولية.

لا يشكّل المبتدأ (السارق \ السارقة) موضوعاً من موضوعات الفعل (اقطعوا)، فالأمر للمؤمنين بأن يطبقوا شرع الله على من يسرق بأن يقطعوا يده (أيديهما)، وقد جاءت على صيغة المثني متبوعة برابط يعود على المبتدأ، ويأخذ المبتدأ ﴿السَّارِقُ \ السَّارِقَةُ﴾ موقع المتصدر للخطاب (م2) ولا يتجاوز إلى الحمل بعده، لذلك يقدّر "سيبويه" خبره المحذوف بعده بـ (فيما يتلى عليكم) أو (فيما فرض عليكم حكم السارق) فقد حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه¹، فهو بذلك لا يخضع لقيود الانتقاء التي يضعها الفعل ﴿فَاقْطَعُوا﴾ بالنسبة لموضوعاته، ولا يخضع لمطابقتها في التشية والجمع.

1-3-2- إعراب المكون المبتدأ:

انطلاقاً من الملاحظات السابقة في مفهوم الوظيفة المبتدأ، وطبيعة الخصائص التي يميّز بها وموقعه الخارجي عن البنية الحمليّة للجملة، يمكن أن تتحدّد حالته الاعرابية وفق النظرة الآتية²:

أ- يشمل مفهوم الاعراب في مفهومنا، الحالات الاعرابية التي تلحق بمكونات الجملة مثل: (حالة الرفع) و (حالة النصب). وتلحق هذه الحالات الاعرابية عن طريق صنف من قواعد التعبير، التي يتمّ بواسطتها بناء البنية المكونية.

وتتحدّد الحالات الاعرابية حسب العلاقات القائمة بين المكونات، فيأخذ كلّ مكون حالته على أساس دوره الدلالي أو وظيفته التركيبية أو وظيفته التداولية الملحقة به. وعليه فإن المكون الذي تلحق به الوظيفة المبتدأ، فإنه يأخذ حالته الاعرابية حسب هذه الوظيفة.

¹ محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط 1430هـ \ 2009م، ج3، ص103.

² ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص127.

ب- الحالة الاعرابية التي يأخذها المبتدأ بحكم وظيفته التداولية هي الرفع، على غرار مكونات أخرى مثل الفاعل والذيل.

وإذ يمكن تحديد الحالة الاعرابية للمبتدأ، وجب التفصيل في ذلك اتّباعاً لموقعه وتشابحه مع بعض المكونات الأخرى، تحقيقاً للكفاءة الوظيفية التي تتميّز بها مثل هذه التراكيب الاسنادية، التي يكون فيها المبتدأ جزءاً فاعلاً في تحريكها داخل المقام، ومن هنا نأخذ القاعدة الآتية نصب أعيننا:

- مبتدأ، [حمل]

وقد تناول نخبة العربية القدماء مسألة رفع المبتدأ بشيء من التفصيل، واختلفوا في سبب رفعه، فمنهم من أرجعه إلى الابتداء، ومعنى الابتداء: التّنبّه والتعريّة عن العوامل غيره، وهو أول الكلام وإثماً يدخل الجار والناصب والرافع سوى الابتداء على المُبتدأ، والابتداء والمبتدأ يرفعان الخبر .

وقد ذكر "سيبويه" في "الكتاب" ما يحمل ذلك المعنى فقال: واعلم أن المبتدأ لا بد له من أن يكون المبني عليه شيئاً هو هو، أو يكون في مكان أو زمان. وهذه الثلاثة يُذكر كل واحدٍ منها بعد ما يُبتدأ. فأما الذي يُبنى عليه شيء هو هو فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، وذلك قولك: عبد الله منطلق؛ ارتفع عبد الله لأنه ذكر ليبنى عليه المنطلق، وارتفع المنطلق لأن المبني على المبتدأ بمنزلته¹.

فقد جعلوا العامل اللفظي والمعنوي هو الموجد لحركات الإعراب، فأسندوا العمل للعامل، وأهملوا صاحب العمل (المتكلم) الموجد له والمسؤول عن اسناده وترتيبه، وقد تنبّه بعضهم إلى دوره التداولي صوتياً وصرفياً وتركيبياً فردّوا إليه الأمر، وجعلوه الرفع للمبتدأ. قال "ابن جني": ألا تراك إذا قلت: ضرب سعيد جعفرًا، فإن ضَرَبَ لم تعمل في الحقيقة شيئاً، وهل تحصل من قولك: ضرب إلا على اللفظ بالضاد والراء والباء، على صورة فعل، فهذا هو الصوت، والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوباً إليه الفعل.. فأما في الحقيقة ومحصل الحديث، فالعمل من الرفع والنصب والجرّ والجزم، إنما هو

¹ عمر بن عثمان بن قنبر أبو بشر (سيبويه)، الكتاب، ج1، ص177.

المتكلم نفسه لا لشيء غيره، وإنما قالوا: (عامل) لفظي ومعنوي لما ظهرت أثر فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ أو باشتغال المعنى على اللفظ وهذا واضح¹.

كما يأتي ردُّ "ابن مضاء" في كتابه "الرد على النحاة" موافقاً لهذا المنحى، حيث أوضح أن عمل المتكلم يكون مسبباً عن لفظ يصحبه، لا أن اللفظ هو الذي يحدث العمل. والمتكلم هو الالفاظ أولاً وآخرًا.

ونشير في نهاية حديثنا عن إعراب المبتدأ إلى أن المتكلم يرفعه أو يلحق به الرفع مخاطبة به المتلقين، واستفتاحاً لما سيذكر به الخطاب، ولا يتبوأ المبتدأ هذه المكانة إلا وهو خارج الحمل في إطار عملية الزحلفة (قاعدة تحويل النقل) التي نقل بموجبها إلى صدر الخطاب، وتُخرجه من شبه الوظائف التي تلابسه مثل: المحور والبؤرة.

1-4- وظائف تلابس المبتدأ:

يمكننا أن نزيل اللبس الحاصل بين المبتدأ والمحور والذيل والبؤرة من خلال الجداول الآتية:

1-4-1- المبتدأ \ المحور: كثيراً ما نجد الخلط بين المصطلحين في مباحث أكاديمية

تبنّت المنهج الوظيفي في دراستها، فتعرب الأول على أنه الثاني أو العكس أو تجعلهما شيئاً واحداً على أساس الجمع بين المتقدمين والمتأخرين من النحاة، فيأخذون من المتأخرين المصطلح ومن المتقدمين الاعراب، وهذا راجع إلى الخلط المصطلحي بين الوظائف.

أ- أوجه التشابه بين المبتدأ والمحور:

المبتدأ \ المحور	
كلاهما وظيفتان تداوليتان تقومان على فكرة المحدث عنه	وجه التشابه
يتجاوران من حيث الموقع حين يتصدّر المحور الجملة	02
تماثل الحكم الإعرابي لكليهما وهو الرفع؛ إذ يرفع المحور أحياناً	03
خضوع كليهما لشرط الإحالية إذا كان المحور متصدّر الجملة	04

¹ عثمان بن جني (أبو الفتح)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، (د.ط) 2008م، ج1، ص109.

ورغم هذا الائتلاف إلا أنه يمكن أن نعتبر أن كلا من وظيفة المبتدأ والمحور وظيفتان متميزتان لكل منهما وظيفة خاصة في الخطاب.

ب- أوجه الاختلاف بين المبتدأ والمحور:

الوظيفة المحور	الوظيفة المبتدأ
وظيفة داخلية تنتمي إلى الحمل وتشاركه في الحديث عنه والمبتدأ والاخبار عنه	وظيفة خارجية لا تنتمي إلى الحمل ولا يُشكّل جزءاً منه وإنما هو يمثل مجال الخطاب.
يُشكّل المحور موضوعاً من موضوعات الحمل في البنية المحمولية فيأخذ الوظيفة الدلالية والوظيفة التركيبية بالاضافة إلى الوظيفة التداولية	لا يُشكل المبتدأ موضوعاً داخل الحمل بل خارجه لذلك لا يأخذ إلا الوظيفة التداولية الخارجية فقط
يدخل في حيز القوة الانجازية للجملة الخبرية التي ينتمي إليها ولا يتصرف عنها	له قوة إنجازية منفردة ومباينة للقوة الإنجازية المواكبة للجملة المخبرة عنه
ليس من الضروري أن يأخذ موقع المتصدر للجملة وإذا تصدّرها فإنه لا يُجاوز الموقع (مØ) إذا كان غير فاعل والموقع (فا) إذا كان فاعلاً وكلاهما موقع داخلي	من الضروري أن يأخذ موقع المتصدر للخطاب (م2) وإذا خالف هذا الأمر لا يكون مبتدأ
شرط الإحالية لا يصدق على المحور في كل أحواله ولا يقيده إلا في حال تصدّره للجملة	شرط الإحالية يصدق على المبتدأ في كل أحواله ويعلّقه بالجملة التي بعده

1- 4- 2- المبتدأ \ البؤرة: من المعلوم أن البؤرة بؤرتان:

بؤرة الجملة: وهي عندما تكون البؤرة برمتها مبالغة. وهذا النوع لا يعيننا هنا، لأنه لا يتداخل بينه وبين الوظيفة المبتدأ؛ إذ المبتدأ مكون وهذا جملة.

بؤرة المكون: وذلك عندما يكون أحد مكونات الجملة فقط مبالغة، وهذا النوع قد يتداخل مع مفهوم المبتدأ، والذي نعنيه هنا بالضبط هو المكون المسندة إليه "بؤرة المقابلة"؛ إذ إنه المكون الذي يحتلّ صدر الجملة الواقعة بعد المبتدأ، لذلك نعرض أهم أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

أ- أوجه التشابه:

المبتدأ \ البؤرة	
وجه تشابه 01	كلاهما وظيفتان تداوليتان مخبر عنهما إذا تصدر المكون المبأر الجملة
وجه تشابه 02	يتجاوران من حيث الموقع حين تتصدّر البؤرة الجملة
وجه تشابه 03	تشارك البؤرة المبتدأ في حال ورودها معرفة
وجه تشابه 04	تماثل الحكم الإعرابي لكليهما وهو الرفع؛ إذ الرفع من الحالات الاعرابية التي تلحق البؤرة المتصدرة للجملة

ورغم هذا الائتلاف إلا أنه يمكن أن نعتبر أن كلا من وظيفة المبتدأ والبؤرة وظيفتان متميزتان لكل منهما وظيفة خاصة في الخطاب.

ب- أوجه الاختلاف بين المبتدأ والبؤرة:

الوظيفة المبتدأ	الوظيفة البؤرة
يُحدّد المبتدأ على أنه المعلومة المشتركة بين المتكلم والمخاطب الداخلة في نطاق الوضع التخاطبي بينهما (المعرفة المشتركة)	تُحدّد البؤرة على أنها الوظيفة التي تلحق المكون الذي يحمل المعلومة الجديدة؛ أي المعلومة غير المشتركة بين المتخاطبين
لا يُشكل المبتدأ موضوعاً من موضوعات المحمول كونه يتموقع خارج نطاق الحمل	تشكل البؤرة على مستوى البنية المحمولية موضوعاً من موضوعات المحمول كونها وظيفة داخلية
لا ينتمي إلى حيز القوة الإنجازية للجملة بل له قوة إنجازية منفردة ومبانية للأولى	يسقط في حيز القوة الإنجازية للجملة ولا يمكن أن يتقدّم عليها
يأخذ المبتدأ موقع المتصدر للخطاب (م2) الموقع الخارجي ولا يتقدم إلى موقع آخر	حين يرد المكون المبأر أول الجملة يحتل الموقع الداخلي (م0)
يأخذ المبتدأ الحالة الاعرابية الرفع الملازمة له بموجب وظيفته التداولية نفسها	يأخذ المكون المبأر الحالة الاعرابية الرفع أو النصب بحسب الوظيفة التركيبية التي يشغلها (الفاعل أو المفعول)
شرط الإحالية يصدق على المبتدأ في كلّ أحواله ويعلّقه بالجملة التي بعده	المكون المبأر من حيث تعريفه أو تنكيهه يخالف المبتدأ بكونه لا يخضع لشرط الإحالية (في أغلب الأحوال يأتي نكرة)

وما يُمكن استنتاجه من خلال هذه الملاحظات، التمايز الواضح بين المبتدأ (وظيفة تداولية) وبعض الوظائف الأخرى أو مصطلحات النحو القديم، وبالتالي لا يمكن الاستمرار في إطلاق نفس المصطلح عليها.

2- الوظيفة الذيل

نقدّم في هذا المطلب فرعين: تعريف المكون الذيل وأقسامه، وإعراب المكون الذيل.

2-1- تعريف المكون الذيل وأقسامه

يطلق لفظ "الذيل" في اللغة العربية على: آخر كلّ شيء؛ ومنه (ذيل المرأة) و (ذيل الريح) إذا زادت وتركت أثراً بعد مرورٍ، ومنه أيضاً (أذيال الريح) أي مآخرها التي تكتسح بها ما خفّ لها، ومنه جاء أذيال من الناس، أي أواخر منهم قليل¹. ومن ذلك نستطيع أن نلخص المفهوم اللغوي لـ "الذيل" في كونه: يأخذ موقع المتأخر من الشيء، وآخر عنصر من الكلام الذي يترك أثراً على ما قبله.

ومن العناصر التي تتموقع آخر الكلام وتترك أثراً الكلامية في النحو العربي، هي: النعت والتوكيد والعطف والبدل، وكلّها توابع لما قبلها من الجمل أو العناصر؛ فأما النعت والتوكيد والعطف فموقعها داخل الحمل (أي لا يمكن أن يطلق عليها مصطلح الذيل بالمفهوم الوظيفي)، فتتبع في إعرابها ذلك الاسم الموصوف أو الاسم المؤكّد أو المعطوف عليه.

وأما البدل فيقع خارج الحمل بعد انتهاء الجملة، فيذكر للاشتغال أو التصحيح أو التبعض أو التعميم². ويترك أثراً في الجملة باعتبار أنه يعوّض مكوّن قبله أو يقوم مقامه، كذلك نجد للمبتدأ المؤخر والمخصوص بالمدح أو الذم نفس التأثير في الحمل الذي قبله³. لكن ورغم خارجية تلك العناصر لم يطلق عليها في النحو القديم مصطلحاً واحداً يجمعها، وذلك راجع إلى اختلاف طبيعة التحليل بين نحاة العربية القدماء وأصحاب النظرية الوظيفية لمثل هذه الظواهر النحوية، حيث يعتبر نحاة العربية أن العامل المتحكم في الحالة الاعرابية للبدل هو نفس العامل المتحكم في المكون الذي

¹ ينظر: محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، ج 11، ص 261.

² ينظر: محمد بن داود الصنهاجي أبوعبد الله (ابن آجروم)، الآجرومية، شرح: محمد بن صالح العثيمين، تق: عبد الله خليل محمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، ط 1 1424هـ\2004م، ص 272.

³ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 139.

جاء قبله في الحمل، وعامل المبتدأ هو الخبر نفسه، وعامل المخصوص بالمدح أو الذم هو المبتدأ المقدر بالضمير¹. ونضرب أمثلة لذلك، على التوالي:

قال الله تعالى: ﴿لَا يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾^١ رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً^٢، رسول، بدل من البينة، وعامل الرفع فيه هو (تَأْتِيَهُمْ).

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُتُورَ أَن أَمَرَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾^٣، أقفال: مبتدأ مرفوع، وشبه الجملة من الجار والمجرور في محل رفع خبر مقدم للمبتدأ.

قال الله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾^٤، المورود: خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو) أي أن الجملة أصلها (وَبِئْسَ الْوَرْدُ (هو) الْمَوْرُودُ)، أو أن عامله (بِئْسَ)، وهو المخصوص بالذم.

ولكن للنحو الوظيفي رأي آخر، حيث يعتبر أن تلك المكونات لها موقع واحد، وهو خارج الحمل منتمية إليه من حيث المعنى، فلماذا لا تُقدَّم لها اسماً واحداً وهو (الذيل)؟، ولماذا يتم الاعتماد على تحليلات وآراء النحو التحويلي، في فهم علاقاتها الاسنادية بتقدير مكون غير موجود على سطح الجملة؟

يجيب النحو الوظيفي على هذه التساؤلات وغيرها، مستفيداً من الأفكار التي طرحتها التداولية في مراعاة وظيفة المكون داخل الخطاب وسياقه، ومن خلال نظرة شاملة للعلاقات الاسنادية المحققة للكفاءة الوظيفية، لذلك يقترح "أحمد المتوكل" مفهوماً لمصطلح (الذيل)، الذي يشمل مسميات بعض العناصر النحوية القديمة، معتمداً في ذلك على جهود بعض النحويين العرب القدماء، والاقتراحات

¹ محمد البكري الشريشي، التعليقات الوفية بشرح الدرّة الألفية (لابن معط الزواوي)، تح: بركاهم العلوي، دار الرسم للنشر والتوزيع، ج2، القسم5، ص631.

² سورة البينة، الآية1-2.

³ سورة محمد، الآية24.

⁴ سورة هود، الآية98.

التي قدّمها "سيمون ديك"، فنجدّه قد عرّف (الذيل) بقوله: «هو المكون الذي يحمل المعلومة التي توضّح معلومة داخل الحمل أو تعدّلها أو تصحّحها»¹

من خلال هذا التعريف:

- نستطيع أن نطلق حدّاً لهذه الوظيفة بأنّها، إعلام السامع بحدود الخطاب، عن طريق المكون الخارج عن الحمل المزحلّق إلى اليسار وذلك بإسناد الثاني للأول مع وجود رابط بينهما.

- نجد أن "أحمد المتوكل" قد جعل مجموعة من العناصر النحوية على اختلاف خصائصها البنيوية تنتمي إلى وظيفة واحدة ألا وهي وظيفة الذيل، ويجعله المقصود بالذات أو أن ذكره يخدم الحمل من وجوه، ويعلّل المتوكل ذلك بـ«اختلاف الأدوار التي يقوم بها المكون الذيل على مستوى البنية الإخبارية للجملة»²، ومنه نستنتج أن الوظيفة الذيل تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- ذيل التوضيح: هو المكون الخارج عن الحمل المزحلّق إلى اليسار، يقدّم فيه المتكلم معلومة توضّح غموضاً وقع في الحمل الذي سبقه، ذلك لأنه يعتقد أن المخاطب لم يكن ليفهم الخطاب من دون إسناد هذا المكون. مثل:

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ﴾¹ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً² فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ³

يأخذ المكون (رسول) الوظيفة التداولية الذيل، بمقتضى قاعدة إسناد الوظائف، ويوضّح هذا المكون معنى اللفظ الذي في الحمل قبله (البينة)

ب- ذيل التعديل: هو المكون المذكور خارج الحمل على اليسار، يقوم مقام المكون الأول المذكور قبله في الحمل، يُعدّل به المتكلم المعلومة الواردة، فيجعلها المقصودة بالحكم لغرض يُفهم من السياق. ومثاله:

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 147.

² أحمد المتوكل، المرجع نفسه، ص 147.

³ سورة البينة، الآية 1-2-3.

- قول الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾¹.

يأخذ المكون (حَمِيَّة) الوظيفة التداولية الخارجية الذيل، وذلك بموجب تموقعه خارج الحمل على اليسار، ويأخذ المكون (حَمِيَّة) الوظيفة ذيل التعديل من المكون الداخلي (الحَمِيَّة) المبدل منه، ويقوم مقامه لتطابقهما في التعريف والحركة الإعرابية والتأنيث والإفراد.

فالحَمِيَّة الأولى للعموم (الألف واللام الاستغراقية) وتعني الأنفة، يقال: فلان ذو حَمِيَّة، أي: ذو أنفة وغضب، أي: جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم². وحمية الثانية هي المكون المتأخر الذي يأخذ وظيفة الذيل، ويترك أثراً على ما قبله ليُعدّله، لا يذهب المتلقي إلى غيره من تفاسير العموم، ولا يتسنى له ذلك، فحمية قيدت المعنى بعد أن عدّلت في الأذهان على أنه يقصد ﴿حَمِيَّة الْجَاهِلِيَّة﴾، وهي التي دخلت قلوبهم معرفة بالإضافة، قال "الزهري": حميتهم أنفتهم من الإقرار للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة³.

ج- ذيل التصحيح: هو المكون المذكور خارج الحمل على اليسار، يُعوّض المكون الأول المذكور قبله في الحمل، يُصحح به المتكلم خطأً ذكر المكون الأول. وهذا النوع يكون في كلام الناس أو من غلط، ولا يقع في القرآن الكريم أو الحديث. يقول صاحب كتاب المقتضب: «..فهذه ثلاثة أوجه (يقصد بها أوجه البدل الثلاثة: بدل الشيء من الشيء وبدل البعض من الكل وبدل الإشتغال) تكون في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام مستقيم.

¹ سورة الفتح، الآية 26.

² ينظر: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير (الجامع بين في الرواية والدراية في علم التفسير)، مراجعة: يوسف الغوش، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط 4 1428هـ\2007م، ص 1386.

³ ينظر: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير (الجامع بين في الرواية والدراية في علم التفسير)، ص 1386.

ووجه رابع لا يكون في قرآن ولا شعر ولا كلام مستقيم، وإنما يأتي في لفظ الناس أو الغالط، وذلك قولك: رأيتُ زيداً داره، وكَلَمْتُ زيداً عمراً، ومررتُ برجلٍ حمارٍ. أراد أن يقول: مررت بحمارٍ فَنَسِيَ ثم ذكر، فنَحَى الرجل، وأوصل المرور إلى ما قصد إليه أو غِلَط ثم استدرك»¹.

وقد أدرك المتوكل ذلك وجعل هذا النوع من الذيل مستأثراً بالظهور في البنيات الإضرابية، وقد استعمله القرآن الكريم في ردّ أقوال الناس الباطلة أو ردّ شبههم أو بيان الصحيح من الخطأ أو غير ذلك. ومثاله:

– قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾².

اللفظ (أَحْيَاءٌ) في الآية الكريمة تأخذ الوظيفة الذيل، بموجب قاعدة ترتيب المكونات في الجملة، ويقوم هذا المكون بتصحيح عبارة خاطئة (يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ) يقولها الناس، وقد ساقها القرآن الكريم في الحمل قبله، وربطها بقول الناس، لأن هذا النوع لا يمكن أن يوجد في القرآن إلا في مثل هذه المواضع.

ولا يُشترط في هذا النوع من الذيول أن يُحيل إلى ما قبله كذيل التوضيح أو التعديل؛ لأن المعلومة التي يحملها لا يُقصد بها توضيح ولا تعديل المعلومة الواردة في الحمل، بل يُقدّم عوضاً عنها بغرض التصحيح. فقال تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾، مفتوحة بحرف إضراب (بل)، وقد تقدّم على حرف الإضراب هذا نهي في أول الحمل ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾، فأفاد تقرير ما قبله على حاله ﴿يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾، وجعل ما بعده ضدّ الذي قبله (أَمُوتَ ≠ أَحْيَاءٌ) للتصحيح، وهذا واحد من معاني حرف الإضراب (بل) الكثيرة³. لهذا لا يمكن ردّ هذا النوع من الذيول في النصوص الأدبية أو كلام الناس أو حتى النصوص المقدّسة، وذلك للوجهين الآتين:

¹ محمد بن يزيد المبرّد (أبو العباس)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظمة، مطابع الأهرام، القاهرة-مصر، ط2 1399هـ\1979م، ج4، ص305-306.

² سورة البقرة، الآية154.

³ ينظر: محمد بن يعقوب مجد الدين (الفيروز آبادي)، القاموس المحبّط، تح: زكريا جابر أحمد وأنس محمد الشامي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط) 1429هـ\2008م، القاهرة-مصر، حرف: الباء، فصل: اللام، مادة: بَلْ، ص160.

أ- تحقق الشرط التداولي: وهذا ما نجده في الخطاب الذي يحتوي ذيل التصحيح، لاعتناؤه بالمتلقي وقوله المتقدم المطروح في الحمل، وبناءً قول آخر على قوله أو موقفه، فيبقى لجموع المتلقين في كل زمان أو مكان حق التمييز بين معنى الحمل وما جاء به المكون الذيل، وهو تجسيد حقيقي لكفاءة الإسنادات الخطابية، التي تحقق العلاقة التواصلية بين أجزائه ومسانيده، وبين أفرادها المتخاطبة، وتجسيد الاحترام بينها في الاستعمال.

ب- تحقيق الشرط النبوي: وذلك بإدراج الرابط (بل) بين الحمل ومكون ذيل التصحيح كما رأينا في المثال السابق، ويُستعمل في دلالاته على الإضراب.

كما أن بعضاً من أنواع الذبول تعتمد في ارتباطها التداولي على صفة الإحالية، وتوظف في ذلك ضميراً في أغلب الأحوال، وهذا شرط في ذيل التوضيح، باعتباره مكوناً حاملاً لمعلومة تستهدف إزالة إبهام وارد في الحمل¹، بخلاف ذيل التعديل وذيل التصحيح لا يُشترط فيهما أن يكونا عبارتين محيلتين، لأن المعلومة التي يحملها كل منهما لا يُقصد بها إزالة إبهام عن معلومة واردة في الحمل، وإنما يتم تعويضها بغيرها وأخرى تقوم مقامها، وتمييزه عليه حتى يُصرف المخاطب إليه، وهذا لا يعني القطيعة بينهما أبداً؛ فإنه قد يتم استخدام الضمير المحيل أحياناً في ذيل التعديل والتصحيح حسب استدعاء ظروف المقام الموجهة لأسلوب التخاطبي، وهذا ما يجعلنا نعتبر أن الإحالية مفهوم تداولي لا يمكن تجاهل أهميته في بناء أساسات الإسناد؛ إذ إن استخدامه يمنح للخطاب كفاءة التواصل بين أجزاء جملة، ويبيّن انسجامه في ذهن متلقيه. نأخذ لذلك مثلاً:

قوله تعالى: ﴿بَأَيِّهَا الْمَرْمِلُ ۝ فَرَأَيْتَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نَصَفَهُ ۚ وَأَوَاقَصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝﴾².

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 146.

² سورة المزمل، الآية 1-2-3.

2-2- إعراب المكون الذيل

تتموقع الوظيفة الذيل خارج الحمل إلى اليسار وفق ترتيب مكونات الجملة إلى هذا الحد من الفصل:

- مبتدأ، حمل، ذيل.

ورغم موقعه الخارجي، يظلّ مرتبطاً بالحمل ارتباطاً وثيقاً، محققاً صورة الارتباط الاسنادي؛ إذ إنه يُضاف -كما رأينا- لتوضيح معلومة واردة في الحمل أو لتعديلها أو لتصحيحها، ويُضاف إلى هذا الرابط التداولي، روابط بنوية تختلف باختلاف نمط البنيات المذيلة، ومن خلال هذه الروابط تكمن حالات الإعراب للمكون الذيل:

أ- رابط الضمير: ويكون في حالات تأخير المبتدأ عن الخبر، أو كما أعتمد قوله في النظرية الوظيفية زحلقة المكون المبتدأ خارج الحمل إلى اليسار، لكن يرتبط معه بضمير، وهذا في الحال التي تسمى ذيل التوضيح، يُشترط فيه ضمير رابط في أغلب الأحيان، باعتباره حاملاً لمعلومة تستهدف إزالة إبهام وارد في الحمل، وهذا الرابط يلحق المكون الذيل أو المكون المراد إيضاحه، ولا تأثير له في الحالة الاعرابية للذيل، لذلك يأخذ المكون الذيل من خلال هذا النوع الحالة الإعرابية الرفع بمقتضى وظيفته التداولية نفسها.

ب- رابط المحاكاة: وهو رابط التبعية كما يسمى في النحو القديم، وهو رابط معنوي لا يُشترط فيه أن يكون مُحيلاً على الحمل الذي قبله، لأنه عوض عنه، ويأخذ الذيل من خلال هذا النوع حالته الإعرابية بمقتضى الوظيفة الدلالية أو الوظيفة التركيبية، التي يرثها عن المكون المعدل بوصفه (يُعوّض) هذا الأخير، في حالات الرفع أو النصب أو الجزر. ونوضّح ذلك بالمثال الآتي:

- قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ﴾¹ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو

صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۖ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۖ¹

¹ سورة البينة، الآية 1-2-3.

يأخذ لفظ (رسول) الإعراب التقليدي الآتي: بدل من (البَيِّنَةُ)، بدل كل من كل على سبيل المبالغة، جعل الرسول نفس البنية. ويأخذ الوظيفة التداولية الذيل؛ لأنه عوض عن (البَيِّنَةُ) زحزح إلى اليسار ليكون بدلاً عنه، كما يأخذ حالته الإعرابية (الرفع) التي يرثها عن اللفظ الذي قبله، وذلك بمقتضى الوظيفة التركيبية (الفاعل).

ج- رابط حرف الإضراب: وهو الرابط (بل) الذي يعتمد عليه المتكلم لتصحيح المعلومة الواقعة في الحمل، ويأخذ الذيل بعده حالته الإعرابية بمقتضى الوظيفة الدلالية أو الوظيفة التركيبية، التي يرثها عن المكون المعدل بوصفه (يُعوّض) هذا الأخير، في حالات الرفع أو النصب أو الجرّ، ولنأخذ أمثلة لذلك:

- في المثال السابق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾¹. فلفظ (أَحْيَاءٌ) يأخذ الحال الإعرابية الرفع بمقتضى وظيفته التركيبية الفاعل، التي يرثها عن المكون المقصود تصحيحه (أَمُوتَ):

- [يقتل ف (س1: أموات (س1)) منف فا $\frac{\text{الرفع}}{\text{مع}}$
(س2: ي (س2)) مت مف] بؤجد
(ص1: أحياء (ص1)) منف فا $\frac{\text{الرفع}}{\text{ذيل}}$

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾².

تأخذ العبارة ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ الوظيفة الذيل لتأخرها عن الحمل، والمكونان المتحاملان هما عبارة الضمير (هم) سواء في الحمل أو في الذيل، فبدأ بقول القوم ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، وربط بين القولين بحرف الإضراب (بل)، وليس إضراباً عن اللفظ المقول؛ لأنه واقع لا محالة، فلا يضرب عنه، وإنما الإضراب عن النسبة التي تضمنها قولهم: إن قلوبهم غلف؛ لأنها خلقت متمكنة من قبول الحق، مفطورة لإدراك الصواب، وأخبروا عنها بما لم تخلق عليه. ثم أخبر أنهم لعنوا

¹ سورة البقرة، الآية 154.

² سورة البقرة، الآية 88.

بسبب ما تقدم من كفرهم، فهم الذين غلّفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة، وتسببوا لذلك لمنع الألفاف التي تكون للمتوقّع إيمانهم للمؤمنين¹.

هذا النوع من الذيل هو عوض جملة عن جملة، وكلاهما يأخذان نفس الحالة الإعرابية، فجملة (قالوا قلوبنا غلف): لا محل لها استثنائية، وجملة (لعنهم الله): لا محل لها استثنائية، أو هي اعتراضية بين متعاطفين.

- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾².

فالضمير (أنتم) يأخذ الحال الإعرابية الرفع بمقتضى وظيفته التركيبية الفاعل، التي يرثها عن المكون المقصود تصحيحه (نحن)، وكلا الضميران في محل رفع مبتدأ، ويأخذان الوظيفة الدلالية المنفذ والوظيفة التركيبية الفاعل، والوظيفة التداولية الذيل، وهو ذيل التصحيح، رداً لقولهم: نحن أبناء الله، وهو محكي بالفعل (قُلْ)³، وعطف على مقدّر ينسحب عليه الكلام، أي: لستم كذلك بل أنتم بشر، أضرب عن الاستدلال من غير إبطال له إلى استدلال آخر⁴.

- [(س:1: نحن (س:1)) منف فا $\frac{\text{الرفع}}{\text{مح}}$

(س:2: ي (س:2)) مت مف [يؤجد

(ص:1: أنتم (ص:1)) منف فا $\frac{\text{الرفع}}{\text{ذيل}}$

¹ ينظر: محمود بن عمر الزمخشري أبو القاسم (جار الله)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1 1418هـ \ 1998م، ج1، ص295-296.

² سورة المائدة، الآية18.

³ ينظر: عبد الله بن الحسين العكبري (أبو البقاء)، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، مصر الجديدة، (د.ط) 1397هـ \ 1976م، ج1، ص439.

⁴ محمد بن يوسف الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 1413هـ \ 1993م، ج3، ص466.

الملاحظ من الحالات الإعرابية للمكون الذيل، أنه لا يستقرّ على حالة إعرابية واحدة، بل يلزمه الرفع في النوع الأول، ويكون تابعاً لغيره في الأنواع الأخرى، وهذا ما يُميّزه عن غيره من المكونات الخارجية الأخرى كالمبتدأ، الذي يلزمه الرفع دائماً، وهو ما يدعونا إلى وضع نقاط للاختلاف بين الوظيفتين:

أ- أوجه الاختلاف بين المكون الذيل والمكون المبتدأ:

المكون المبتدأ	المكون الذيل
يُحدّد مجال الخطاب الذي يعتبر حمل الجملة عليه وارداً. (يُخبر غيره عليه)	يُضيف إخباراً من شأنه أن يوضّح أو يصحح أو يعدّل ما ورد في الحمل قبله. (يُخبر عن ما قبله)
يضع المتكلم المبتدأ في بداية مجال الخطاب ثم يحمل عليه جملة وارداً حملها عليه (أي يحتل الموقع م2)	ينشئ المتكلم الجملة بداية ثم يضيف إليها عنصر إخبار ما يقتضي السياق (أي يحتل الموقع م3)
تُلحق الوظيفة المبتدأ بالمكون الذي لا يُشكل موضوعاً من موضوعات المحمول كونه يتموقع خارج نطاق الحمل	تُلحق وظيفة الذيل ببعض الظواهر اللغوية في النحو العربي القديم مثل: المبتدأ المؤخر والبدل والمخصوص بالمدح أو الذم... الخ
يأخذ المبتدأ الحالة الإعرابية الرفع الملازمة له بموجب وظيفته التداولية نفسها	لا يستقرّ على حالة إعرابية واحدة، بل يلزمه الرفع في النوع الأول، ويكون تابعاً لغيره في الأنواع الأخرى
شرط الإحالية يصدق على المبتدأ في كلّ أحواله ويعلّقه بالجملة التي بعده	شرط الإحالية لا يصدق على الذيل إلا إذا تعلق الأمر بالنوع الأول (ذيل التوضيح) أو ما يسمى بالمبتدأ المؤخر، إذ جوزوا تنكيره
المبتدأ وظيفة خارجية عن الحمل إلى اليمين، بوصفه المتصدّر للخطاب المنفرد بالقوة الإنجازية	الذيل وظيفة خارجية عن الحمل إلى اليسار، بوصفه المؤخر أو التابع

ورغم هذا التمايز الواضح بين الوظيفة الذيل والوظيفة المبتدأ، إلا أنه يمكن أن نعتبر أن كلا منهما وظيفتان يمكن أن يلتقيا في أوصاف، بحكم أنهما من روافد الخطاب:

الذيل \ المبتدأ	
كلاهما وظيفتان تداوليتان خارجيتان لا ينتميان إلى الحمل	وجه تشابه 01
يعتبر كل منهما منقولاً من الجملة إلى خارجها عن طريق ما يسمى بمفهوم الزحقة (التحويل)	وجه تشابه 02
يشارك الذيل المبتدأ في حال وروده معرفة	وجه تشابه 03
تماثل الحكم الإعرابي لكليهما وهو الرفع؛ إذا لحق الرفع المكون الذيل في المبتدأ المؤخر أو تابع لمرفوع	وجه تشابه 04

وهذه فقط أهم الخصوصيات التي يمكن أن يلتقي فيها الذيل بالمبتدأ، إذ لا بد للمتكلم أن يدرك خصوصية كل مقام لتوظيف هذا أو ذاك أو توظيفهما في خطاب واحد، ومن ثمّ بناء إسناد معلق بمبتدئه أو ذيله، أو ما تقتضيه ظروف الإخبار حسب أهمية العنصر المراد تقديمه أو تأخير، أو ما يحتاجه المتلقي وما يسأل عنه، فإنّ لكل مقام مقال.

3- الوظيفة المنادى

نقدّم فيه ثلاثة فروع: تعريف المنادى وأنواعها، وإسناد وظيفة المنادى، وإعراب المكون المنادى.

3-1- تعريف الوظيفة المنادى وأنواعها

من بين المعاني اللغوية للفظ المنادى: الإظهار، من الفعل نَادَى الشخص، أي: أظهره، ونادى به رفع به صوته¹.

وفي اصطلاح النحاة: هو اسمٌ يدلُّ على طلب المتكلم من المخاطب الإقبال عليه، بواسطة حرفٍ من حروف النداء².

¹ الخليل بن أحمد الأزدى الفراهيدي أبو عبد الرحمن، كتاب العين، تح، مهدي مخزومي، دار الهلال، بيروت-لبنان، ط11423\هـ2002م، ج4، مادة: نادى، ص458.

² يوسف الحمادي ومحمد شفيق عطا، القواعد الأساسية في النحو والصرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة-مصر، ط1 1415\هـ1994م، ص107.

ومن خلال ذلك يمكن اعتبار المنادى طرفاً ثانياً في عملية التخاطب، وهو المقصود بالخطاب عن طريق أسلوب النداء، المرفوع اسمه بالصوت، المبدوء به الخطاب. وقد ذهب الوظيفيون هذا المذهب؛ إذ عرّفه "المتوكل" بقوله: المنادى وظيفة تسند إلى المكون الدال على الكائن المنادى في مقام معين¹. حيث إن هذا المكون يقع خارج الحمل ويتقدّم على المبتدأ في موقعه، أو قد يشكّل حملاً مستقلاً بنفسه. وهذا حسب ترتيب النظرية الوظيفية لمكونات الجملة، وهي أربعة مرتبة حسب ورودها كآليّ: - منادى، مبتدأ، (حمل)، ذيل .

ويعكس ترتيب المتوكل لهذه الوظائف التداولية رؤية منطقية للعملية الحوارية بين المتحدث والسماع؛ إذ عادة ما يبدأ المتكلم حواراً بنداءٍ للفت انتباه السامع، قصد تبليغه الخبر، ثم يحدّد له مجال الخطاب بالمبتدأ، ثم يُنقل الخبر عن مجال الخطاب بواسطة البنية الحملية (الحمل)، وعادة ما يلحق المتحدث كلامه آخر الجملة بعنصر (الذيل) للتوضيح أو التعديل أو التصحيح للمعلومة. وقد أضاف "المتوكل" الوظيفة المنادى، ولم يقف عند ما قدّمه "سيمون ديك" من وظائف سابقة، معلّلاً ذلك بأنه مكون وارد في جميع لغات العالم، وأن الوصف اللغوي الطامح للكفاية اللغوية لا يمكنه إغفال المنادى، خاصة وأنه وارد في اللغة العربية بشكل يلفت الانتباه، واستعماله مرتبط بمقامات كثيرة، وضع له النحاة ضوابط لأسلوبه وأدواته، وأخرى لمحدوف الأداة وعامل النصب وغير ذلك، قال "ابن مالك"²:

النِّدَاءُ

- 573- وَلِلْمُنَادَى النَّاءُ أَوْ كَالنَّاءِ يَا..... وَأَيَّ وَكَذَا أَيَا ثُمَّ هَيَا
574- وَاهْمَزُ لِلدَّانِي وَوَا لِمَنْ نُدِبْ..... أَوْ يَا وَعَيَّرَ وَ لَدَى اللَّبْسِ اجْتُنِبَ
575- وَعَيَّرَ مَنْدُوبٍ وَمُضْمَرٍ وَمَا..... جَا مُسْتَعَاثًا قَدْ يُعَرَّى فَأَعْلَمَا
576- وَذَاكَ فِي اسْمِ الْجِنْسِ وَالْمِشَارِلَةِ..... قَلَّ وَمَنْ يَمْنَعُهُ فَاَنْصُرْ عَاذِلَهُ
577- وَابْنِ الْمَعْرِفَةِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدَا..... عَلَى الَّذِي فِي رَفْعِهِ قَدْ عُهِدَا

¹ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص152.

² محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، متن الألفية (ألفية بن مالك)، المكتبة الشعبية، بيروت-لبنان، (د.ط) (د.ت)، ص38.

578- وَأَنْوَ انْضِمَامَ مَا بَنَوْا قَبْلَ النَّدَا..... وَلِيُجَرَّ مُجَرًى ذِي بِنَاءٍ جُدَّدَا

579- وَالْمُفَرَّدَ الْمُنْكَوَّرَ وَالْمُضَافَا..... وَشَبَّهَهُ انْصَبَ عَادِمًا خِلَافًا

580- وَنَحْوَ زَيْدٍ ضُمَّ وَافْتَحَتْ مِنْ..... نَحْوِ أَرْيَدُ بْنُ سَعِيدٍ لَا تَهْنُ

81- وَالضَّمُّ إِنْ لَمْ يَلِ الْإِبْنُ عَلَمًا..... أَوْ يَلِ الْإِبْنُ عَلَمٌ قَدْ حُتِمَا

582- وَاضْمُومٍ أَوْ انْصَبَ مَا اضْطَرَّارًا نُؤَنَّا..... مِمَّا لَهُ اسْتِحْقَاقُ ضَمٍّ بَيْنَنَا

583- وَبِاضْطَرَّارٍ خُصَّ جَمْعٌ يَا وَأَل..... إِلَّا مَعَ اللَّهِ وَمُحْكِي الْجُمْلَانِ

584- وَالْأَكْثَرُ اللَّهُمَّ بِالتَّعْوِيزِ... وَشَدَّ يَا اللَّهُمَّ فِي قَرِيضٍ

حيث تضمنت هذه الأبيات أحكام النداء، باعتباره أسلوباً للخطاب يحتوي مكون المنادى وما يتعلق به، ولا اختلاف بين نظرة النحاة العرب القدماء لهذه الظاهرة اللغوية، وما يراه أصحاب التوجه الوظيفي المبني على مبادئ النظرية الوظيفية وتصوره لبنية النحو في اعتبارات كثيرة، على أساس أن الوصف للظاهرة اللغوية وصف واحد؛ لأن اللغة واحدة ومن يستعملها واحد، ولكن قد يقع من الخلاف بين القدم والحديث ما يتعلق بالتحليل، وما يفهم من الاستعمال اللغوي، وقد دعا أصحاب النظرية الوظيفية إلى فهم اللغة بعيدة عن الاختلاف اللهجي، الذي يجزئ إلى التعدد المنهجي، وعليه نقد في هذه النقاط المختصرة المنادى وما يتعلق به اعتماداً على وصف القدماء وتحليل المحدثين:

أ- المنادى ليس هو النداء؛ فالمنادى وظيفة تسند إلى إحدى مكونات الجملة، بينما النداء فعل لغوي (كالإخبار والاستفهام والأمر) يُحدّد جهة الجملة¹، أو هو ذكر اسم المدعو بعد حرف من حروف النداء².

ب- المنادى وظيفة تداولية مرتبطة بالمقام كباقي الوظائف التداولية الأخرى، واستعماله ضمن أسلوب النداء يعدّ ضرباً من ضروب الإنشاء الطلبي، يخرج به إلى معانٍ وأغراض عديدة، تفهم من

¹ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص152. فهو يساهم في تحديد جهة الجملة مع من تكون ومن هو شريك الخطاب، وليس المقصود به تحديد الوجهة التي يُنطلق منها في تقديم الواقعة (حدث، عمل، وضع، حالة)، إذ يجب التفريق بين المصطلحين لعدم الوقوع في الخلط.

² جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، (د.ط) 1413هـ\ 1992م، ج3، ص35.

سياق الكلام وقرائن الأحوال. ودليل ذلك أنه لا يؤدي وظيفة دلالية (كالمنفذ والمتقبل .. الخ) ولا وظيفة تركيبية (كالفاعل والمفعول).

ج- وقد اختلف النحاة القدماء والمحدثون من أصحاب النظرية الوظيفية في التمييز بين المنادى والمندوب والمستغاث، وقد جعل القدماء لكل من المكونات الثلاثة خصائص ينفرد بها عن غيره، لذلك هم يميزون بينها كما هو واضح في متن ألفية "ابن مالك" بعد باب النداء ذكر¹:

باب الاستغاثَة

598- إِذَا اسْتُعِثَّ اسْمٌ مُنَادَى خُفِضًا..... بِاللَّامِ مُفْتُوحًا كَيَا لِلْمُرْتَضَى

599- وَافْتَحَ مَعَ الْمَعْطُوفِ إِنْ كَرَّرْتَ يَا..... وَفِي سِوَى ذَلِكَ بِالْكَسْرِ اثْنِيَا

600- وَلَا لَمْ مَا اسْتُعِثَّ عَاقِبَتْ أَلِفٌ... وَمِثْلُهُ اسْتُدُو تَعَجُّبٌ لِفْ

باب النُّدْبَةِ

601- مَا لِلْمُنَادَى اجْعَلْ لِمَنْدُوبٍ وَمَا..... نُكَّرَ لَمْ يُنْدَبَ وَلَا مَا أُهْمَا

602- وَيُنْدَبُ الْمُضَوَّلُ بِالَّذِي اشْتَهَرَ..... كَبُرَ زَمَرَمٌ يَلِي وَ مِنْ حَقَر

603- وَمُنْتَهَى الْمَنْدُوبِ صَلُّهُ بِالْأَلِفِ..... مِثْلُهَا إِنْ كَانَ مِثْلَهَا حُذِفَ

604- كَذَلِكَ تَنْوِينُ الَّذِي بِهِ كَمَلٌ..... مِنْ صَلَّةٍ أَوْ غَيْرِهَا نِلَتْ الْأَمَلُ

605- وَالشَّكْلُ حَتْمًا أَوَّلِهِ مُجَانِسًا..... إِنْ يَكُنْ الْفَتْحُ بِوَهْمٍ لَا بِسَا

606- وَوَاقِفًا زِدْ هَاءَ سَكْتٍ إِنْ تُرِدْ..... وَإِنْ تَشَأْ فَالْمَدَّ وَالْهَاءَ لَا تَرِدْ

607- وَقَائِلٌ وَعَبْدِيَا وَعَبْدًا... مَنْ فِي النَّدَا يَأِيذَا سَكُونٌ أَبْدَى

ولكن نبنى القول الثاني الذي يعتبرها أنواعاً ثلاثة لوظيفة واحدة، تسمى وظيفة المنادى²، تقليصاً للوظائف وترقية للنحو إلى مستوى الكفاية النمطية. ولكن قد يُستفاد من هذا التفصيل في نوع ارتباط الأدوات بالمكون المنادى، وفق قواعد إدماجها في نحو اللغة العربية الوظيفي، وعليه يمكن احتساب ثلاثة أنواع للوظيفة المنادى:

¹ محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، متن الألفية (ألفية بن مالك)، ص38.

² أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص153.

أ- وظيفة منادى النداء: منادى النداء هو المكون المدعو المقصود بالنداء، والموجه إليه الطلب لغرض بلاغي، كالإقبال أو الانتباه أو الدعاء أو غير ذلك.

- قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾¹.

فلفظ (آدم) يأخذ الوظيفة التداولية المنادى لوقوعه بعد حرف من حروف النداء (يا)، وهو المقصود بالنداء الموجه إليه الطلب الوارد في الحمل بعده (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ). وهذا النداء للبعد حكماً بحرف النداء الخاص بالبعد (يا) كما دلّ على ذلك قول "ابن مالك" في البيت (573)، والله عز وجل كما أنه ناداه بالبعد أكرمه، والإكرام يكون للأقرب، ولأجل هذا قال له (اسكن) لسلامته من المعصية، فتودّي بالبعد ثم قرب ليستشعر نعمة الله عليه ولا يكفرها، ودليل هذا الكلام لما حكى عنهما ملابسة المخالفة قال في وصف خطابه لهما، ﴿...وَنَادَاهُمَا يَهُمَّا آلَ الْهَٰكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾²، فأشعر هذا اللفظ بالبعد لأجل المخالفة، كما أشعر الأول بالقرب للسلامة منها³.

ب- وظيفة منادى الندبة: منادى الندبة هو المكون المتفجع عليه أو المتوجّع منه، كقولنا: وا أبتاه، أو وا رأساه، وتُستعمل في نداء الندبة الأداة (وا) وقد ذكر ذلك "ابن مالك" في الأبيات (601 إلى 607) تحتوي أحكام الندبة وضوابطها اللغوية، ونذكر منها:

- لا يجوز في النوع من النداء حذف الندبة ولا حذف أداها.

- إجازة حذف الضمير المحيل، على أن يُختم بألف زائدة عند التوقف عن الكلام، لتوكيد التفجع أو التوجّع. مثل قولنا: وارأساه.. (من شدة التوجّع).

- إجازة الإبقاء على الضمير المحيل والألف الزائدة عند وصل الكلام، مثل قولنا: وارأساه يا أمي.

¹ سورة البقرة، الآية 35.

² سورة الأعراف، الآية 22.

³ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أحمد علي أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، (د.ط) 1422هـ\2006م، ج3، ص323.

- أن يبقى الاسم المندوب على حاله، ولا يُضاف له ألف ولا الضمير المحيل، مثل قولنا: وا فاطمة.

- لا يكون الاسم المندوب إلا معرفة غير مبهمة، فلا يُندب الاسم النكرة، فلا يقال: وا رجل. فلا يتفاعل معه.

- لا يكون الاسم المندوب معرفة مبهمة، كالأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، فلا يُقال: وامن استشهد.

ج- وظيفة منادى الاستغاثة: منادى الاستغاثة هو المكون المدعو لدفع بلاء أو شدة، وهو المطلوب منه الإعانة والإغاثة، ويأتي بعد أداة النداء (يا)، ولا يُستعمل للاستغاثة من أحرف النداء إلا بالياء، ولا يجوز حذفها، ولا حذف المستغاث، أما المستغاث له فيجوز حذفه¹. مثل قولنا: يا لرجال الأمن للغريق. وقد ذكر "ابن مالك" أحكامه في الألفية عند الأبيات (598-599-600). وهذا النوع أُدرج ضمن أسلوب النداء، باعتباره تفاعلاً بين طرفين، يتم فيه دعوة المنادى (المستغاث) للاستجابة ضمن مقام معين، ويؤدي وظيفة تداولية في حدود ذلك المقام، ولمنادى الاستغاثة ثلاثة أقسام:

- حرف النداء: وتكون (يا) دون غيرها من الحروف.

- المستغاث به: وهو المنادى الذي يُطلب منه العون والمساعدة.

- المستغاث له: وهو الذي يُطلب له العون لنصره وتأنيده².

تسبقُ المكون المنادى، في اللغة العربية أدوات للنداء، وقد عددها "ابن مالك" في ألفيته عند الأبيات (573-576):

- أدوات النداء للبعيد: يا، آ، آي، آيا، هيا، وتستعمل لنداء البعيد أو المتراخي أو النائم.

¹ ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، تح: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط30، 1414هـ/1994م، ج3، ص161.

² عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط3 1974م، ج4، ص77.

- أدوات النداء للقريب: الهمزة (أ)، أي، وتستعمل لتنبيه القريب المصغي إليك، لا الغافل عنك أو المتراخي¹.

- أداة النداء للندبة: وا.

يرى "أحمد المتوكل" أنه يمكن تقليص هذه الأدوات الثمانية إلى ثلاثة فقط، وهي: أيها، يا، الهمزة (أ). وذلك لعدم استعمال الأدوات الأخرى في اللغة العربية المعاصرة، وأن النحاة أنفسهم مختلفون حول استعمال بعضها ومواضع مجيئها مثل حرف (وا)، وشروط استعمالها باستثناء التمييز بينها للقريب أو البعيد²، وهذا ما رأيناه يتنافى ومفهوم الآية المنادى فيها آدم عليه السلام.

تُدمج أدوات النداء (أيها، يا، الهمزة (أ))، طبقاً لمبادئ النحو الوظيفي، على أساس المعلومات الموجودة في البنية الوظيفية، عن طريق تطبيق قواعد التعبير، التي تنقل البنية الوظيفية للجملة إلى بنية مكونات، وذلك وفق القاعدة الآتية³:

- قاعدة إدماج أدوات النداء:

$$\left\{ \begin{array}{c} \emptyset \\ ((\text{يا} \\ \text{أيها} \\ \text{أ} \end{array} \right\} \quad ((\text{ادمج، في السياق (ـ ص ي) منا، الأداة})$$

من خلال قاعدة الإدماج هذه، يمكن استنتاج ملاحظتين اثنتين:

- إدراج أداة رابعة لأدوات النداء بعد تقليص عددها الأصلي، وهو ثمانية حسب لهجات العرب القدماء، وهذه الأداة الرابعة سُميت في النحو الوظيفي الصفر، وأُعطيت الرمز (∅)، ويقصدُ بها حذف الأداة، أو أداة محذوفة.

¹ ينظر: محمد الوراق أبو الحسن، العلل في النحو، تح: مها مازن مبارك، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق-سوريا، ط1 2000م، ص207

² ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص153.

³ ينظر: أحمد المتوكل، المرجع نفسه، ص156-157.

- اعتبار الموصول (أَيُّ) وأداة التنبيه (ها) أداة نداءٍ واحدة، تدخل على المنادى كباقي أدوات النداء الأخرى، وأما إسناد إليها الوظيفة المنادى، يُعتبر إجحافاً في حق مَنْ تُودي أو قُصد بالنداء. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهَا ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾¹، يأخذ المكون (النَّبِيُّ) الوظيفة المنادى، وحرف النداء هو (يا أَيُّها)، ولا يمكن اعراب (النَّبِيُّ) بدلاً، وإغفال وظيفته التداولية الأساسية المنادى؛ لأنَّ ما بعده مسموع من أحكام الشارع الحكيم، مخاطب به المنادى النَّبِيُّ، فإذا أُعرب بدلاً يكون قد حيّد عن وظيفته، وفُصل بينه وبين مسموعه.

ويتمّ إدماج هذه الأدوات الأربع المنصوص عليها في القاعدة حسب الشروط الآتية:

أ- تسبق أدوات النداء (الصفّر، يا) المنادى اسم العلم، ولا يمكن لأداة أخرى أن تسبقه، وأداة النداء الصفّر - كما قلنا- نعني به حذف الأداة، وقد ذكر "ابن مالك" في الأبيات (575-576) أحكام حذف الأداة، ومثال اسم العلم المنادى بالياء، وحذف الأداة من النداء في القرآن المدني:

- قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾²، المكون (مَرْيَمَ) اسم علم لا يصحّ مناداتها بأداة أخرى ك(أَيُّها).

- قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾³، يأخذ المكون (رَبَّنَا) الوظيفة المنادى، وهو منادى بأداة نداء محذوفة، وقد كثر النداء على هذه الصورة في القرآن المدني، بلفظ (الربّ)؛ لأنه سبحانه وتعالى هو القائم بأمور العباد وإصلاحها، فكان على العبد أن يعلّق قلبه بمن شأنه التربية والرفق والإحسان. قال "ابن مالك": (قَدْ يُعْرَى)، يُعْرَى من حرف النداء،

¹ سورة الأحزاب، الآية 59.

² سورة آل عمران، الآية 45.

³ سورة آل عمران، الآية 53.

فُتحذف أداة النداء، كقولنا: يا زيد، قم. ثم تقول: زيد، قم¹. فزيد: منادى بأداة النداء المحذوفة، ويُرمز لها بالرمز (Ø). ويبقى عملها ولا يبطل بحذفها.

ب- المكون المنادى المعرف بالألف واللام، لا يُسبق إلا بأداة النداء (أيها)، ولا يُمكن اعتبار (أي) منادى، لاختلاف النحاة فيها، قال "ابن مالك" في البيت (575):

وَعَيِّرْ مَنْدُوبٍ وَمُضْمِرٍ وَمَا..... جَا مُسْتَعَاثًا قَدْ يُعْرَى فَاَعْلَمَا

قال "ابن عثيمين" رحمه الله: «وظاهر كلام المؤلف أن الضمير يُنادى مطلقاً، وقال بعض النحويين: إن الضمير لا ينادى مطلقاً، وقال آخرون: يُنادى ضمير المخاطب دون غيره، أما ضمير الغائب فظاهر كلام "ابن مالك" أنه يجوز، ولكن المشهور عدم الجواز، ولو قيل بعدم الجواز إلا فيما ورد به السماع لكان وجيهاً، فلا يُنادى الضمير إلا إذا ورد به السمع، فهو يُحفظ ولا يُقاس عليه»². وعليه، إذا كان الحال كذلك فالأولى عدم أخذ (أي) الوظيفة المنادى، بل الاسم المخصّص بالألف واللام هو الأولى بهذه الوظيفة، ولكن من خصائصه أن يُنادى بـ (أيها) ولا يُنادى بغيرها.

وقد طرح أيضاً "ابن مالك" هذا الإشكال صراحةً في الأبيات (583-584)، حيث أقر أن لا يجتمع حرف النداء (يا) بأداة التعريف (أل)، وقد استثنى ذلك مع لفظ الجلالة (الله)، فلا يصح قولنا: (يا أيها الله) بحجة أنه معرّف (حسب القاعدة القديمة وحتى الحديثة)، وإنما نجعل الهمزة همزة قطع ونناديه بـ (الياء) فنقول: يا الله، ثم ذكر أنه يكثر ذلك في القرآن وغيره بلفظ (اللهم)، بدلاً من (يا الله) أي: تعويض الميم عن الياء وتؤخّر ليتّم الابتداء بلفظ الجلالة تعظيماً لشأنه عز وجل. وتأتي النظرة الوظيفية موافقة لهذا الوصف الدقيق لظاهرة من ظواهر اللغة العربية، بأن تنأى باللغة عن الخلافات المثقلة لكاهل المحلل اللغوي والناطق وغير الناطق بها أو الدارس لها، فتجعل المكون المنادى المعرف بالألف واللام، لا يُسبق إلا بأداة النداء (أيها)، ولا يُمكن اعتبار (أي) منادى. ومثال ذلك كثير في السور المدنية:

¹ ينظر: محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، مكتبة الرشد، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط 1 1434هـ، ج 3، ص 350.

² المرجع نفسه، ج 3، ص 351.

- قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ أَيْهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾¹، يأخذ المكون (الناس) الوظيفة المنادى، وحرف النداء هو (أيها)، والملاحظ أن المنادى معرّف بالألف واللام، وهو المقصود بالنداء، وهو الطرف المتلقي للخطاب المتفاعل معه، وقد ورد لفظاً صريحاً لا ضميراً، ولا يمكن اعتباره بدلاً.

ج- إذا كان المكون المنادى رأساً لمركّب إضافي، فإنه يُسبق بأداة النداء (الصدر)، أو (يا)، أو (أ)، ولا يمكن أن يُسبق بالأداة (أيها):

- قال الله تعالى: ﴿يٰٓنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾²، يأخذ المكون (نساء) الوظيفة المنادى، وحرف النداء هو (يا)، والصفة التي تلصق المكون المنادى هي الإضافة لذلك يُنادى أداة ب (يا).

د- إذا كان المكون المنادى غير مخصّص بالألف واللام، فإنه لا يُسبق إلا بأداة النداء (يا)، وهذا النوع من المنادى يسمى في النحو العربي بالنكرة.

- قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰٓبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾³، يأخذ المكون (بني) الوظيفة المنادى، وحرف النداء هو (يا)، وهذا المنادى غير مخصّص بالألف واللام.

هـ- إذا كان المكون المنادى مركّباً إشارياً، فإنه يسبق بأداة النداء (يا)، أو الأداة الهمزة (أ)، ويمكن أن ينادى بأداة النداء (أيها) إذا أُحْتُزِلَ إلى (ذا)، ولا يمكن أن يُنادى اسم الإشارة بدون أداة.

و- إذا كان المكون المنادى جملة موصولة (لا رأس لها)، فإنه يُسبق بأداة النداء (يا) أو الأداة الهمزة (أ)، إذا كان لموصول (من)، ويُسبق بأداة النداء (أيها) إذا كان الموصول (الذي).

¹ سورة النساء، الآية 133.

² سورة الأحزاب، الآية 32.

³ سورة البقرة، الآية 132.

ي- ونخصّ حديثنا في هذه النقطة عن المنادى في القرآن الكريم، إذ مَنْ ناداه الله فليس بالبعيد عنه، وإنما تكون مناداته بحسب عمله، ويكثر نداء أهل الإيمان في السورة المدنية، لأمر يفعلونه أو نهي يجتنّبونه، لما روى "ابن مسعود" -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمُحَدَّثُ، وَإِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فَارْعَهَا سَمْعَكَ؛ فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ»¹، أي: استمع لها.

كما أنّ المنادى في القرآن المدنيّ ينقسم إلى ستّ مراتب:

أ- منادى للتنبيه: مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾²، يأخذ المكون (الناس) الوظيفة المنادى، وحرف النداء هو (يا أيها)، ولما تهيأ المقام لخطاب عموم الناس بما ينفعهم إرشاداً لهم ورحمة بهم؛ لأنه لا يرضى لهم الضلال³.

ب- منادى تنبيه مع مدح: مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁴، يأخذ المكون (الذين ءامنوا) الوظيفة المنادى، وحرف النداء هو (يا أيها)، وناداهم بصفة الإيمان وهذا مدح لهم، حيث ورد في رواية "لابن كثير" قال: «قال الأعمش، عن خيثمة، قال: ما تقرأون في القرآن: (يا أيها الذين آمنوا) ، فإنه في التوراة " : يا أيها المساكين "»⁵

ج- منادى تنبيه للذم: مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁶، يأخذ المكون (الذين كفروا) الوظيفة المنادى، وحرف النداء هو (يا أيها)، وناداهم بصفة الكفر وهذا ذمّ لهم، لأنه بداية لتوبيخهم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

¹ أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، الزهد، تح: محمد عبد السلام شهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 1420هـ\1999م، ص130.

² سورة البقرة، الآية 21.

³ محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص4.

⁴ سورة البقرة، الآية 104.

⁵ اسماعيل ابن كثير (الحافظ أبو الفداء)، تفسير القرآن العظيم، ص324.

⁶ سورة التحريم، الآية 07.

د- منادى منسوب: مثل قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾¹، يأخذ المكون (بني إسرائيل) الوظيفة المنادى، وحرف النداء هو (يا)، وهم أبناء يعقوب عليه السلام.

هـ- منادى بالتسمية: مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾²، يأخذ المكون (مريم) الوظيفة المنادى، وحرف النداء هو (يا)، ومريم عليها السلام هي ابنت عمران.

و- منادى التخصيص: مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾³، يأخذ المكون (أهل) الوظيفة المنادى، وحرف النداء هو (يا)، وقد خُصَّص المنادى (أهل) بلفظ (الكتاب)، وهم اليهود والنصارى.

3-2- إسناد الوظيفة المنادى

قبل أن نتعرف على طريقة إسناد الوظيفة المنادى، نتذكر أولاً الخطوات التي يتم بها توليد الجملة، ثم طريقة اشتقاق الجملة. وحسب النحو الوظيفي:

يتم توليد الجملة، ببناء ثلاث بنيات: البنية الحملية والبنية الوظيفية والبنية المكونية، وتضطلع ببناء البنية الحملية قواعد الأساس، و (قواعد إدماج الموضوعات)، وبناء البنية الوظيفية قواعد إسناد الوظائف (التركيبية ثم التداولية)، وبناء البنية المكونية (قواعد التعبير)، التي تشمل قواعد إسناد الحالات الإعرابية وقواعد موقعة المكونات، وقواعد إسناد النبر والتنغيم، ثم تطبيق مجموعات القواعد حسب الترتيب الآتي⁴:

¹ سورة البقرة، الآية 40.

² سورة آل عمران، الآية 45.

³ سورة آل عمران، الآية 64.

⁴ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 154.

أ- يُعطي الأساس (الذي يشمل المعجم وقواعد تكوين الأطر الحملية) أُطراً حملية تحدّد المحمول وموضوعاته، كما تُحدّد الوظيفة الدلالية لكل من هذه الموضوعات.

ب- بوسع الإطار المحمولي (النووي) إدماج الحدود الإضافية، عن طريق تطبيق قواعد توسيع الأطر المحمولية.

ج- إدماج مفردات من اللغة الموصوفة في محلات الحدود، عن طريق قواعد إدماج الحدود.

وينتج عن طريق تطبيق هذه القواعد الثلاث بناء بنية حملية.

4- تُسند إلى حدود البنية الحملية وظائف تركيبية (الفاعل والمفعول)، حسب شروط معينة ووظائف تداولية، تُحدّد إسنادها شروط مقامية.

- وينتج عن طريق تطبيق قواعد إسناد الوظائف التركيبية والوظائف التداولية بناء البنية الوظيفية للجملة .

5- تتخذ قواعد التعبير البنية الوظيفية دخلاً لها، فيتمّ إسناد الحالات الإعرابية إلى المكونات، طبقاً للوظائف التي تحملها، ثم موقعه المكونات حسب وظيفتها التركيبية أو وظيفتها التداولية، ثم إسناد النبر والتنغيم.

وينتج عن تطبيق قواعد التعبير بناء بنية مكونية تصلح دخلاً للقواعد الصوتية.

ونتعرّض في هذه المرحلة إلى تحليل الكيفية التي تتمّ بها اشتقاق الجملة حسب النحو الوظيفي، وقبل ذلك نستأنس بالمثال الآتي:

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ قَرِيبًا ۝﴾¹، تمثل العبارة التي علّمت بخط تحتها لتمثل جملة قائمة الأركان، نتعرّف على مراحل اشتقاقها اللغوي:

¹ سورة النساء، الآية 01.

1- تُبنى البنية الحملية انطلاقاً من الإطار المحمولي عن طريق تطبيق قواعد إدماج موضوعات المحمول:

- الناس [اتَّقُوا ف (س1: ربكم (س2)) متق]

2- وتُبنى البنية الوظيفية عن طريق تطبيق قواعد إسناد الوظائف التركيبية ثم الوظائف التداولية، حيث تُسند الوظيفة التركيبية الفاعل (فا) إلى الموضوع الحامل للوظيفة الدلالية المنفذ (منف) (س1)، أو تُسند الوظيفة التركيبية المفعول (مف) الحامل للوظيفة المتقبل (متق) (س2)، وتُسند الوظيفتان التداوليتان المحور (مح)، وبؤرة الجديد (بؤجد) للموضوع (س1) أو (س2) حسب الأولوية، والحمل برمته على التوالي يكون:

- الناس منا [اتَّقُوا ف (س1: ربكم (س2)) متق مف مح] بؤجد

3- وتُبنى البنية المكونية للجملة عن طريق تطبيق قواعد التعبير (قواعد إسناد الحالات الإعرابية، وقواعد الموقعة، وقواعد إسناد النبر والتنغيم)، وهي قواعد يتم بموجبها إسناد الوظائف إلى مكوناتها، ولكي تُسند الوظيفة المنادى يتم ذلك وفق ضابطين¹:

أ- الضابط الأول: يشترط في المكون المنادى أن يُحيل على كائن حي، وهو قيد من قيود الانتقاء الضابطة لإدماج المكونات في البنية الحملية، حيث ينصّ القيد (حي) في (ص) على أنه لا يُدمج في هذا الموقع إلا المكون المتوفرة فيه هذه الصفة:

- (ص: حي (ص)) [اتَّقُوا ف (س1: حي (س1)) منف (س2: الله (س1)) متق]

وقد نجد في القرآن الكريم ما يُنافي هذا الضابط، بأن يكون للجملات نداء خاص أو تكون لها ردة فعل، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاوُودَ مِنْ أَفْضَلٍ لِيَجِيبَ أَوْيَ مَعَهُ وَالظَّيْرَ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ﴾²، وهذا باب محل خلاف بين العلماء والفقهاء، فذكروا أنها قول حقيقي بأن جعل لها حياة وإدراكاً يقتضي سمعها ونطقها، أو مجازاً بمعنى ظهر فيها من اختيار الطاعة والخضوع، ما يجعل صداها يُسمع كأنها تنطق.

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص155.

² سورة سبأ، الآية10.

قَالَ "ابْنُ عَطِيَّةٍ": «والأول أحسن؛ لأنه لا شيء يَدْفَعُهُ، وَالْعِبْرَةُ فِيهِ أَمُّ وَالْقُدْرَةُ فِيهِ أَظْهَرُ. ومنه قوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾، فَأَمَرَهَا كَمَا تُؤْمَرُ الْوَاحِدَةُ الْمُخَاطَبَةُ الْمُؤَنَّثَةُ لِأَنَّ جَمِيعَ مَا لَا يَعْقِلُ كَذَلِكَ يُؤْمَرُ»¹. ولا نجد مثل هذا النوع (نداء الجمادات) في القرآن المدني.

ب- الضابط الثاني: يستوجب أن يكون المكون المنادى مُحيلاً على المخاطب، ولا يمكن أن يُحيل إلى المتكلم نفسه، أو يحيل إلى غائب.

3-3- إعراب المكون المنادى

لمعرفة إعراب الوظيفة المنادى، يتسنى لنا الوقوف على خارجية هذا المكون وموقعه من الحمل.

3-3-1- خارجية المكون المنادى:

يتموقع المكون المنادى حسب النحو الوظيفي خارج الحمل، وفق الخصائص المركبة التي تميزه عن بقية المكونات الخارجية، وهي:

أ- يستأثر المكون المنادى بقوة إنجازية ندائية، يخالف فيها القوة الإنجازية للحمل بعده مهما كان غرضها البلاغي، ونقدّم لذلك أمثلة:

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ صَدَقَةٌ ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾².

يأخذ المكون (الذين) - الموصوف بالإيمان - الوظيفة المنادى بموجب قاعدة إسناد الوظائف، ويأخذ قوة إنجازية خاصة بالنداء، ويأخذ الحمل بعده قوة إنجازية تختلف عن المنادى، وهي: الأمر، حيث يأمر الله تعالى المؤمنين بالصدقة، أمام مناجاة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

- قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَئِيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَيْنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾³.

¹ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص323.

² سورة المجادلة، الآية12.

³ سورة المائدة، الآية68.

يأخذ المكون (أهل) الوظيفة المنادى بموجب قاعدة إسناد الوظائف، ويأخذ قوة إنجازية خاصة بالنداء، ويأخذ الحمل بعده قوة إنجازية تختلف عن المنادى، وهي: الإخبار، بأنهم أهل كتاب، وهو سبحانه وتعالى ناداهم بما عندهم من الضلال، وأخبرهم بباطلهم الذي هم عليه.

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾¹.

يأخذ المكون (الذين) - الموصوف بالكفر- الوظيفة المنادى بموجب قاعدة إسناد الوظائف، ويأخذ قوة إنجازية خاصة بالنداء، ويأخذ الحمل بعده قوة إنجازية تختلف عن المنادى، وهي: النهي، وهو نهي لتوبيخهم على أفعالهم، التي عملوها وكفرهم بالله، وأنه لا ينفعهم اليوم معذرتهم منها.

ب- لا يُشكّل المنادى موضوعاً من موضوعات المحمول، ولا تُسند إليه بالتالي وظيفة دلالية ولا وظيفة تركيبية، كما يتبيّن من المثال الآتي:

- قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا².

يأخذ المكون (الناس) الوظيفة المنادى بموجب قاعدة إسناد الوظائف، ويأخذ قوة إنجازية خاصة بالنداء، على أنه مقصود به لأخذ العبرة من الحمل بعده، ويأخذ الحمل بعده قوة إنجازية تختلف عن المنادى، وهي: الإخبار عنه سبحانه وتعالى، بأنه قادر على استبدال الناس بآخرين، وهو متعلّق بفعل الله ولا دخل للإنسان فيه، ولكنه مطالب بالاعتبار، لذلك نودي، كما لا يمكن للمكون (الناس) أن تُسند إليه أية وظيفة دلالية ولا تركيبية في هذا الحمل، كما يتبيّن من البنية الوظيفية للجملة:

- مرحلة أولى: إن يشأْ يُذْهِبْكُمْ اللهُ أَيُّهَا النَّاسُ، ويأت بآخرين.

- مرحلة ثانية: (ص: الناس (ص)) منا [يأتِ ف (س1: الله (س1)) منف فامح

- مرحلة ثالثة: (س2: آخريين (س2)) متق مف بوجد

ففي البنية الوظيفية (المرحلة الثانية) تُسند إلى الموضوعين (س1) و (س2) الوظيفتان الداليتان المنفذ (الله) والمتقبّل (آخرين)، والوظيفتان التركيبيتان الفاعل والمفعول لكل منهما على التوالي،

¹ سورة التحريم، الآية 07.

² سورة النساء، الآية 133.

والوظيفتان التداوليتان المحور وبؤرة الجديد أيضاً على التوالي، في حين أن المكون المنادى (الناس)، باعتباره ليس من موضوعات المحمول، لا يأخذ إلا الوظيفة التداولية المنادى.

3-3-2 موقع المكون المنادى:

يتموقع المكون المنادى ومكونات الجملة الأخرى بالنسبة للجملة العربية (الفعلية والإسمية والرابطية) حسب البنيات الموقعية الآتية¹:

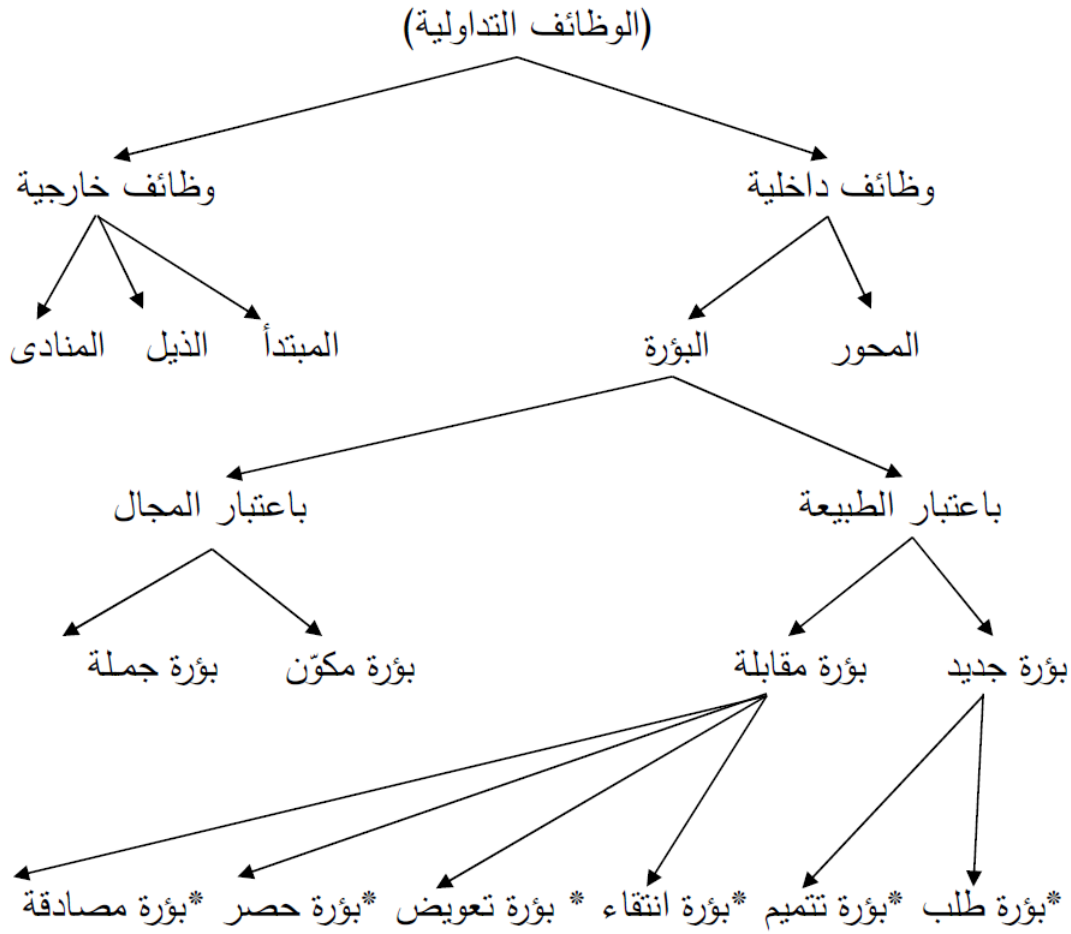
$$\begin{array}{c} \text{أ- م2، م1 م هـ ف فا (مف) (ص)، م3} \\ \left. \begin{array}{c} \text{ب- م2، م1 م هـ فا} \\ \text{م ص} \\ \text{م س} \\ \text{م ظ} \\ \text{م ح} \end{array} \right\} \text{(مف) (ص)، م3} \end{array}$$

$$\begin{array}{c} \text{ج- م2، م1 م هـ ط فا} \\ \left. \begin{array}{c} \text{م ص} \\ \text{م س} \\ \text{م ظ} \\ \text{م ح} \end{array} \right\} \text{(مف) (ص)، م3} \end{array}$$

ولتوضيح الموقع الخارجي للمكون المنادى بالنسبة للحمل، نقدّم المخطط الشجري الآتي يحتوي على جميع المكونات التداولية بالنسبة للحمل²:

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص155.

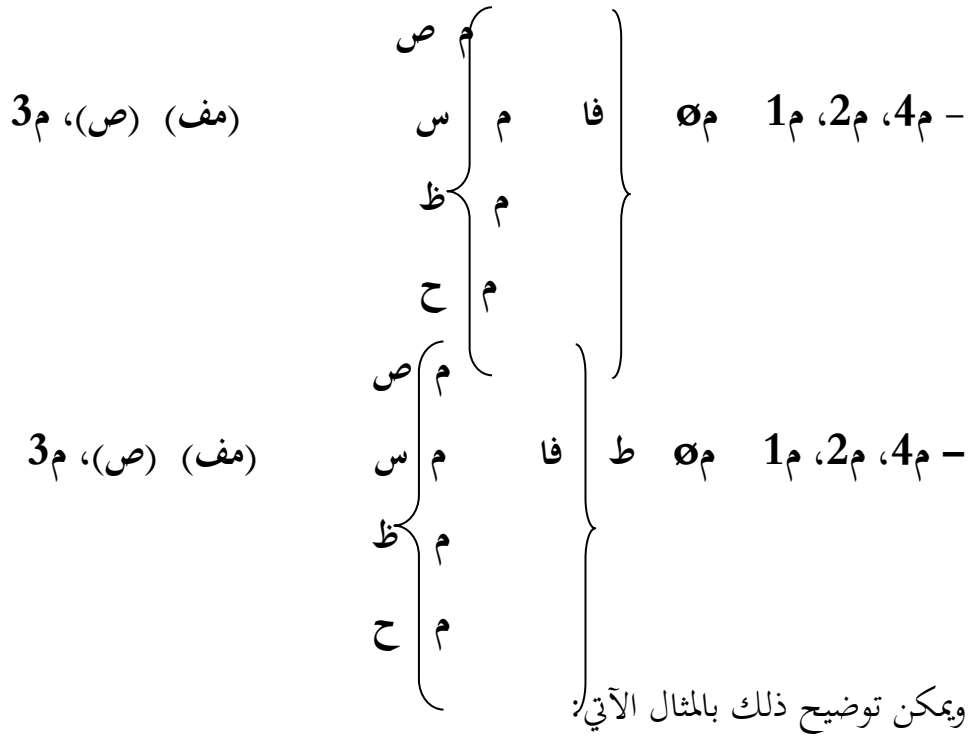
² ينظر: صلاح الدين ملاوي، محاضرات في اللسانيات الوظيفية، موجهة لطلبة الدراسات العليا، جامعة بسكرة-الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، 1433هـ\2012م.



نستخلص من الملاحظات المقدمة آنفاً، أنّ المكون المنادى يحتلّ الموقع الخارجي مثل المكون المبتدأ والذيل، وفي غالب الأحوال يأتي سابقاً للمبتدأ. لذا يقترح "المتوكّل" موقعاً خاصّاً بالمبتدأ يرمز له بـ (م4)، فتصبح البنيات الموقعية لأنماط الجمل الثلاث كالآتي¹:

¹ ينظر: أحمد المتوكّل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص180.

- م4، م2، م1 م هـ ف فا (مف) (ص)، م3



- قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾¹.

- الإسناد الأول: أَيُّهَا النَّاسُ (أداة النداء + المكون المنادى)، يَأْتِ بِآخِرِينَ (الحمل)

- الإسناد الثاني: إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ (الحمل المتقدم)، أَيُّهَا النَّاسُ (أداة النداء + المكون المنادى)

النداء المتأخر.

د- يتقدم المنادى على المبتدأ ويتأخر عن الذيل، ونعني به جواز تأخير المنادى عن الجملة

لأغراض بلاغية حسب المقام، فتأتي الرُّبُك كالآتي:

- (أداة نداء + منادى)، + فعل + فاعل + مفعول به

- فعل + فاعل + مفعول به، ذيل + (أداة + منادى)

- أعجب خالدٌ زيداً، سلوكه، (يا عمي).

¹ سورة النساء، الآية 133.

وخلاصة القول فيما يتعلّق بالموقع الذي يحتله المكون المنادى في الجملة حسب هذه المواقع، يمكن إبداء الملاحظات الآتية:

- أ- يُشكّل المنادى بالنسبة للحمل، مكوناً خارجياً شأنه في ذلك شأن المبتدأ والذيل.
- ب- يمكن أن يُشكّل المنادى بمفرده جملة قائمة الذات وفق مقام تداولي معيّن.
- ج- المكون المنادى في حال وروده مع الحمل، يمكن أن يتصدّر الجملة، كما يمكن أن يقع في آخرها.

3-3-3 إعراب المكون المنادى:

نذكر -هنا- أنه يتمّ إسناد الحالات الإعرابية إلى مكونات الجملة، بمقتضى الوظيفة الدلالية أو الوظيفة التركيبية أو الوظيفة التداولية، المسندة إليها على مستوى البنية الوظيفية. فالمكون المنادى بحكم موقعه الخارجي، لا يأخذ حالته الإعرابية من الوظيفة الدلالية ولا من الوظيفة التركيبية، لعدم اشتغاله إحدى هذه الوظائف، فيأخذ بالتالي الحالة الإعرابية النصب بموجب وظيفته التداولية نفسها¹. فيلاحظ أن العلامة الإعرابية التي تظهر عليه (سطحاً) هي: النصب، إذا كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف أو كان نكرة غير مقصودة، والرفع، إذا كان اسماً مفرداً أو نكرة مقصودة، وهذا بحسب طبيعة الاسم المنادى، وفي كلّ الأحوال يأخذ الحالة الإعرابية النصب، سواء أكانت العلامة الإعرابية ظاهرة أم مقدّرة.

لكن ما يذهب إليه نخبة العربية القدماء في تحليل الحالة الإعرابية للمنادى خلاف ذلك، وهو: أنّ حكمه النصب لفظاً أو محلاً، وعامله فعل محذوف تقديره (أدعوا أو أنادي) أو حرف النداء نفسه لتضمنه معنى النداء². ومعنى ذلك أنهم يُرجعون العامل الناصب إلى اللفظ لا إلى المتكلم، الذي يحمل المعنى إلى المخاطب وإليه يعود، وهو المسؤول عن نوع الحالة الإعرابية للمكون، وهو توجّه الدراسات اللغوية الحديثة وبالضبط التوجه التداولي، حيث يجعل من المتكلم محور العملية التخاطبية (منه ينطلق الكلام وإليه يعود)، والمنادى بصفته مخاطباً يأتي في الدرجة الثانية من حيث الأهمية في عملية

¹ ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص176.

² ينظر: عاطف فضل محمد، النحو الوظيفي، دار الميسرة للطباعة والنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1 1432هـ\2011م، ص433.

التخاطب؛ لأنه يرفع إليه الكلام والمدعو باللفظ إلى المشاركة في هذه العملية، لذا يأخذ الحالة الإعرابية النصب بموجب وظيفته الثانوية (المنادى). ويأتي هذا التحليل موافقاً للمبدأ العام للغة القاضي بأهدافها التواصلية .

- قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾¹

يأخذ المكون (آدم) الوظيفة التداولية المنادى، ويأخذ الحالة الإعرابية المجردة النصب، وإن كانت حالته الإعرابية الصوتية الضمّة، لأنه اسم علم مفرد، وقد نادى الله تعالى في السور المدنية من القرآن الكريم الأسماء المفردة من الأنبياء والرسل ومن اصطفاهم من عباده، ونادى سبحانه آدم وإبليس. وفي الآية التي بين أيدينا يأتي الحمل بعد المنادى (توجيه الخطاب المباشر) جملة فعلية أمرية، وجّه سبحانه وتعالى من خلالها أمره ونهيه لحكمة إلهية.

- قال الله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِلَيَّ فَارْجِعُونَ﴾².

يأخذ المكون (بني) الوظيفة التداولية المنادى، ويأخذ الحالة الإعرابية المجردة النصب، وإن كانت حالته الإعرابية الصوتية غير ذلك، ولم تظهر عليه حركة النصب لأنه مختوم بحرف العلة (الياء)، فتكون مقدرة، وهو منادى مضاف لا تظهر عليه الحالة الصوتية الفتحة. والحمل بعده جملة فعلية أمرية بعد شدّ انتباه هؤلاء القوم، يأتي إرشادهم إلى العبادة بأحسن أسلوب، وهو أن يتذكروا نعم الله عليهم وعلى آبائهم مما عدد لهم في هذه السورة، من الإنجاء من فرعون وعذابه، ومن النجاة من الغرق، والتوبة عليهم بعد الضلال إلى غير ذلك³، فوجب بعد ذلك الوفاء لصاحب هذه النعم فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾، وهذا حمل تابع للحمل الأول معطوف عليه مقصود به العبادة، وكلها حمل مسندة إلى المنادى لينتبه إلى أمره ويعي فعله وينقض نفسه. كما يأتي هذا الإسناد حجة بالغة إلى بني إسرائيل على أفعالهم، ولا مناص لهم يوم القيامة بأن يتحججوا بالجهل وعدم العلم، لما جاء به

¹ سورة البقرة، الآية 35.

² سورة البقرة، الآية 40.

³ محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، ج 1، ص 123.

الإسناد من شدة الارتباط الوثيق بين عناصره؛ فالنداء للخطاب المباشر المقصود به المخاطب بعينه لا غير، والأمر بعده مما يقتضي إقامة الفعل بما هو مأمور به.

نداء + أمر + أمر (ارتباط إسنادي) = كفاءة

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١﴾.

يأخذ المكون (الرسول) الوظيفة التداولية المنادى، ويأخذ الحالة الإعرابية المجردة النصب، وإن كانت حالته الإعرابية الصوتية الضمة، ولم تظهر عليه حركة النصب الفتحة، لأنه اسم مفرد. والحمل بعده جملة فعلية أمرية، بعد شدّ انتباه الرسول الكريم بمناداته بهذه الصفة المشرفة المعظمة لشأنه عليه الصلاة والسلام، إذ نادى بقية الأنبياء بأسمائهم. فنهايتها عن التخفيف عن نفسه وهو يشاهد تلاعب اليهود بأحكام الدين، فيخبره بأن ذلك زيادة في الكفر، وما ذلك إلا لأفعالهم التي حكاها له على شكل مسانيد متتالية، ليحذر من هؤلاء القوم (من الذين ..) وأقوالهم (الذين قالوا ..) وأفعالهم (سماعون\سماعون)، وكلها حمل مخاطب بها المنادى الرسول، وهو المنادى المبني على الضم في محل نصب.

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ٢﴾.

يأخذ المكون (الذين) الوظيفة التداولية المنادى، ويأخذ الحالة الإعرابية المجردة النصب، وقد ظهرت عليه حركة النصب الفتحة، وهو نداء لمن عقد قلبه على الإيمان واتبع طريق المؤمنين، والحمل بعده جملة فعلية مسبوق بشرط للنصح والتوجيه، مخاطب بها جميع المؤمنين.

¹ سورة المائدة، الآية 41.

² سورة الحجرات، الآية 06.

خلاصة الفصل:

- تنزع اللغة العربية في تحقيق الكفاءة الوظيفية إلى تجميع وظيفة المنفذ ووظيفة الفاعل ووظيفة المحور في مكون واحد، وهو ما يُطلق عليه في اللسانيات الوظيفية مصطلح (الفاعل النموذجي)، فتتضافر جميعها لتؤدي دوراً واحداً وهو ما يُسهّل وصف عملية التواصل في مقامات معيّنة وخصائصها اللغوية.

- يتموقع المكون البؤرة والمحور داخل الحمل وتتموقع الجمل المبارة داخل الخطاب حسب الموقع التخابري الذي يبينه المقام من أجل بناء بنية مكونية أكثر تفاعلية؛ وذلك بتحديد موقع المكونات المبارة داخل الحمل. حسب الوظيفة الدلالية أو التركيبية بالنسبة للمكون بؤرة الحديد، ووجوب صدارة الجملة بالنسبة للمكون بؤرة المقابلة.

- تكتفي وظائف المكونات المبارة في اللغة العربية بتحديد مواقع مكوناتها داخل الحمل، ولا تضطلع بتحديد حالات إعرابها، بل تأخذها من وظائفها الدلالية أو التركيبية.

- المفهوم الجديد الذي قُدّم للمبتدأ يُخرج البنيات الكلامية المغلقة عن نفسها في حدود معيّنة، إلى فضاء المعاني السياقية، التي تتولد من تفاعل العبارة مع المقامات التخاطبية.

- إنّ موقع المبتدأ الخارج عن بنية الحمل، لا يبتعد به كثيراً في تأسيس مكونات الخطاب القائمة على شدّ الارتباط الاسنادي بينها، بما يمنحها الكفاءة المناسبة لأنّ تتداول بين مقامات المتخاطبين.

- إنّ معنى الارتباط الاسنادي الذي يكون المبتدأ جزءاً منه، يقتضي أن يكون له قوة إنجازية منفردة عن القوة الإنجازية للحمل بعده، سواء أكان فعلياً أم اسمياً أم رابطياً، فتتظافر الوظائف الدلالية والوظائف التركيبية التي تأخذها المكونات داخل الحمل مع الوظيفة التداولية للمبتدأ، فتبنى بينهما كفاءة لغوية لا يكون لها معنى إذا لم تُسند في مقامها المناسب، ثم تكتسب صفة الكفاءة الوظيفية بتعرّف المتلقين على طبيعة شفراتها القابلة للتداول.

- لا يغفل النحو الوظيفي العلاقة القائمة بين الأصوات في اللغة العربية ودلالاتها، إذ تحكي الحالة الاعرابية الرفع للمبتدأ موقعه الابتدائي الرفع للخطاب نحو المتلقين، واستفتاحاً لما سيُدرَك به الخطاب، وهو رفع يناسب نقل الفائدة بالكفاءة اللازمة.

- لا يتبوأ المبتدأ الوظيفة المنوطة به، إلا وهو خارج الحمل في إطار عملية الزحليقة (قاعدة تحويل النقل) التي نقل بموجبها إلى صدر الخطاب، وتُخرجه من شبه الوظائف التي تلابسه مثل: المحور والبؤرة.

- تقوم أنواع الذيل ببناء الجسر التواصل بين المتخاطبين على درجة من الكفاءة العالية في الاهتمام بالفهم الصحيح للمكونات المسندة داخل الخطاب، وذلك عبر ثلاثة أنواع هي: الذيل الموضح والذيل المعدل والذيل المصحح، والحق العلامة الاعرابية المناسبة له يجعل المتلقي عنصراً فعالاً في هذه العملية لقبول الفائدة، أو إعادة بنائها من جديد وفق قالب الاسنادي الممنوح له، وحسب السياق الخطابي نفسه.

- المكون الذيل يتمثل موقعه الخارج الحمل إلى اليسار، يظل مرتبطاً بالحمل ارتباطاً وثيقاً، محققاً صورة الارتباط الاسنادي، ويرفع كفاءته التواصلية؛ إذ إنه يُضاف -كما رأينا- لتوضيح معلومة واردة في الحمل أو لتعديلها أو لتصحيحها، ويُضاف إلى هذا الرابط التداولي، روابط بنيوية تختلف باختلاف نمط البنيات المذيلة، ومن خلال هذه الروابط تكمن حالات الإعراب للمكون الذيل، المتمثلة في الرفع (كالنوع الأول) والنصب أو الجر تبعية للحمل المذكور قبله في الحمل.

- الإحالة عنصر مهم في الجمل المذيلة، يُكسبها صفة التداول، ولا يمكن تجاهل أهميتها (الإحالة بالضمير) في بناء أساسات الإسناد؛ إذ إن استخدامه يمنح للخطاب كفاءة التواصل بين أجزاء جملة، ويبنى انسجامه في ذهن متلقيه حسب ظروف القول.

- بإلحاق "أحمد المتوكل" الوظيفة المنادى إلى قائمة الوظائف التداولية (وظيفة البؤرة ووظيفة المحور ووظيفة المبتدأ ووظيفة الذيل) في اللغة العربية، وغيرها من اللغات الطبيعية، وتبني معظم الباحثين اللغويين هذا المقترح، يُكسب المنهج الوظيفي صفة الموصف الكافي للظواهر اللغوية، لعدم إغفاله أحد مكونات اللغة الأكثر وروداً وتفاعلاً بين المتكلمين.

- تُعدّ النظرة الوظيفية التداولية لأدوات النداء، إضافة نوعية لأسلوب من أساليب اللغة المهمة والمتداولة على كلّ الأصعدة، وإن حاولوا تقليص أدوات النداء، التي ذكرها النحاة القدماء، فإنهم أضافوا أداتين أخريين لما ذكره القدماء (Ø، أيّها)، وهذا نابع من اختلاف نظرة التداوليين إلى اللغة عن نظرة القدماء إليها. إذ لم يختلف التداوليون في تمييزهم بين النداء بوصفه فعلاً لغوياً، وبين المنادى الذي يُحيل على الذات التي يُوجّه إليها الخطاب.

- اتّكأ أصحاب النظرية الوظيفية في وجه من وجوه تفسيرهم لإعراب المنادى على النظرية العربية المفسرة له، وفي وجه آخر قصر تفسيرهم أن يأتوا بنظرية خاصة تفسّر إعراب المنادى بأنواعه جميعها، كالذي قال به النحاة القدماء في الدلالات التي يفرضي بها النداء في السياقات المختلفة. وعليه يمكن أن تكون هذه فرصة محقّزة لمواصلة البحث والاستقراء لفنون الاستغلال اللغوي لظاهرة النداء، ومحاولة ربطه بالاستعمال المعاصر، وما جادت به النظريات الحديثة، من أجل استدراك ما فات.

- إنّ التمييز بين النداء كفعل لغوي، وبين المنادى الذي يأتي بعد أداة النداء، ويحيل إلى ذات موجه إليها الخطاب في مقامات معيّنة، ليوثّد رصفها وفق الشروط التداولية لعملية النداء تركيباً محققاً صفة الكفاءة الوظيفية الضامنة لاستمرارية التواصل بين المتخاطبين.

- الفصل بين المنادى والنداء حسب النظرية الوظيفية، يمنح للمكون المنادى قوة إنجازية خاصة تسمى النداء، والحمل بعده يأخذ قوة إنجازية مخالفة للأولى؛ تكون هذه الأخيرة ثابتة في هذا النوع من الأساليب، والثانية متغيّرة حسب مقامات الكلام.

- يأخذ المكون المنادى الحالة الاعرابية المجرّدة النصب، بمقتضى وظيفته التداولية (المنادى) نفسها، لاعتبارات منها: موقعه الخارجي عن الحمل، وعدم وروده ضمن موضوعات محمول الجملة، كما أنه لا يأخذ وظيفة دلالية ولا وظيفة تركيبية، وأنه لم يتم رفع الكلام من طرفه (يقع عليه الفعل اللغوي للنداء).

- تنوع إسناد الوظائف التداولية في القرآن الكريم وخاصة المدني منه، هو دليل على قوة إعجازه اللغوي والبلاغي، المبني على الحجة والبرهان المقنع، والمرتبط إسنادي ومقامي بما يوافق العقل البشري، كيف لا وهو الحقل الثري بالكفاءات التعبيرية وآثارها الواقعية، تجعل من استخدام تلك الوظائف ضمن ارتباطات إسنادية، أبواباً للفهم العميق لمقتضيات الخطاب.

خاتمة الباب الثاني

أمكنني هذا الباب من دراسة الوظائف الدلالية والتركيبية والتداولية، وتمكنت من تتبع أثرها في تحقيق الكفاءة الوظيفية للارتباطات الاسنادية في النص المدني من القرآن الكريم، وطريقة تبلورها داخل الحمل أو الحمل مع الوظائف الخارجية، حيث يمكننا أن نلخص نتائج هذا الاعتقاد في النقاط الآتية:

- تنزع اللغة العربية في تحقيق الكفاءة الوظيفية عبر توحيد بنيات عديدة تحت مسمى واحد، لطالما اعتبرها النحاة العرب القدماء متميزة، وذلك بإرجاعها إلى نمط بنيوي واحد، وتخفيف أمر الفروع والتقسيمات الدقيقة التي أثقلت كاهل النحو التقليدي، والتميز بين بنيات اعتبرها النحاة القدماء فروعاً لبنية أصل واحدة، والأساس في ذلك الرجوع إلى خصائصها الدلالية والتركيبية والتداولية، وقد حاولنا في هذا الباب تفصيل ذلك بالأمثلة.

- يكمن توليد الكفاءة الوظيفية للإسنادات داخل الحمل، عبر توارد الوظائف وانتظامها في سلاسل تحيل بعضها إلى بعض بالإحالة اللفظية أو الإحالة المعنوية، وقد تطول تلك السلاسل أو تقصر حسب نوع الخطاب؛ فالخطاب القائم على النقاش والحوار بين المتفاعلين ليس كالخطاب المباشر الموجه من طرف واحد.

- فيما يخصّ إسناد الحالات الإعرابية لمكونات الجمل عامة حسب النظرية الوظيفية، يتمّ بمقتضى نوع الوظيفة التي يشغلها المكون نفسه، سواءً الدلالية أو التركيبية أو التداولية، إلا أنّ الأولوية تُعطى للوظيفة التركيبية للمكون (إذا كان فاعلاً يرفع وإذا كان مفعولاً ينصب)، وإذا لم تكن له وظيفة تركيبية ينظر لوظيفته الدلالية التي يشغلها، أما إذا كان للمكون إلا وظيفة تداولية (المبتدأ والذيل والمندى) فيأخذ حالته الإعرابية بمقتضاها.

- الحالة الإعرابية التي تمنح للمكون داخل الحمل أو خارجه، شديدة الارتباط بما يؤديه من وظيفة، وهذا جزء لا يتجزأ من مجموع الكفاءات المتضافرة لتأدية المعنى.

- تتحقق الكفاءة الوظيفية للارتباطات الاسنادية في السور المدنية، من خلال الحضور المتنوع للوظائف الدلالية والتركيبية والتداولية، وإسناد كلٍّ منها بما يُناسب قواعد الخطاب ومقامات المتلقين، بحسب ما يراه القرآن (إعراباً وتركيباً) موافقاً للمعنى مؤثراً في النفس.
- دراسة الوظائف الدلالية وسلّميتها والوظائف التركيبية والقيود الضابطة لإسنادها، وتحديد قواعد النبر والتنغيم، ودراسة الوظائف التداولية الخمس تُشكّل كلّها وصفاً شاملاً للبنيات الأساسية للارتباطات الاسنادية في اللغة العربية، لا يمكن إغفال إحداها في أيّ دراسة نحوية؛ لأنها تُشكّل نَحْوَ وظيفياً شاملاً.
- تحقيق هذه الدراسة التطبيقية هدفها المرجو منها وهو بيان كيفية توليد الكفاءة الوظيفية من خلال تتبع حركة الإسناد، وذلك يعود إلى غنى النص القرآني عامة والنص المدني خاصة بظواهر الإسناد المختلفة، لما له من خصائص الحوار والوصف والحجاج والتفسير، وتمييز نوع المخاطبين عن بعض، وما إلى ذلك من الأساليب التي سهلت عمل الباحث.

الخاتمة

الخاتمة

سيظل القرآن الكريم المعين الذي لا ينضب بالأساليب البلاغية المختلفة، والدلالات والمعاني المتجددة، والتي يسعى الباحثون على اختلاف مشاربهم إلى البحث عنها، ويستنتقون هذا النص المقدس بكل حذر وشغف، متتبعين مناهج اللسانية مختلفة للتحليل وعلى قدر كافٍ من علوم التفسير، وقد حاولتُ بدوري في هذا البحث أن أقدم قراءة لغوية تحليلية لنص القرآن الكريم، متخذاً من السور المدنية أنموذجاً في ذلك، مستعيناً بإجراءات المنهج الوصفي الوظيفي، في الكشف عن أسرار الارتباط الإسنادي، والكفاءة التي يحدثها أثناء عملية التواصل بين القارئ والنص، وبين حوار الأنبياء مع أقوامهم، وعليه فقد توصلتُ إلى مجموعة من النتائج ألخصها في الآتي:

- لا تحليل -لأي نص كان- إلا بمنهج علمي واضح المبادئ والأسس، يعمل على توحيد المصطلح، ويجمع بين التراث والحداثة باعتبار الرؤية المنصفة، مما يُغني البحث العلمي ويُؤثر في نتاجه، والمنهج الوظيفي -حسب قراءتي للنص القرآني من خلاله- يعمل على تحقيق ذلك باعتماده الوصف في التحليل (وصف البنية اللغوية)، وهو وظيفي في الوقت نفسه لأنه يُبين الوظيفة التي تؤديها البنية اللغوية في السياق والتداول.

- إن الاتجاه الوظيفي من أبرز الاتجاهات اللغوية التي نظرت إلى اللغة نظرة براغماتية، لا نظرة عقلية تهدف إلى الكشف عن الحقيقة الكامنة تحت السلوك الفعلي للإنسان، وهذه النظرة - حين أسقطت على الفعل اللغوي- ساعدت في تحديد المعاني المرجوة من النصوص، بالنظر لما تحيط بها من ظروف وأحوال، وقد تجسدت هذه النظرة في اللغة العربية على أنها نتيجة علاقات متشابهة ومتداخلة، ليست وليدة لحظة معينة، ولكنها حصيلة المواقف الحية التي يُمارسها الأشخاص في مجتمعاتهم، ونتيجة ملابسات الأحداث والسياقات والمواقف.

- لا غريب أن يستجيب النص القرآني المدني لمثل هذه النظرة الحداثيّة، التي توافق ما ذهب إليه كثير من علماء اللغة والتفسير، على أن آيات تحكي مواقف الأنبياء مع أقوامهم، وحوار المشركين والمشكّكين والردّ عنهم، أو أنها تصاحب أحوال المخاطبين فتُصحّح فعلاً أو تنهى عنه أو

تقرّر حكماً أو غير ذلك، فيتّضح بذلك جلياً كيفية تداخل الوظائف النحوية (الدلالية والتركيبية والتداولية) في تشكيلات النص القرآني.

- يهدف المنهج الوظيفي في اللغة العربية إلى تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحتز بالوقوف عليها عند تطبيق الكلام عن الوقوع في الخطأ بما يقتضيه الحال.

- لقد استطاع سيبويه، وهو الذي عاش في أوائل عصر التدوين اللغوي أن يقدم لنا رسداً وظيفياً لتحليل الكلام العربي يقف مضاهياً للنظرة الوظيفية في العصر الحديث، ويمكن أن يُردّ ذلك إلى أنه وظّف أساسيات فرضها الواقع اللغوي، منها: ظروف إنجاز الخطاب، والحال النفسي والاجتماعي لكل من المتكلم والمخاطب، وملابسات الخطاب والغرض منه.

- إن البحث في الكفاءة الوظيفية للإرتباطات الإسنادية هو من صميم البحث في فهم أسرار القرآن الكريم وكشف إعجازه البلاغي، وإنه ليحتّم على الباحث تتبع كيفية ارتباط الإسناد بالإفادة، عن طريق البرهنة والاستدلال الظاهر والباطن، مع تأكيد الإبلاغية للغة بربط البلاغة بالنحو.

- انطلق العمل التحليلي لهذا النوع من الخطاب في القرآن من رؤية بيّنة لخصائص النظام اللغوي في مستوياته المتدرجة، وهي: المستوى الدلالي والتركيب والتداولي، وإن طبيعة البحث تقتضي التطبيق في التراكيب الاسنادية، ولكن تتبع كيفية تحلي كفاءتها الوظيفية، تستدعي كشفها في الدلالة والاستعمال أيضاً.

- تشكل البنية التحتية للخطاب المدني من القرآن الكريم حملاً تحدد فيه كل الخصائص الدلالية المؤشر لها في شكل خصائص وسمات (جهية، زمنية...) ووظائف دلالية، ويُقل الحمل الى بنية وظيفية تامة التحديد عن طريق إسناد الوظائف الدلالية الأخرى كالمنفذ والمتقبل والمستقبل والأداة وغيرها، وكلها مطروحة في مثل هذا الخطاب، حيث تتلاءم وطبيعة العمل المنوط بكل وظيفة منها في الواقع.

- الوظائف الدلالية قد تتجاوز استثناء طبقات المستوى التمثيلي، لكن توزيعها الطبيعي لا يتعدى غالباً ذلك المستوى، حيث تواكب الوظائف الأساسية المنفذ وما يحاقله والمتقبل والمستفيد طبقة الوصف أو المحمول، هو الوظائف الفرعية الأخرى، تتوزع على طبقتي التسوير الحمل المركزي، والتأطير (الحمل الموسع).

- يتمُّ إسناد الوظيفة المفعول إلى الموضوع الأوّل دلاليّاً وهو (المستقبل)، في التراكيب المتضمنة لموضوع مستقبل ومتقبل معاً (التراكيب ذات المحمول الثلاثي)، وأما التراكيب التي لا تتضمن موضوعاً مستقبلاً (التراكيب ذات المحمول الثنائي) فتُسنَد فيه الوظيفة المفعول إلى الموضوع المتقبل، ذلك أن المكونات الدالة على الكائنات العاقلة أولى من المكونات الدالة على الكائنات غير العاقلة، والمكونات الدالة الكائنات الحية أولى من المكونات الدالة على الكائنات غير الحية.

- إذا كان المركّب الاسمي يتّخذ سمة الرفع أو النصب، وهذه السمة الاعرابية الظاهرة في آخر الاسم، تتغيّر بتغيّر العامل الداخل عليه، فإنّ الوظيفة الفاعل لا تتغيّر بتغيّر الصورة المعجمية للاسم المسندة إليه هذه الصفة، بل بفعل المنظور الرئيسي للوجهة المنطلق منها في تقديم الواقعة الدال عليها المحمول.

- تنوّع إسناد الوظائف التداولية في القرآن الكريم وخاصة المدني منه، هو دليل على قوة إعجازه اللغوي والبلاغي، المبني على الحجة والبرهان المقنع، والمرتبطة إسناديّ ومقاميّ بما يوافق العقل البشري، كيف لا وهو الحقل الثري بالكفاءات التعبيرية وآثارها الواقعية، تجعل من استخدام تلك الوظائف ضمن ارتباطات إسنادية، أبواباً للفهم العميق لمقتضيات الخطاب.

- إنّ معنى الارتباط الاسنادي الذي يكون المبتدأ جزءاً منه، يقتضي أن يكون له قوة إنجازية منفردة عن القوة الإنجازية للحمل بعده، سواء أكان فعلياً أم اسمياً أم رابطياً، فتتظافر الوظائف الدلالية والوظائف التركيبية التي تأخذها المكونات داخل الحمل مع الوظيفة التداولية للمبتدأ، فتبني بينهما كفاءة لغوية لا يكون لها معنى إذا لم تُسنَد في مقامها المناسب، ثم تكتسب صفة الكفاءة الوظيفية بتعرّف المتلقين على طبيعة شفراتها القابلة للتداول.

- لكل لغة نظام خاص بتأليف ألفاظها وتراكيبها، إذ هو الذي يحدّد قواعدها ويضبط الشكل الذي يتم به التواصل بين المتكلمين.
- نظام الارتباط اللغوي مصطلح حديث النشأة، لم يتبلور بشكله المستقل إلا في ظل الدراسات الوظيفية، وهو قرينة معنوية يقصد بها نشوء علاقة سياقية وثيقة بين معنيين دون اللجوء إلى واسطة لفظية تعلق أحدهما بالآخر.
- إن نظام الارتباط اللغوي ظاهرة من ظواهر التماسك النصي يحدث في البنية التركيبية في اللغة العربية، يتم الكشف عليه عن طريق رصد النظام الوصلي من خلال آلية الإسناد بكشف أسرار الربط بين علاقاته وترتيب معانيه بنسق يلي مراد المتكلمين.
- كما تمكنت من خلال البحث التعرف على بعض مظاهر روعة التعبير القرآني في استعمال الصيغ الصرفية المناسبة لسياق ورودها من غير خلط ولا لبس.
- لاحظت أثناء تحليلي للنصوص المدنية من القرآن الكريم أننا نحتاج إلى معرفة مجموعة متميزة أخرى من العناصر الإرتباطية، تتصل بالعمدة في الكلام (المسند إليه والمسند)، وهي علاقات معنوية كالتمييز والوصفية والحالية... الخ، أثبت من خلالها أن علاقة الإسناد هي الأساس في الجملة العربية، فهي بؤرتها أو نواتها، أما بقية العلاقات فهي بيان لها، وإزالة لما يعترضها من غموض.
- تتحقق الكفاءة الوظيفية للارتباطات الاسنادية في السور المدنية، من خلال الحضور المتنوع للوظائف الدلالية والتركيبية والتداولية، وإسناد كلّ منها بما يُناسب قواعد الخطاب ومقامات المتلقين، بحسب ما يراه القرآن (إعراباً وتركيباً) موافقاً للمعنى مؤثراً في النفس، ويتمّ ذلك بمقتضى نوع الوظيفة التي يشغلها المكون نفسه، سواءً الدلالية أو التركيبية أو التداولية، إلا أنّ الأولوية تُعطى للوظيفة التركيبية للمكون (إذا كان فاعلاً يرفع وإذا كان مفعولاً ينصب)، وإذا لم تكن له وظيفة تركيبية ينظر لوظيفته الدلالية التي يشغلها، أما إذا كان للمكون إلا وظيفة تداولية (المبتدأ والذيل والمنادى) فيأخذ حالته الإعرابية بمقتضاها، وهذا من شأنه أن يُبعد عن الدارس للقرآن الكريم شبح التأويل الخارج عن الحقيقة والقصد.

- تظهر أهمية اللغة العربية في تفعيل عملية التواصل وتوسيعها، وذلك من خلال بناء الكفاءة الاسنادية ومساهمة الوظيفتين التركيبيتين "الفاعل" و"المفعول" في بناء البنية المكوّنة للجملة، وبناء وصفها الوظيفي عبر تحديد وظيفة المكوّن، آخذة موقعيهما الاعرابيّ بعين الاعتبار، فيتمّ إدماج وظيفة المنفذ ووظيفة الفاعل ووظيفة المحور في مكون واحد، فتتضافر جميعها لتؤدي دوراً واحداً وهو ما يُسهّل وصف عملية التواصل في مقامات معيّنة وخصائصها اللغوية، ويتمّ إسناد الوظيفة المفعول إلى الموضوع الأوّل دلاليّاً وهو (المستقبل)، في التراكيب المتضمنة لموضوع مستقبل ومتقبل معاً (التراكيب ذات المحمول الثلاثي)، وأما التراكيب التي لا تتضمن موضوعاً مستقبلاً (التراكيب ذات المحمول الثنائي) فتُسند فيه الوظيفة المفعول إلى الموضوع المتقبل، ذلك أن المكونات الدالة على الكائنات العاقلة أولى من المكونات الدالة على الكائنات غير العاقلة، والمكونات الدالة على الكائنات الحية أولى من المكونات الدالة على الكائنات غير الحية.

- تحقيق هذه الدراسة التطبيقية هدفها المرجو منها وهو بيان كيفية توليد الكفاءة الوظيفية من خلال تتبع حركة الإسنادات، وذلك يعود إلى غنى النص القرآني عامة والنص المدني خاصة بظواهر الاسناد، لما له من خصائص الحوار والوصف والحجاج والتفسير، وتمييز نوع المخاطبين عن بعض، وما إلى ذلك من الأساليب التي سهلت عمل الباحث.

- وفي الحقيقة أنّ هذه النتائج كانت عبارة عن اجتهادات وآراء متفرقة للنحاة في كتب التراث اللغوية والنحوية والبلاغية، وأصبحت اليوم قضايا لسانية وظواهر لغوية تلفت انتباه الباحثين إليها بسبب تطوّر علم الدلالة، وظهور علم اللغة الحديث، وتعدد المناهج في دراسة اللغة، وشيوع بعض المصطلحات كالدلالة الصوتية والدلالة الصرفية مثلاً.

ومن مجموع ما تمّ التوصل إليه من نتائج خرج البحث بجملة من توصيات في مقدّماتها حتّى الدارسين والباحثين في اللغة بصفة عامّة، وفي النحو بصفة خاصّة على بسط دراساتهم على القرآن الكريم بوصفه المصدر الأعلى والأسمى للغة العربية، ولما له من مكانة في مجال الإستدلال اللغوي، كما حتّى الدراسة الباحثين على تتبع الظواهر النحوية المتعددة بلغة واضحة وميسّرة وفق المنهج

الوظيفي؛ لما فيها من جدية حتى تكون في متناول أيدي الدارسين، لذا أقترح مجموعة من المواضيع يمكن الإشتغال عليها:

- نموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسّع، مع دراسة تطبيقية.
- الاشتغال بنموذج نحو الخطاب الوظيفي على تحليل الخطاب.
- إعمال النموذج المعيار للنظرية على المدونة العربية.
- المباحث الوظيفية في التراث العربي (دراسة تأصيلية)

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولاً- الكتب:

أ- الكتب العربية:

- 1- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، لجنة البيان العربي، القاهرة-مصر، (د.ط) 1966م.
- 2- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة-مصر، ط6 (د.ت).
- 3- أحمد الحمالوي، شذا العرف في فن الصرف، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ط1 2003م.
- 4- أحمد المتوكل:
- آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، منشورات عكاظ، الرباط-المغرب، ط1 1993م.
- التركيبات الوظيفية (قضايا ومقاربات)، مكتبة دار الأمان، الرباط، ط1، 1426هـ/ 2005م.
- الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط-المغرب، ط1 1988م.
- اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط1 1987م.
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتدادات)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط-المغرب، ط1، 2006م.
- المنهج الوظيفي في البحث اللساني، دار الأمان، الرباط-المغرب، منشورات الاختلاف-الجزائر، منشورات ضفاف-بيروت، ط1، 1437هـ\2016م.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية (المقاربة المعيار)، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، الرباط-المغرب، ط1 1437هـ\2016م.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، ط1 1985م.
- الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، مطابع منشورات عكاظ، الرباط-المغرب، 1993م.
- الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط-المغرب، (د. ط) 2003م.
- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1986م.

- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط-المغرب، (د.ط) 1995م.
- 16- أحمد بن حنبل الشيباني:
- المسند (مسند أبي سعيد الخدري)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1 2008م، ج 5، حديث 11399.
- الزهد، تح: محمد عبد السلام شهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1 1420هـ\ 1999م.
- 18- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1999م.
- 19- أحمد شامية، خصائص العربية والاعجاز القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط) 1995م.
- 20- أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط 1، 2001م.
- 21- أحمد مختار عمر (وآخرون)، النحو الأساسي، منشورات دار ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ط 4 1414هـ\ 1994م.
- 22- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2 2005م.
- 23- الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، المركز الثقافي العربي، الحمراء-بيروت-لبنان، ط 1 1993م.
- 24- اسماعيل ابن كثير:
- تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، (د/ط)، (د/ت)، ج 3.
- صحيح البخاري، تح: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، ط 1 2000م، ج 2.

- 26- اسماعيل بن عباد (الصاحب)، المحيط في اللغة، تح: محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط 1 1414هـ\1994م، ج 6.
- 27- أيوب عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة-مصر، (د. ط) 1975م.
- 28- بدر الدين بن مالك (ابن الناظم)، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: حسني عبد الجليل يوسف، المطبعة النموذجية لمكتبة الآداب للطبع والنشر، مصر، ط 1 1409هـ-1989م.
- 29- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أحمد علي أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، (د.ط) 1422هـ\2006م، ج 3.
- 30- تمام حسان:
- اللغة العربية معناها ومبناها، ص 182. ومحمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الاعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار الغريب، القاهرة-مصر، (د. ط) 2001م.
- اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، 1980م.
- اجتهادات لغوية، عالم الكتب للطباعة والتوزيع، القاهرة-مصر، ط 1 2007م.
- 33- جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط 1 1980م.
- 34- جعفر دك الباب، النظرية اللغوية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، بيروت-لبنان، (دط) 1996م.
- 35- جلال الدين السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مركز هجر للبحوث للدراسات العربية والاسلامية، القاهرة-مصر، ط 1 1424هـ\2003م، ج 2.
- 36- جلال الدين السيوطي: - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، (د.ط) 1413هـ\1992م، ج 3.
- 37- جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين الميسر، تح: فخر الدين قباوة، دار نوبار للطباعة، القاهرة-مصر، ط 1 2003م، ج 1.

- 38- جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط) 1998م.
- 39- حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم (تعريف بالقربات اللغوية والحضارية عند العرب)، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط2 1990م.
- 40- الحسين بن مسعود البغوي (أبو محمد)، معالم التنزيل (المسمى بتفسير البغوي)، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة السعودية، ط1 (1409هـ-1989م)، ج1-ج5.
- 41- أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تح: حسن هنداي، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1 1419هـ\1998م، ج1.
- 42- خالد السويح، أسس الإخبار في الكلام (بحث في روافد انتاج الفائدة)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1 1436هـ\2015م، ج1.
- 43- خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة (دراسة نحوية تداولية)، جامعة منوبة-تونس، ط1 2001م.
- 44- الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي أبو عبد الرحمان، كتاب العين، تح: مهدي مخزومي، دار الهلال، بيروت-لبنان، ط1، 1423هـ\2002م، ج4، مادة: نادى.
- 45- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1 1424هـ\2003م، مادة: (سند)، ج7.
- 46- خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1 1430هـ-2009م.
- 47- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات العامة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط) 2000م.
- 48- رابع بومعزة، تيسير تعليمية النحو (رؤية في أساليب تطوير العملية التعليمية من منظور النظرية اللغوية)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1 1430هـ\2009م.
- 49- الرازي، مختار الصحاح، ترتيب: محمود خاطر، تح: حمزة فتح الله، دار البصائر، مؤسسة الرسالة، (د.ط) 1408هـ\1987م.

- 50- رضي الدين الاستربابي، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ-1992م، ج1.
- 51- الزايدي بودرامة، النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي.
- 52- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- 53- السيد يعقوب بكر، دراسات في فقه اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، (د.ط) 1969م.
- 54- صالح بلعيد:
- التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الامام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط) 1994م.
- صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2004م.
- 56- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، دار قباء، القاهرة-مصر، ط1 2000م، ج1.
- 57- صلاح الدين ملاوي، محاضرات في اللسانيات الوظيفية، موجهة لطلبة الدراسات العليا، جامعة بسكرة-الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، 1433هـ\2012م.
- 58- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، (د.ط)، (د.ت).
- 59- الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات، تح: صالح القرمادي، المطبعة العربية، تونس، ط3 1992م.
- 60- عادل محمد صالح، خصائص السور والآيات المدنية (ضوابطها ومقاصدها)، مؤسسة علوم القرآن، بيروت-لبنان، (د.ط) 1406هـ.
- 61- عاطف فضل محمد، النحو الوظيفي، دار الميسرة للطباعة والنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1 1432هـ\2011م.
- 62- عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط3 1974م، ج4.

- 63- عبد الرحمان بن محمد (ابن خلدون)، المقدمة (من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط3 1967م، ج1.
- 64- عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1 2002م.
- 65- عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، القاهرة-مصر، (د.ط) 1957 م.
- 66- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1985م.
- 67- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تق: محمد نبيل طريفي وإميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1998م، ج1.
- 68- عبد القادر شيبة الحمد، تفسير آيات الأحكام، مكتبة العبيكان، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1 1427هـ-2006م.
- 69- عبد القاهر الجرجاني:
- المقتصد في شرح الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، العراق، (د.ط) 1982م، ج1.
- دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة-مصر، (د.ط) 1984م.
- الجمل، تح: علي حيدر، دمشق، 1972م، (د.ط).
- 72- عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تفسير النسفي (المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ط1 2009م، ج1.
- 73- عبد الله بن الحسين العكبري (أبو البقاء)، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، مصر الجديدة، (د.ط) 1397هـ\ 1976م، ج1.
- 74- عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق وتعليق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ط1 (د. ت).
- 75- عبد المجيد جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، (د.ط) 1998م.

- 76- عثمان بن جني (أبو الفتح)، الخصائص، تح: عبد الحميد هداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2 1424هـ-2002م، ج 1.
- 77- علاء الدين علي بن محمد البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1 1425هـ-2004م، ج 2.
- 78- علي بن محمد بن حبيب الماوردي (أبو الحسن)، النكت والعيون، تع: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، (د ط) (د ت)، ج 1.
- 79- علي عبد الرزق، علم البيان وتاريخه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، ط 1 1425هـ/2004م.
- 80- عمر بن أحمد أبو القاسم (الزخشري):
- أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (د.ط) (د.ت).
- أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1 1998م، ج 2.
- 82- عمر بن عثمان بن قنبر أبو بشر (سيبويه)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت-لبنان، (د/ط)، 1985م، ج 1.
- 83- غلفان مصطفى، اللسانيات العربية الحديثة، دراسات نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1998 .
- 84- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط 1 1421هـ \ 2000م.
- 85- لطفي فكري محمد الجودي، جماليات الخطاب في النص القرآني (قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط 1 1435هـ\2014م.
- 86- مجدي محمد حسين، الجملة الاسمية، راجعه سليمان طه حمودة، دار ابن خلدون للنشر، (د . ط) 2004 م.

- 87- محمد البكري الشريشي، التعليقات الوقية بشرح الدرّة الألفية (لابن معط الزواوي)، تح: بركاهم العلوي، دار الورسم للنشر والتوزيع، ج2، القسم5.
- 88- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، (د.ط)2001م، ج1.
- 89- محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1987م.
- 90- محمد الوراق أبو الحسن، العلل في النحو، تح: مها مازن مبارك، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق-سوريا، ط1 2000م.
- 91- محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1 2001م، ج5.
- 92- محمد بن أحمد القرطبي (أبو عبد الله)، الجامع لأحكام القرآن (والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1 1427هـ\2006م، ج2.
- 93- محمد بن الحسين الرضي الإسترباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د/ط) 1402هـ/1982م، ج1.
- 94- محمد بن جرير الطبري (أبو جعفر)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط1 1415هـ\1994م، ج2، ص136\187.
- 95- محمد بن داود الصنهاجي أبوعبد الله (ابن آجرؤم)، الآجرؤمية، شرح: محمد بن صالح العثيمين، تق: عبد الله خليل محمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، ط1 1424هـ\2004م.
- 96- محمد بن صالح العثيمين:
- تفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط3 1435هـ.

- شرح ألفية ابن مالك، مكتبة الرشد، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1 1434هـ، ج3.
- 98- محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، متن الألفية (ألفية بن مالك)، المكتبة الشعبية، بيروت-لبنان، (د.ط) (د.ت).
- 99- محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير)، مراجعة: يوسف الغوش، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط4 1428هـ\2007م.
- 100- محمد بن محمد ابن عرفة، تفسير بن عرفة المالكي، تح: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس-تونس، ط1 1986م، ج1.
- 101- محمد بن محمد العمادي (أبو السعود)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (د. ط \ د.ت)، ج1.
- 102- محمد بن يزيد المبرّد (أبو العباس)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، مطابع الأهرام، القاهرة-مصر، ط2 1399هـ\1979م، ج4.
- 103- محمد بن يوسف الأندلسي أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 1413هـ\1993م. ج1- ج3.
- 104- محمد حماسة عبد اللطيف:
- في بناء الجملة العربية، دار القلم، الكويت، ط1 1982م.
- من الأنماط التحويلية في النحو العربي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، (د.ط) 2006م.
- 106- محمد خير حلواني، النحو الميسّر، دار المأمون للتراث، ط1 1418هـ\1997م، ج2.
- 107- محمد طاهر الحمصي، من نحو المباني إلى نحو المعاني (بحث في الجملة وأركانها)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، (د.ط) 2003م.
- 108- محمد عبد اللطيف حماسة، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة-مصر، (د. ط) 2003م.
- 109- محمد علي الصّابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، مؤسسة مناهل العرفان، ط3 1400هـ/1980م، ج1.

- 110- محمد علي بن علي الحنفي (التهانوي)، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: أحمد ياسين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1 1998م، ج 3.
- 111- محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط 1430هـ \ 2009م، ج 3.
- 112- محمد عيد، المصادر واستعمالاتها في القرآن الكريم، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، (د.ط) 1979م، ج 1.
- 113- محمد لطفي الصّبّاغ، تهذيب تفسير الجلالين، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط 1 2006م.
- 114- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تح: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د. ط) 1987م، ج 4.
- 115- محمود أحمد نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1408هـ-1988م.
- 116- محمود بن عمر الزّخشي أبو القاسم (جار الله)، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط 1 1418هـ \ 1998م، ج 1.
- 117- محيّي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط 7 1420هـ \ 1999م، ج 3.
- 118- مسعود بن عبد الله سعد الدين التفتازاني، شرح تلخيص المفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ط) (د-ت).
- 119- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، تح: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط 30، 1414هـ \ 1994م، ج 3.
- 120- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، الجيزة-مصر، ط 1 1997م.
- 121- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة (دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية)، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، (د.ط) 1998م.

- 122- مهدي المخزومي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، دار الرائد العربي للنشر، بيروت-لبنان، ط2 1406هـ-1986م.
- 123- موفق الدين بن علي بن يعيش، شرح المفصل، قدمه إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د.ط) (د.ت)، ج1.
- 124- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت-لبنان، ط2 1986م.
- 125- ناصر الدين الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد صبحي بن حسن، دار الرشيد، بيروت- لبنان، ط1 2000م، ج2.
- 126- نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية، مطبعة المعارف الجديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الرباط-المغرب، (د. ط) 1997م.
- 127- ابن هشام الأنصاري:
- الأصول في النحو، تح: عبد المحسن الفتلي، مؤسسة دار الرسالة، ط3 1417هـ\ 1996م، ج1.
- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق وتعليق: مازن المبارك وعلي حمد الله، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1 2005م.
- 129- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الاتحاد العربي، القاهرة، (د.ط) (د.ت)، ج2.
- 130- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: محمد علي البخاري، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ط2 1975م.
- 131- يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، القاهرة-مصر، (د. ط) 1914م، ج2.
- 132- يحيى بن زياد الفراء (أبو زكريا)، معاني القرآن، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط3، 1403هـ-1983م، ج1.
- 133- يعيش بن علي بن يعيش (موفق الدين)، شرح المفصل، دار الطباعة المنيرية-مصر، (د/ط) (د/ت)، ج2.

- 134- يوسف الحمادي ومحمد شفيق عطا، القواعد الأساسية في النحو والصرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة-مصر، ط1 1415هـ \ 1994م.
- 135- يوسف بن أبي بكر السكاكي (أبو يعقوب)، مفتاح العلوم، تع، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2 1407هـ-1987م.
- ب- الكتب المترجمة:**
- 136- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418هـ-1998م.
- 137- روبنز، موجز تاريخ علم اللغة، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د.ط) 1997م.
- 138- فان دايك، علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001م.
- 139- فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، (د. ط) 2008م.
- 140- فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: صالح فاتح الشايب، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض-المملكة العربية السعودية، (د.ط) 1997م.
- 141- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمنهج)، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005م.
- 142- هاليداي، وظائف اللغة، تر: محمود أحمد نخلة، اللسان العربي، أعمال ندوة استثمار المصطلح الموحد الصادر عن مؤتمرات التعريب، الرباط-المغرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد: 54، 1423، 2002.
- 143- رومان جاكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، تر: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 2002م.

ج- الكتب الأجنبية:

- 144- Ahmed El Moutaouakkil (1982), Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique Arabe, Publications de la faculté des lettres et des sciences humaines, Rabat.
- 145- AL-Mounged (English-Arabic), Librairie Orientale Publishers, P.O Box, Beirut-Lebanon, Second edition 1997.
- 146- Dik Simon, The theory of functional Grammar, Part 1, The structure of the clause, Dordrecht foris, 1989.
- 147- J. Dubois Dictionnaire de linguistique Francaise . Larousse. Paris. 1973..
- 148- Robert Micro, Alin Roy et autres . dectionnaire le Robert , Paris, Montréal canada , 2eme edition , 1998.

ثانيا: المجلات والدوريات

- 149- أحمد بوصبيعات، التقييد بالحال والتقييد بالصفة في النحو العربي (بين قرنتي الملابس والوصف)، مقال ضمن مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة-الجزائر، سبتمبر 2017م، العدد: التاسع.
- 150- جمعان عبد الكريم، الإسناد في النحو والخطاب، مقال ضمن مجلة اللسانيات العربية، مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، العدد الأول، ربيع الأول 1436هـ\جانفي 2015م.
- 151- رابح بومعزة، الحد الدقيق للجملة، مقال في مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الثامن.
- 152- عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، مقال ضمن مجلة المبرز، العدد2.
- 153- عمار ساسي، المنهج الوصفي الوظيفي، مقال ضمن مجلة رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، جمادي الثانية 1430هـ\ جوان 2009م، العدد السادس.
- 154- لزهر كرشو، أنسجة الارتباط وآليات الربط في تركيب الحديث النبوي الشريف (حديث "أصحاب الغار والصخرة" في فتح الباري بشرح صحيح البخاري أنموذجاً)، مقال في مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، تصدر عن كلية الآداب واللغات-جامعة الوادي-الجزائر، جانفي 2015م، العدد: السابع.

- 155- لطيف عبد السادة سرحان، ملامح اللسانيات الوظيفية في مقولات المخزومي (كتابه: في النحو العربي قواعد وتطبيق أنموذجاً)، مقال ضمن مجلة المخبّر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري)، جامعة بسكرة-الجزائر، العدد الثالث عشر، 2017م.
- 156- مازن الوعر، نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مجلة الموقف الأدبي، العدد 385.
- 157- مصطفى النحاس، عين المضارع بين الصيغة والدلالة، مجلة: "اللسان العربي" دورية متخصصة نصف سنوية تصدر عن مكتب: تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1988م، العدد: 30.
- 158- هاجر محمد إبراهيم الجويلي، الوظائف التداولية في التوجه النظري، مقال في مجلة كلية اللغات، جامعة طرابلس-ليبيا، العدد: 15 مارس 2017م.
- ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية:
- 159- عبد الصمد لميش، بنية الخطاب في الحوار المسرحي (مسرح توفيق الحكيم أنموذجاً)، رسالة دكتوراه علوم، تخصص: اللسانيات وتحليل الخطاب، إشراف: يحي بعبطيش، كلية الآداب واللغات - قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة-الجزائر.
- 160- فاطمة بنت ناصر بن سعيد المخيني، الوظائف التداولية الداخلية في سورة الأنعام، رسالة ماجستير، إشراف: محمد هلال، الامرات العربية المتحدة.
- 161- فيصل بنور، البعد الوظيفي في النحو العربي، إشراف: شاكرك لقمان، رسالة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر، تخصص: علوم اللغة العربية، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 1433هـ\2012م.
- 162- كايد محمد عثمان شحادة، المعجم الجامع، إشراف: أحمد حامد، رسالة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، (د.ط) 1423هـ\2002م، حرف الدال، مادة: دَمَر.

163- يحيى بعبطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه في اللسانيات الوظيفية الحديثة، إشراف: عبد الله بو خلخال، جامعة منتوري قسنطينة-الجزائر، 2006.

رابعاً: المعاجم والقواميس

164- محمد بن يعقوب مجد الدين (الفيروز آبادي)، القاموس المحيط، تح: زكريا جابر أحمد وأنس محمد الشامي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط) 1429هـ/2008م، القاهرة-مصر، حرف: الباء، فصل: اللام، مادة: بَلْ.

165- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج1.

166- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4 1425هـ-2005م، باب: الهمزة، مادة: أُنْ.

167- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، إشراف مجموعة من الأساتذة: شوقي ضيف رئيساً، شعبان عبد العاطي عطية، وأحمد حامد حسين، جمال مراد حلمي أعضاء، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4 1325هـ/2004م، مادة: وظف، ص1041-1042.

168- ابن جني، الخصائص، ج1.

169- محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط3 1994م، ج9.

170- محمد بن مكرم أبو الفضل (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، (ط1)، 1300هـ، مادة: بدأ، ج1.

171- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: (سند)، ج3.

172- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل الجديد، بيروت-لبنان، (د.ط) (د.ت)، ج2.

173- محمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، (د.ط) 1377هـ/1958م، ج2.

174- محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، قصر الكتاب، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

خامسا: المواقع الإلكترونية:

175- يونس البودامي، الوظائف الدلالية في النحو الوظيفي، مقال على الأنترنت، 22 سبتمبر

2020م، الموقع: <https://bilarabiya.net/7665.html>.

176- محمد الشنتوفي، العنوانُ ما بين الوظيفة الدلالية والوظيفة الإحالية، مقال بمنتدى ديوان

العرب، على الشبكة العنكبوتية (2016م)، <https://www.diwanalarab.com>

الملاحق

كشّاف الرموز

المقولات	
الرمز	معناه
ف	فعل
ص	صفة
ط	رابط (كان ...)
م س	مركب اسمي
م ص	مركب وصفي
م ح	مركب حرفي
م ظ	مركب ظريفي
مض	ماضي
حض	حاضر
الوظائف الدلالية	
منف	منفذ
متق	متقبل
مستق	مستقبل
مستف	مستفيد
أد	أداة
زم	زمان
حا	حائل
حد	حدث
متض	متموضع
مك	مكان
حل	حال
عل	علة

مصا	مصاحب
Ø	الوظيفة الصفر
الوظائف التركيبية	
فا	فاعل
مف	مفعول
الوظائف التداولية	
م	محور
بؤجد	بؤرة جديد
بؤمقا	بؤرة مقابلة
منا	منادى
المواقع	
م2	موقع المبتدأ
م3	موقع الذيل
م4	موقع المنادى
م1	موقع الأدوات الصدور
Тф	موقع المحور
Øم	موقع بؤرة المقابلة أو اسم الاستفهام
ف	موقع الفعل
ط	موقع الرابط
فا	موقع الفاعل
مف	موقع المفعول
ص	موقع المكونات التي لا وظيفة تركيبية لها، ولا وظيفة تداولية
رموز عامة	
ТТ	مخصص المحمول (زمان، جهة)

محمول اعتباطي	Ø
متغيرات الموضوعات	(س1، س2...س ن)
يتموقع في..	←

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	الإهداء
	شكر وعرفان
أ	مقدمة
	الباب الأول: النظرية الوظيفية في النحو
	الفصل الأول: التّوجّه الوظيفيّ (المفهوم، والجذور، والمبادئ)
15	تمهيد
17	أولاً- مفهوم الوظيفة والوظيفية
18	1- مفهوم الوظيفة لغة واصطلاحاً
23	2- مفهوم الوظيفية
25	ثانياً- جذور الوظيفية عند الغرب والعرب
25	1- جذور الوظيفية عند الغرب
43	2- جذور الوظيفية عند العرب
55	ثالثاً- مبادئ النحو الوظيفي
56	1- أدوات اللغة
56	2- وظيفة اللغة
58	3- الوظيفة والبنية
65	خلاصة الفصل
	الفصل الثاني: علاقات الارتباط الوظيفي في تركيب الجملة العربية
68	تمهيد
69	أولاً- مفهوم الجملة
69	1- المفهوم اللغوي

69	2- المفهوم الاصطلاحي
92	ثانياً- مفهوم الارتباط وعلاقاته
93	1- مفهوم الارتباط
96	2- علاقات الارتباط
111	ثالثاً- علاقة الإسناد وأهميتها في بناء الكفاءة الوظيفية
111	1- مفهوم الإسناد
114	2- أهمية الإسناد في بناء الكفاءة الوظيفية
120	خلاصة الفصل
الباب الثاني:	
بناء الكفاءة الوظيفية في السور المدنية	
الفصل الأول: الوظائف الدلالية للارتباطات الإسنادية في السور المدنية	
130	تمهيد
131	أولاً- التعريف بالوظائف الدلالية وخصائصها
133	ثانياً- سلمية الوظائف الدلالية وأنماطها
136	ثالثاً- الأدوار الدلالية للارتباطات الإسنادية
137	1- الوظائف الدلالية للمحمول (الواقعة)
141	2- الوظائف الدلالية للحدود
151	3- مخصصات الحدود وأنواعها
156	4- أنماط الحدود
173	خلاصة الفصل
الفصل الثاني: الوظائف التركيبية للارتباطات الإسنادية	
176	تمهيد
178	أولاً- تعريف الوظائف التركيبية
183	1- تعريف الفاعل

فهرس المحتويات

186	2- تعريف المفعول
189	ثانياً- خصائص الوظيفتين، الفاعل والمفعول
199	ثالثاً- إسناد الوظيفتين: الفاعل والمفعول في السور المدنية
199	1- سلمية إسناد الوظيفة التركيبية الفاعل
204	2- سلمية إسناد الوظيفة التركيبية المفعول
210	خلاصة الفصل
الفصل الثالث: الوظائف التداولية للارتباطات الإسنادية في السور المدنية	
213	تمهيد
216	أولاً: التمثيل للوظائف التداولية الداخلية في السور المدنية
216	1- الوظيفة البؤرة
228	2- الوظيفة المحور
239	ثانياً: التمثيل للوظائف التداولية الخارجية في السور المدنية
240	1- الوظيفة المبتدأ
253	2- الوظيفة الذيل
263	3- الوظيفة المنادى
285	خلاصة الفصل
289	خاتمة الباب الثاني
292	الخاتمة
299	قائمة المصادر والمراجع
316	الملاحق
320	فهرس المحتويات
	الملخص

الملخص

ملخص

يعالج هذا البحث قضية الإسناد في القرآن الكريم، من وجهة نظر وظيفية تداولية بغية الوصول إلى دراسة نحوية تُعنى بالتركيب والتحليل ودلالات الجمل من خلال مقاماتها ووظائفها، وقد جذب البحث أنظار النحاة وتوقف عند أعمال البلاغيين والمفسرين وانتفع بقدر كبير بالأنظار اللسانية الحديثة، وبخاصة الاتجاه الوظيفي، والتداولي في اللغة، وانتهى الأمر إلى أن مباحث النحو تحقق فهم البنية التركيبية ودلالاتها، وبمباحث البلاغة وبعض أبواب التفسير تتحدد أهداف التعبير والتواصل، وبهما يُوقَف على الدلالة، والتركيب وأسرارها.

الكلمات المفتاحية: الوظيفية، الارتباط، الإسناد، التواصل، التراكيب النحوية، الوظائف التداولية، الوظيفة النحوية، المحمول، الحد.

Abstract

This study discusses the attribution issue in the Holy Quran, from a functional point of view . in order to achieve the objective of study concerns with structure analysis and the sentence semantic according to their context of situation. The research attracted the words the grammarians points of view and commentators works, utilized from the modern linguistics specially the functional grammar and its pragmatic view.

In the end, the grammar studies achieved an understanding of the syntactic structure and its implication, the rhetoric subjects and interpretation define the objects of expressions and communication, and both of them express the semantic of structures and its secrets .

Key words: Functional, association, attribution, communication, grammatical structures, pragmatic functions, grammatical function, predicate, limit